المجلد الثاني

من سلسلة الدين النصيحة

المقالات المكية في دراسة القاديانية

تقديم

معالي الشيخ الدكتور / عبد الله بن عبد المحسن التركي

الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي

تقريظ

معالي الشيخ الدكتور / عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس

الرئيس العام لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف

إمام وخطيب بالمسجد الحرام

إعداد

الدكتور سعيد أحمد عنايت الله

المدرس بالمدرسة الصولتية بمكة المكرمة

من سلسلة "**الدين النصيحة**"

المقال السادس عشر

مدلول لفظ الخَاتم
ومفهوم عقيدة ختم النبوّة
وذكر أدلتها مِن الكتاب والسُّنَّة
وإجماع الأمة.

ملخص المبحث:

يتلخص هذا المبحث في الأمور التالية:

١) معنى الخاتم وخاتم النبيين لغة.

٢) مراد الخاتم وخاتم النبيين شرعًا.

٣) خاتم النبيين عند الأمة المسلمة مَن لا نبي بعده، وعند القاديانية مَن يأتي الأنبياء بعده.

٤) ذكر آيات القرآن الكريم التي تبين أن محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين.

٥) ذكر الأحاديث النبوية التي تبين أنه لا نبي بعد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد رسول الله ﷺ.

٦) ذكر إجماع طبقات الأمة في باب ختم النبوّة.

أ- إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

ب- إجماع طبقات المحدثين.

ج- إجماع طبقات المفسرين.

د- إجماع طبقات الفقهاء.

هـ- إجماع طبقات المتكلمين.

و- إجماع طبقات أهل السلوك والاحسان.

ز- مِن الكتب القديمة.

٧) دعوتنا المخلصة للقاديانية.

معنى "الخاتم" وَضْعًا ، ومفهوم "خاتم النبيين" شَرْعًا.

تمهيد:

إنَّ تركيب "خاتم النبيين" مما نطق به القرآن الكريم في شأن محمد رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وهو من المفاهيم الشرعية المهمة، فلو نظرنا إلى كتب اللغة دون النظر إلى ما نُقِلَ مِن مفهوم "خاتم النبيين" مِن صاحب الوحي ﷺ بتصريحه، أو مِن شهود الوحي صحابته ﷺ، أو مِن أقوال الأئمة المجتهدين، والمفسرين، والمحدثين، وعموم علماء الأمة ظهر لنا مدلوله بكل وضوح، وهو كون محمد ﷺ آخر النبيين.

فلقد ورد لفظ "الخاتَم" في القرآن الكريم -بفتح التاء- (خاتَم النبيين)، وبكسرها (خاتِم النبيين).

المعاني المشتركة بين "الخاتَم" و"الخاتِم": (بفتح التاء وبكسرها)، وما يختص بكل واحد منهما دون الآخر.

لقد ورد في كتب اللغة أنَّ "الخاتَم" -بفتح التاء- وجمعه: خواتيم، و"الخاتِم" -بكسر التاء- وجمعه خُتُم، وهناك معاني مشتركة بينهما، وهي الخمسة الآتية:

١- ما يُتختم به أي: يلْبَسُ في الأصبع.

٢- فص المهر الذي يُرسم فيه الاسم وغيره.

٣- نقرة القفا.

٤- وضحَ القوائم.

٥- "**الآخر**" يقال: خَتَمَ القرآن أي: بلغ آخره، وخاتمة الشيء آخره.

يقال: "خَاتَم القوم: آخرهم"، "ومحمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام" أي آخرهم.

وقوله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ **[المطففين: ٢٦]**، أي: آخره، لأنَّ آخر ما يجدونه المسك.

المعاني الخاصة بكل من "الخاتِم" و"الخَاتَم":

٦- اختص الخاتِمُ – بكسر التاء بـ"ما يختمُ به الشيء"، ولا يدل عليه الخاتَم – بالفتح.

٧- واختص الخاتَم – بفتح التاء بـ"نقش المهْر الذي ينطبع ويرتسم على الورق"، ولا يدل عليه الخاتِم – بالكسر.

ويتعين معنى الخاتَم في آية "خاتم النبيين" في أحد المعاني التي هو مشترك فيها في وضعه، وهي الستة المذكورة، وليس "الأفضل" منها، لأن "الأفضل" ليس من معاني الخاتم الوضعية، فلا اشتراك فيه للخاتم.

فلنتأمل معنى الخاتم لُغويًا قبل النظر إلى المراجع الشرعية.

تعيين معنى الخاتم:

لا يتوهم أحدٌ بأنَّ **الخاتِم** – بالكسر، أو **الخاتَم** – بالفتح، في آية "خاتم النبيين" يدل على ما يُتختم به، أو على فص المهر، أو على نقرة القفا، أو على وضح القوائم، أو على نقش المهر، فعدم دلالة الخاتم في آية

خاتم النبيين بديهي، فتعين أن المراد في "الخاتم" الأخير بدون تكلف، كما أجمع علماء اللغة، وعقلاء الناس على بطلان اختيار المعنى المجازي، إذا صح للفظ معناه الحقيقي.

أمَّا الخاتِم – بكسر التاء – هو الذي "يختم به الشيء"، فيكون الأخير في بابه.

فالحاصل أننا لو لم نلاحظ تصريحات الكتاب والسُّنَّةِ وتفاسير الصحابة ﷺ والتابعين، وشهادات أئمة السلف الصالحين، واعتمدنا على لغة العرب فحسب، فإنها تُحَتِّمُ علينا بأنَّ تركيب **"خاتم النبيين"** له معنيان متحدا المآل:

أحدهما: آخر النبيين.

ثانيهما: الذي يختم النبيين.

فمعنى **"خاتم النبيين"**: الذي جاء آخرهم أو الذي يختمهم، ثم إنَّ حاصل "الآخر"، و"الذي يختم" واحد وهو: أنَّ سيدنا محمدًا ﷺ "آخر النبيين"، ولا نبي بعده، وأنه هو الذي ختم به أنبياء الله، فلا ينبئ أحدًا بعده.

المفهوم الإسلامي لـ"خاتم النبيين"، ومرجعيته:

لقد تعيّن المدلول اللغوي وهو المفهوم الإسلامي لخاتم النبيين، وهو أن محمد رسول الله ﷺ هو "آخر أنبياء الله"، والذي لا ينبّأ أحد بعده، ولا يعني ذلك الفصل بين آخريته ﷺ في النبوّة، وبين أفضليته في الرسالة

والنبوة، لأن الشرفين من خصوصية نبينا ﷺ بدون فضل ثابتين بأدلة مستقلة ومرجعية الأمة في هذه العقيدة اللغة والنقل، كما نفصل في بيانها بعد ذكر المفهوم القادياني لخاتم النبيين ومرجعيته.

المفهوم القادياني لخاتم النبيين، ومرجعيته:

إن المفهوم القادياني لخاتم النبيين يختلف تماماً من مفهوم خاتم النبيين لدى الأمة المسلمة، كما إنّ مرجعية القاديانية تعارض تماماً اللغة والنقل، لقد حملت القاديانية لفظ "الخاتم" الوارد في آية خاتم النبيين قياساً على كلام الناس "فلان خاتم المحدثين"، والمعروف أنّ هذه المحاورة قد استعمل فيها "الخاتَم" للمبالغة، ويُحمل على "الأفضل" مجازاً، لأن القائل لا يعلم الغيب، ولا يعرف "الأخير" في هذا الوصف، فكلامه إما يكون كذباً لأنه تكلم في ما لا يعلمه، أو أراد المتكلم المبالغة في هذا الوصف فيُحمل على "الأفضل" وقاية لكلامه من الكذب، ويحمل كلامه على غير الحقيقة، فهكذا تحمل القاديانية "خاتم النبيين" بمعنى "أفضل النبيين" مع إنكار آخريته، وهكذا فصلت القاديانية بين شرف الآخرية وشرف الأفضلية لمحمد رسول الله ﷺ، وتصرّح باستمرار النبوة بعده ﷺ، وإطلاق القاديانية تركيب "خاتم النبيين" على محمد رسول الله ﷺ بهذا المفهوم.

بطلان مرجعية القاديانية، ومفهومها لخاتم النبيين:

فخاتم النبيين عند القاديانية ليس آخرهم، ولا من الذي يختم الله به سلسلة النبوّة، بل خاتَم للنبيين عندهم هو أفضلهم بالوجه المذكور، بل ومن يصنع بختمه النبيين حسب تعبير القاديانية، كما تصرح القاديانية أنّ

"الخاتم" مشترك بين الأخير والأفضل، فاختار المسلمون الأخير بلا مرجح، ونحن اخترنا "الأفضل"، وهو الأنسب.

نقول: إنه قول باطل، لأن المشترك ما يدل على أكثر من معنى وضعاً ولغةً، وجميع معانيه وضعية ابتداءً، وإذا كان اللفظ قد استعمل استعمالاً مجازيًا لغرض بلاغي مع وجود قرينة ذلك المعنى، فلا يكون ذلك المدلول المجازي معنى اللفظ، فلا اشتراك لأجل ذلك المعنى المجازي، فإذا استعمل "الأسد" مجازاً للرجل الشجاع، فلا يقال إن "الأسد" مشترك بين "الحيوان المفترس" و"الرجل الشجاع"، لأنه ليس من معناه الوضعي، وهكذا الاشتراك في "الخاتم" بين الأخير والأفضل"، لأن دلالة "الخاتم" في كلام الناس على "الأفضل" مجاز، ودلالة "الخاتم" على "الأخير" في كلام الله حقيقةً، ولا يخفى على أهل العلم هذا الأمر.

وقد خصصنا مقالاً لبيان غرض القاديانية من حمل "الخاتم" على "الأفضل"، وفصلنا القول في إبطال توجيه القاديانية ومرجعيتها.

مستند المفهوم الإسلامي لخاتم النبيين:

ما هو معتقد الأمة في مدلول "خاتم النبيين"؟ هو ما ذكره المفسرون الإسلاميون في مؤلفاتهم، **وفيما يلي بيان ذلك:**

يقول الألوسي رحمه الله في روح المعاني: "والخاتم" اسم آلة لما يختم به، كالطابع لما يطبع به [1]، فمعني "خاتم النبيين" الذي خُتم النبيون به، ومآله

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي: (١٧٤/٧).

خاتم النبيين.

ويقول صاحب التفسير الأحمدي: والمآل على كل توجيه هو المعنى الأخير، ولذلك فسَّر صاحب المدارك قراءة عاصم بالآخر، وصاحب البيضاوي كلا القراءتين بالأخير".

وقال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله في مفردات القرآن: وخاتم النبيين، لأنه ختم النبوّة أي تممها بمجيئه [١].

قال السيوطي رحمه الله: (واسمه مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية) عن المفردات للإمام راغب الأصفهاني: لم يُصنف مثله في لغة القرآن.

وقال ابن سِيده في المحكم: وخاتَم كل شيء وخاتمته عاقبته وآخره[٢].

ويقول الأزهري في التهذيب: والخاتَم والخاتِم مِن أسماء النبي ﷺ، وفي التنزيل الحكيم: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ **[الأحزاب:٤٠]**، أي: آخرهم[٣]، وقد ذكر السيوطي أنَّ هذين المؤلفين عمدةٌ في لغة العرب.

وجاء في لسان العرب: و"خاتِمُهُم وخاتَمُهُم آخرُهم" ، وعن اللحياني "ومحمد ﷺ خاتِمُ الأَنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام" [٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: (ص: ٢٧٥).
(٢) المحكم والمحيط الأعظم: (١٥٦/٥).
(٣) تهذيب اللغة: (١٣٨/٧).
(٤) لسان العرب: (١٦٤/١٢).

قاعدة: ويستنبط مِن هذا القول قاعدة لغوية وهي: أنَّ لفظ الخاتَم والخاتِم إذا أضيف إلى القوم يتعين مرادهما وهو آخرهم الذي يختمهم، ولما أضيف الخاتَم أو الخاتِم إلى النبيين، فلا يراد به إلا آخرهم، فقد تَعيَّن مراد الخاتَم والخاتِم بالإضافة (أي: أنَّ المضاف إليه وهو النبيين قد عيَّن مراد الخاتَم).

يقول صاحب تاج العروس: ومِن أسمائه -عليه السلام- الخاتَم والخاتِم، وهو الذي ختم النبوّة بمجيئه [(١)].

وفي مجمع البحار: الخاتَم والخاتِم مِن أسمائه ﷺ، فبالفتح اسم أي: آخرهم، وبالكسر اسم فاعل أي: الذي ختمهم.

وجاء فيه أيضًا: "خاتِم النبوّة" بكسر التاء أي فاعل الخَتْمِ وهو الإتمام، وبفتحها بمعنى الطابع أي: شيء يدل على أنه لا نبي بعده.

وقد أوضح المعنى أكثر من ذلك صاحب الكليات أبو البقاء حيث قال: وتسمية نبينا "خاتَم الأنبياء" لأنَّ الخاتَم آخر القوم قال الله تعالى: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]** [(٢)].

وهكذا اتضح وجه تسمية نبينا ﷺ "خاتم النبيين" وهو أنه آخرهم.

ثم يقول صاحب الكليات: ونفي الأَعَمِّ يستلزم نفي الأَخَصِّ[(٣)].

---

(١) تاج العروس: (٣٢/٤٨).
(٢) الكليات: (ص: ٤٣١).
(٣) المصدر السابق.

أي: أنَّ الآية لما نُفي فيها مجيء نبي بعد محمد ﷺ، فهذا يستلزم نفي الرسول أيًّا كان نوعه تشريعيًا أو غير تشريعي.

إلى هنا وقد اتضح: أنَّ مفهوم "خاتم النبيين" هو آخر النبيين مِن حيث اللغة، والآية نصت على نفي وجود نبي بعده عليه الصلاة والسلام.

إلى هنا وقد ذكرنا مفهوم "الخاتم" لغةً، ومدلوله وضعاً، واستعماله مجازاً.

أدلة عقيدة الأُمَّةِ المسلمة في "ختم النبوّة":

ذكرنا مفهوم "الخاتم"، واستعماله مضافًا إلى النبيين في كلام الله، وفي نظر علماء اللغة العربية، واستعمال لفظ "الخاتم" مضافًا إلى أي جنس في كلام الناس، والآن نذكر الأدلة الشرعية لعقيدة الأمة المسلمة بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ هو "خاتم النبيين" بمعنى آخرهم، وهو الذي قد ختم الله به النبيين عليهم السلام.

فنقول: وبالله التوفيق، لقد استدل علماء الإسلام سَلَفًا وخَلَفًا على عقيدة الأمة المسلمة بمئات مِن الآيات القرآنية ، وقد أَلَّفَ البعض مؤلفاتٍ مستقلة بعنوان "بيان عقيدة ختم النبوّة في القرآن "، كما استدلوا على ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة، واستدلوا أيضًا بإجماع الأمة المسلمة لجميع طبقاتها منذ عهد الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا.

فالمصدر الأول لإثبات هذه العقيدة: القرآن الكريم.

والمصدر الثاني: أحاديث خاتم النبيين ﷺ.

والمصدر الثالث: إجماع الأمة المسلمة منذ صدرها الأول لجميع

طبقاتها.

والمصدر الرابع: اللغة.

وقد أشرنا إلى بيان المعنى اللغوي للخاتم.

أما ذكر المصادر الثلاثة الباقية وهي أدلة الأمة المسلمة في عقيدة ختم النبوّة من "القرآن الكريم"، ومِن كلام خير الأنام سيد الرسل وخاتم النبيين ﷺ، ومِن إجماع الأمة المسلمة، ففيما يلي بيانها:

أولا: أدلة عقيدة الأمة المسلمة في "ختم النبوّة" مِن القرآن الكريم:

بياناً لعِظَمِ القدر ونظرًا إلى أهمية عقيدة "ختم النبوّة" عند مُنزل القرآن الكريم، فلقد أَلْفَت أكثرُ مِن مئة آية الضوء على مسألة "ختم النبوّة"، ونقول على وجه الإجمال بأنَّ كل آية تدل على عموم رسالة النبي الخاتم ﷺ دليل على عقيدة ختم النبوّة، مثل قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهذه الآيات ومثلها من آيات القرآن كلها تدل على أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، هو نبي للعالمين، وهو رسول رب العالمين سواءٌ مَن أدركه في حياته، أو مَن وُلِد بعد وفاته، أو مَنْ سيُولَدُ إلى يوم القيامة، لأنَّ ألفاظ "**جميعًا**"، "**كافَّةً**"، "**الناس**" ، كلها لبيان شمولهم، وعموم بعثة نبينا محمد رسول الله ﷺ، وهذا مِن خواص خاتم النبيين ﷺ،

والذي أرسله الله بعد الرسل كلهم، والذي جاء بعدهم جميعاً، ولن يأتي أحد بعده.

ولفظ العالمين يَعُمُّ البشرية كلها بلا تخصيص في الزمان والمكان والإنس والجان، وهذا مفهوم عقيدة "ختم النبوّة".

والآن نشير إلى بعض الآيات بشيء من التفصيل:

الآية الأولى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠].

إنَّ قول الله تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، قد قُرِئَ "وَخاتِمُ النَّبِيِّينَ"، فليس الخاتِمُ إلاّ مَن خَتَمَ الله به النبيين عليهم السلام، وقد نُقِلَ عن عبد الله بن مسعود ﷺ قراءته لهذه الآية، وهي: (ولكِنْ نبيًّا خَتَم النَّبِيِّينَ)[1]، وهذه القراءة استأصلت جميع الاحتمالات والتحريفات في لفظ الخاتَم، فمحمد رسول الله ﷺ هو نبي الله الذي قد خَتَمَ الله به النبيين كلهم عليه وعليهم الصلاة والسلام.

وقد استدل بعض أهل العلم على كون نبينا ﷺ "خاتم النبيين" و"آخرهم" و"أفضلهم" بأكثر مِن موضع في القرآن الكريم بدءًا مِن سورة الفاتحة وانتهاءً إلى سورة الناس، وخير مُؤَلَّفٍ في هذا "آيات ختم النبوّة" لمؤلفه الشيخ: محمد سيف الرحمن، المدرس بمدرسة نصرة العلوم، جوجرآنوالا، باكستان، وهذا المؤَلَّفُ باللغة الأوردية، وهناك مؤلف قيم

---

(١) تفسير الطبري: (١٢٢/١٩)، تفسير الكشاف: (٥٤٤/٣)، تفسير النسفي: (٣٤/٣)، تفسير أبي السعود: (١٠٦/٧).

علمي من تأليف شيخ مشائخنا المفتي محمد شفيع رحمه الله يقع في ثلاث مجلدات، قد جمع (رحمه الله تعالى) في الجزء الأول منه تسعًا وتسعين آية تدل على انقطاع سلسلة النبوّة بجميع أنواعها التشريعية وغير التشريعية كلها، وحسب زعم الميرزا الظلية والبروزية أيضًا، ثم جمع في الجزء الثاني في نفس الموضوع مئتين وعشر حديثًا في موضوع ختم النبوّة، وبيان كذب ودَجل مَن ادّعى النبوّة بعد خاتم النبيين ﷺ، كما رتَّبَ في الجزء الثالث منه آثار السلف الصالح مِن أقوال الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين والمحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وعلماء السلوك ، مع ذكر شهادات الأنبياء السابقين والأمم السالفة في مسألة "ختم النبوّة"، وإنَّ لبيان شرف "ختم النبوّة" مِن أهم خواص سيد الرسل وخاتم النبيين نبينا محمد ﷺ.

تعيين النبي ﷺ مدلول "خاتم النبيين"، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمهم الله في ذلك:

١) **نقل ابن أبي حاتم:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أنا أوَّلُ النبيين خَلْقًا، وآخرهم بعثًا [١].

٢) **ونقل عن الشعبي:** قول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه حيث يقول: قال رجل عند المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: "صلى الله على محمد خاتم الأنبياء"، لا نبي بعده [٢].

---

(١) تفسير السمعاني: (٤/٢٦١).
(٢)الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦/٦١٨).

٣) **قال الإمام أبو جعفر الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ فيما رواه عن قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب:٤٠]، أي: آخرهم [١].

٤) **وذكر السيوطي**: (وهو مِن المجددين عند القاديانية) عن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ قال: ختم الله النبيين بمحمد ﷺ وكان آخر مَنْ بُعِثَ [٢].

٥) **وَعَن قَتَادَة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَدَأَ بِهِ فِي الْخلق، وَختم بِهِ فِي الْبَعْث[٣].

٦) **وقال الإمام أبو جعفر الطبري**: في تفسير آية: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوّة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل [٤].

٧) **ونقل ابن جرير الطبري**: قول علي بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾: أي ختم النبيين، وخاتَمُ النبيين، بفتح التاء، بمعنى أنه آخر النبيين [٥].

فتعيَّن مِن هذا كله مفهوم "خاتم النبيين" عند النبي ﷺ وصحابته وعند

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/٢٧٨).
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٦/ ٦١٧).
(٣) المصدر السابق:
(٤) تفسير الطبري: (١٩/ ١٢١).
(٥) تفسير الطبري: (٢٠/ ٢٧٩).

التابعين.

يقول الزمخشري في الكَشَّاف: (واسمه مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية) الخاتَمُ -بفتح التاء- بمعنى الطابَع آلة الختم، وبكسرها بمعنى الطابِع وفاعِل الخَتْمِ، وتقوّيه قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ (ولكن نبيًا ختم النبيين)، فإن قلتَ: كيف كان آخر الأنبياء، وعيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان؟ **قلتُ:** معنى كونه "آخر الأنبياء"، أنه لا يُنَبَّأُ أحد بعده، وعيسى ممن نُبِّئ قبله[1].

وقال السيد محمود الألوسي في روح المعاني (٢١٣/١١): والمراد بكونه عليه السلام خاتمهم، انقطاع حدوث وصف النبوّة في أحد مِن الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام، بها في هذه النشأة، ولا يقدح في ذلك ما أجمعت عليه الأمة، واشتهرت فيه الأخبار، ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي، ونطق به الكتاب على قول، ووجب الإيمان به، وكفَّرَ منكره، كالفلاسفة مِن نزول عليه السلام آخر الزمان، لأنه كان نبيًا قبل تحلِّي نبينا ﷺ بالنبوّة في هذه النشأة.

و"في تفسير الخازن" (٤٢٩/٣): "خاتم النبيين" ختم الله به النبوّة، فلا نبوّة بعده ، أي ولا معه.

وقال الحسن: الخاتم هو الذي خُتِمَ به، والمعنى: ختم الله به النبوّة، فلا نبوّة بعده، ولا معه. قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: يريد لَو لَمَ أختم به النبيين لجعلتُ له ابنًا يكون بعده نبيًا، وعنه ﷺ أن الله لَمَّا حَكَمَ

---

(١) تفسير الزمخشري: (٥٤٤/٣).

ألاّ نبي بعده، لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً [١].

وقال النسفي: "خاتَمُ النبيين" . بفتح التاء . عاصم بمعنى الطابع، أي آخرهم، يعني لا يُنَبَّأُ أحد بعده، وعيسى عليه السلام ممن نُبِّئَ قبله وغيره، وبكسر التاء بمعنى الطابِعُ، وفاعل الختم ويقويه قراءة عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: **{ولكن نَبِيًّا خَتَمَ النبيين}** [٢].

وقال الزرقاني رحمه الله في شرح المواهب اللدُنِّيَّةِ: في تفسير قوله تعالى "وخاتم النبيين": ومنها يعني مِن خصائصه عليه السلام أنه خاتَم الأنبياء والمرسلين كما قال تعالى: ﴿**وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾ **[الأحزاب:٤٠]**، أي آخرهم الذي ختمهم، أو خُتِمُوا به على قراءة عاصم بالفتح [٣].

وروى أحمد والترمذي عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا "أنَّ الرسالة والنبوّة، قد انقطعت فلا رسول بعدي، ولا نبي"، قيل "مَن لا نبي بعده"، يكون أشفق على أمته، وهو كوالد ليس له غيره، ولا يقدح نزول عيسى عليه السلام بعده، لأنه يكون على دينه، مع أنَّ المراد أنه آخر مَن نُبِّئَ [٤].

وقال القاضي عياض رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾ **[الأحزاب:٤٠]**، "ومَن ادَّعى النبوّة لنفسه، أو جَوَّزَ اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادَّعى منهم،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن: (١٠١/١١).
(٢) تفسير النسفي: (٣٤/٣).
(٣) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (٢٣٥/٧).
(٤) مسند أحمد: (٣٢٦/٢١) رقم/١٣٨٢٤، سنن الترمذي: (٥٣٣/٤) رقم/٢٢٧٢، الضياء في الأحاديث المختارة: (٢٠٦/٧) رقم/٢٦٤٥.

أنه يوحى إليه، وإن لَمَ يَدَّعِ، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة، ويأكل مِن أثمارها، ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كُفَّارٌ مكذبون للنبي ﷺ، لأنه أخبر أنه ﷺ "خاتم النبيين"، ولا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وأنه أرسل إلى كافة الناس.

وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأنَّ مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا [١].

وجاء في تفسير "مراح اللبيد لكشف معنى القرآن المجيد": وتسمية نبينا "خاتم الأنبياء"، لأنَّ الخاتم آخر القوم، قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ثم قال ونفي الأعمِّ يستلزم نفي الأخصِّ.

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله: (واسمه مندرج في قائمة المجديدين لدى القاديانية): إنَّ الأمة قد فهمت مِن هذا اللفظ عدم نبي بعده أبدًا وعدم رسول بعده أبدًا، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص، فكلامه مِن أنواع الهذيان لا يمنع الحكم بتفكيره، لأنه مُكَذِّبٌ لهذا النص الذي أجمعت الأمة على أنه غير مُؤوَّلٍ ولا مخصوص.

إلى هنا وقد ذكرنا تفسير ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: وقطعية مفهومه وفْقَ ما فَسَّرَهُ الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون والأئمة والمجددون والمفسرون.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٢/٦٠٩).

سبب نزول آية "خاتم النبيين":

إن الاطّلاع على سبب نزول آية "خاتم النبيين" خير معين لترسيخ مفهوم "خاتم النبيين" في أذهان العامة والخاصة، ولأجل ذلك نذكره بعد ذكر تفسيرها، فكان زيدَ بن حارثةَ -رضي الله تعالى عنه- مولى رسول الله ﷺ، وليس ابنه من النسب، وقد كان التَّبَنِّي معروفًا في العرب، فكان زيدٌ معروفًا في الناس بزيد بن محمد، وقد زوَّجَ النبي ﷺ ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش الأسدية رضي الله تعالى عنها (زيداً) حين خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، فامتنعت أول الأمر، ثم أجابت، فزوَّجها النبي ﷺ، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهمًا، وخمارًا، ومِلْحَفَةً، ودِرْعًا، وخمسين مُدًّا مِن طعام، وعشرةَ أمداد مِن تمر، فمكثت زينب رضي الله عنها عند زيد قريبًا مِن سنةٍ أو فوقها، ثم وقع خلاف بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول لزيد: أمسك عليك زوجك واتق الله، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ** ﴾ **[الأحزاب: ٣٧]**، فأنعم الله على زيد بالإسلام ومتابعة "خاتم النبيين" ﷺ [(١)].

وأنعم الرسول ﷺ عليه بالعتق، وقد كان -رضي الله عنه- كبير الشأن بين الصحابة ﷺ، حبيبًا إلى النبي ﷺ، ويقال له الحِبُّ ولابنه الحِبُّ بن

---

(١)تفسير الطبري: (٢٧٩/٢٠)، تفسير ابن أبي حاتم: (٣١٣٦/٩) رقم/١٧٦٩٤، تفسير السمعاني: (٢٩٠/٤)، تفسير البغوي: (٣٥٨/٦)، تفسير الخازن: (٤٢٩/٣)، تفسير ابن كثير: (٣٧٦/٦)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦١١/٦).

الحِبِّ ، أي المحبوب بن المحبوب، وقد أعلم الله نبيه ﷺ بأنَّ زينب رضي الله تعالى عنها ستكون مِن أزواجه، فحينما كان يأتي زيد إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه زينب رضي الله تعالى عنها كان النبي ﷺ يقول له: "اتق الله وأمسك عليك زوجك، ثم قال الله تعالى: ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ **[الأحزاب: ٣٧]**، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: لو كَتَمَ محمدٌ ﷺ شيئًا مما أُوحِيَ إليه مِن كتاب الله لَكَتَمَ: ﴿ **وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ** ﴾ **[الأحزاب: ٣٧]**، فإنَّ الله قد أخبر نبيَّهُ ﷺ بأنَّ زينب ستكون مِن أمهات المؤمنين، وكانت زوجة زيد المعروف في الناس بابن محمد، وكان الذي يَهُمُّ النبي ﷺ، هو قول الناس عندما يتزوج زينب بعد فراغ زيد منها، بأنَّ محمدًا تزوَّج زوجة ابنه، ولكن الله عزَّ وجلَّ أراد إبطال عادة التَّبَنِّي، فقال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا** ﴾ **[الأحزاب: ٣٧]**، أي: لَمَّا فرغ زيد مِن زينبَ، وفارقها كان الله ولي تزويجها منه، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي، ولا مهر، ولا عقد، ولا شهود مِن البشر [١].

هذا ملخص ما ذكره أهل التفسير في شأن نزول هذه الآية، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ المؤمنين عن التَّبَنِّي، حتى لا يُنْسَبُ زيدٌ إلى النبي ﷺ، فإنه ليس ابنه، فنزلت الآية ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ** ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**، فَقَطْعُ نسبة زيد ﷺ مِن النبي ﷺ أمرٌ ربَّاني، وورود اسمه ﷺ في القرآن،

---

(١) انظر: المراجع السابقة.

دون بقية الصحابة ﷺ أفضل تعويض لزيد ﷺ، وقول أعداء الإسلام بأنَّ محمدًا تزوَّج مُطَلَّقَةَ ابنه ردَّ الله عليه على وجه المبالغة بالبيان البليغ في هذه الآية.

كيف يجترئ هؤلاء الناس بالطعن في النبي الكريم ﷺ؟ فهو ليس بأبٍ لأحد مِن رجالكم، لأنه لَمْ يعش له مِن وَلَدٍ ذَكَرٍ حتى بلغ الحُلُمَ، فإنه وُلِدَ له القاسم والطيب والطاهر، وماتوا صغارًا، وَوُلِدَ له إبراهيم مِن مارية القبطية، ومات أيضًا رضيعًا، وكان له مِن خديجة رضي الله عنها أربع بنات وهنَّ: **زينب**، و**رقية**، و**أم كلثوم**، و**فاطمة** رضي الله تعالى عنهن، هذا ما قاله المفسرون في تفسير: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ورَدَّ اللهُ على زعم الأعداء بأنَّ محمدًا لَن يبقي ذِكْرُهُ في الدنيا، لأنه لَمْ يَبْقَ له وَلَدٌ ذَكَرٌ.

فكان الجواب مِن الرب تبارك وتعالى ردّاً على هذا الوهم قوله جلَّ وعلا: ﴿**وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فكونه رسول الله، فأُمَّتُهُ عليه الصلاة والسلام هم أولاده، ويرفع الله عزَّ وجلَّ ذِكْرَهُ: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وسيُخَلَّدُ ذِكْرَهُ في الناس إلى يوم القيامة، لأنه "خاتم النبيين" عليهم السلام.

فحمل لفظ "الخاتم" على معناه الحقيقي، وهو الأخير، والحقيقة إثبات كونه "آخر النبيين"، فيه يكمن الغرض مِن سياق الآية، وفيه الردُّ على قائلي المقولة المذكورة.

ثم إنَّ دعوته ورسالته تَعُمُّ الزمان والمكان والبشرية أجمعين، فعموم رسالته يحدد تخصيص "الخاتم" بمعنى "آخر النبيين" الذي لا نبي بعده، فيكون الرَّدُّ بأقوى الأساليب وأبلغها.

وقد خَصَّه الله بهذا الشرف العظيم أي أنه "آخرهم وأفضلهم" بمقتضى علمه وحكمته، حيث أعلن جلّ وعلا: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**.

وقد فَسَّرَ النبي ﷺ بنفسه مفهوم "خاتم النبيين" كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) (١).

وما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلِي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان مَنْ دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة خُتِمَ بي الأنبياء عليهم السلام) (٢).

وما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلِي ومثل النبيين مِن قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأتمَّها إلا لبنة واحدةً، فجئت أنا فأتممت تلك اللبنة) (٣).

---

(١) سنن الترمذي ت شاكر: (٥٣٣/٤) رقم/٢٢٧٢، مسند أحمد: (٣٢٦/٢١) رقم/١٣٨٢٤.
(٢) مسند أبي داود الطيالسي: (٣٣٣/٣) رقم/١٨٩٤.
(٣) مصنف ابن أبي شيبة: (٣٢٣/٦) رقم/٣١٧٦٩، مسند أحمد ط الرسالة: (١٢١/١٧) رقم/١١٠٦٧

وما رواه عثمان بن الراسبي قال سمعتُ أبا الطُّفَيْلِ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا نبوّة بعدي إلا المبشرات، قال: قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الحسنة أو قال: الرؤيا الصالحة) (١).

وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ مَثَلِي ومثل الأنبياء مِن قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتًا فأحسنها وأكملها وأجملها إلا موضع لبنة مِن زاوية مِن زواياها فجعل الناس يطوفون ويعجبهم البنيان ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك، قال رسول الله ﷺ فكنت أنا اللبنة) (٢).

وقال أيضًا إنَّ رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍ: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لي الأغنام، وجُعِلَتْ لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرسلْتُ إلى الخلق كافَّةً، وخُتِمَ بي النبيون)(٣).

وما رواه محمد بن جبير بن مُطْعِمْ عن أبيه ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:(إنَّ لي أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي) (٤).

وعن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا كالمودع فقال: (أنا

---

(١) مسند أحمد: (٢١٣/٣٩) رقم/٢٣٧٩٥.
(٢) صحيح مسلم: (١٧٩٠/٤) رقم/٢٢٨٦، مسند أحمد ط الرسالة: (٤٧٥/١٣) رقم/٨١١٦.
(٣) صحيح مسلم: (٣٧١/١) رقم/٥٢٣، مسند أحمد: (١٩٤/١٥) رقم/٩٣٣٧.
(٤) صحيح البخاري: (١٨٥/٤) رقم ٣٥٣٢، صحيح مسلم: (١٨٢٨/٤) رقم/٢٣٥٤.

محمد النبي الأمي ثلاثًا، ولا نبي بعدي، أُوتيتُ فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعُلِّمْتُ كم خزنة النار، وحملة العرش وتجوز بي، وعُوفيتُ وعُوفِيَتْ أُمَّتي فاسمعوا وأطيعوا ما دمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي، فعليكم بكتاب الله أَحِلُّوا حلاله، وحَرِّمُوا حرامه) (١).

وما رواه أبو أمامة الباهلي ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: (وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأُمَمِ) (٢).

وما رواه العِرْبَاض بن سارية ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني عند الله مكتوب: خاتم النبيين وإنَّ آدم لمنجدلٌ في طينته) (٣).

قال ابن كثير (٦/٤٣٠): فمن رحمة الله تعالى بالعباد إرسال محمد، صلوات الله وسلامه عليه، إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له.

وقد أخبر تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه، أنه: (لا نبي بعده)، ليعلموا أنَّ كل مَن ادَّعَى هذا المقام بعده، فهو كَذَّابٌ أَفَّاكٌ دَجَّالٌ ضَالٌّ مضِلٌّ، ولو تَخَرَّقَ وشَعْبَذَ، وأتى بأنواع السِّحْرِ والطَّلاسِمِ والنَّيْرِجِيَّاتِ، فكلها مُحالٌ وضلالٌ عند أُولى الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العَنْسِي باليمن، وكذلك كل مُدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة، حتى

---

(١) مسند أحمد: (١١/٥٦٣) رقم/٦٩٨١.
(٢) الفتن لنعيم بن حماد: (٢/٥١٧) رقم/١٤٤٦، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم: (٢/٤٤٦) رقم/١٢٤٩، السنة لابن أبي عاصم: (١/١٧١) رقم/٣٩١.
(٣) مسند أحمد ط الرسالة: (٢٨/٣٩٥) رقم/١٧١٦٣.

يُخْتَمُوا بالمسيح الدَّجَّال، فكل واحدٍ مِن هؤلاء الكذابين يَخْلُقُ الله معه مِن الأمور ما يشهدُ العلماءُ والمؤمنون بِكَذِبِ مَن جاء بها، وهذا مِن تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلا على سبيل الاتفاق، أو لِمَا لهم فيه مِن المقاصد إلى غيره [١].

هذا تفسير وحي الله "خاتم النبيين" على لسان مَنْ أنزِلَ عليه هذا الوحي، وكان ﷺ أعلم الناس بما أُوحي إليه، ولَمْ يكن ليخطئ، ثم يعتذر في وحي الله، كما فعل الميرزا غلام أحمد، فإنه أَلَّفَ "**البراهين الأحمدية**" حسب زعمه بإلهام من الله، وذكر فيه بأنَّ المسيح ابن مريم، قد رفعه الله إلى السماء، ثم ينزل مثلما يعتقد المسلمون، ثم تغيَّرَ فَهْمُهُ حول رفع المسيح عليه السلام ونزوله، وصرح بأنَّ الذي وصل إليه تحقيقه في شأن المسيح، هو خلاف ما ذكره على وجه التقليد، فالمِلْهَمُ الرَّبَّاني، أو مَهْبَطُ الوحي الإلهي لا يُخطِئ في فهم الوحي الرَّبَّاني، وأخيرًا ادَّعى الميرزا بأنه هو المسيح ابن مريم عليه السلام، ومثل ذلك فعل الميرزا في باب النبوّة ، إلى أن وصل إلى فكرة البروز، وزعم أنه نبي بعد خاتم النبيين ﷺ.

فصرَّح أولاً بأنه مُدَّعِي الإلهام والمحدَّثية، وكان يقول يستحيل أن يأتي نبي بعد "خاتم النبيين" ﷺ، ويستحيل أن ينزل جبريل عليه السلام، وكان يُصَرِّحُ بأنَّ حديث (لا نبي بعدي)[٢]، حديث مشهور، لا مجال لأحد أن يتكلَّمَ فيه.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية: (٦/٣٨٤).

(٢) صحيح البخاري (٤/١٦٩) رقم/٣٤٥٥، صحيح مسلم (٣/١٤٧١) رقم/١٨٤٢.

وكان الميرزا يقرّ بأنَّ القرآن الكريم كل لفظ منه قطعي الثبوت، وأنَّ آية ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، مُصَدِّقَةٌ لهذه العقيدة بأنَّ النبوّة قد خُتِمَت، وانقطعت على نبينا ﷺ، كما ورد هذا في "كتاب البرية" صـ: ١٨٤، حيث أقرَّ الميرزا أمام الناس، وفي عاصمة الهند دلهي بأنَّ هذا الحقير (أي: الميرزا) غريب الوطن، لا يدَّعِي النبوّة، وأنَّه يؤمن بكل ما هو داخل في عقائد المسلمين، ووفق عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، وكل ما هو مُسَلَّمُ الثبوت مِن الكتاب والسنة هو مؤمن به.

وقال أيضًا: أُؤمن بأنَّ كلَّ مَنْ يدَّعي النبوّة والرسالة بعد سيدنا ومولانا حضرة محمد المصطفى ﷺ، هو كاذب وكافر، وهذا يقيني بأنَّ وحي الرسالة بدأ مِن آدمَ صفي الله، وانتهى بمحمد رسول الله ﷺ.

كما أَشْهَدَ الميرزا الربَّ تبارك وتعالى، وجميع العباد والموجودين على ذلك، وصرَّح بأنه لا يدَّعي أنه هو المسيح ابن مريم عليه السلام، وأنه لا يؤمن بالتناسخ (وهو معروف عند الهندوس بأنه ظهور الميت مرة ثانية في صورة شخص آخر أو في صورة حيوان)، كما صرَّح بأنه أحد المسلمين، وكل ذلك موجود في المجلد الأول صـ: **٢٣٠-٢٣١** في "**مجموعة الاشتهارات**"، وعند هذه التصريحات كان الميرزا حسب زعمه مأمورًا مِن الله، كما صرح في "**أنجام آتهام**" بالنص العربي:

"أشهد أنا نتمسك بكتاب الله القرآن، ونتَّبع أقوال رسول الله، ونقبل ما انعقد عليه الإجماع، لا نزيد عليها ولا ننقص، ومن زاد

على هذه الشريعة، أو نقص منها أو كفر بعقيدة إجماعية، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وهو مقصودي ومرادي ولا أخالف قومي في الأصول الإجماعية".

نقول: هذه المعتقدات لرجل يدّعي أنه مأمور مِن الله، لكنه قد غَيَّرَها وبَدَّلها، وجَوَّزَ النبوّة، وفتح باب الوحي، وأنكر إجماع الصحابة ﷺ، وأنكر ما أجمع عليه المسلمون، وأنكر المسَلَّمَاتِ الإسلامية، وصرَّحَ بأنه هو المسيح ابن مريم، فهل المأمور الرباني، والمِلْهَم لَمْ يفهم أمرَ الله وإلهامه الأول؟ أو أنَّ الذي أَنزَلَ عليه وحيه الجديد كان غير الذي ألهمه قبل؟.

وقد صرَّحَ بنفسه بأنَّ العدول عن عقيدة أهل السنة والجماعة، تجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأنَّ الذي يرتكب ذلك ليس بمؤمن (حسب تصريحه)، والمجمع عليه عند جميع العقلاء بأنَّ صاحب الوحي يكون أوَّلَ المؤمنين به، وهو أفهم الفاهمين له، وأعلَمُ الناس بما يُوحى إليه، فلذا ما نُقِلَ عن النبي ﷺ في تفسير "خاتم النبيين" لَمْ يُغَيِّرْهُ النبي ﷺ ثانية، وعليه انعقد إجماع الصحابة ﷺ والتابعين، ومَنْ بعدهم مِن الأئمة المجتهدين، وعلماء المسلمين مِن المحدثين والمفسرين، وبذلك صرَّحَ جميع المفسرين، وجميع المجددين المذكورة أسماؤهم في المؤلفات القاديانية، ولا مبرر عند القاديانية للخروج مِن هذا الإجماع بأي حجة لو كانوا مسلمين، ولَمْ يتجرأ أحد مِن المسلمين أن يخرج عن هذا الإجماع، وأنَّ معنى (لا نبي بعدي) أنه ﷺ آخرهم وأفضلهم، وقد جُمِعَ له الخاتمية في الزمن، والخاتمية في الرتبة.

الآية الثانية: آية إكمال الدين وإتمام النعمة:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتَمَ الأنبياء [1].

شأن نزول هذه الآية:

نزلت هذه الآية في حَجَّةِ الوداع، يوم الجمعة بعرفة، وقد عاش النبي ﷺ بعد نزولها ثمانين يومًا، ولم ينزل بعدها أي حكم في باب الحِلِّ والحرمة، إلاّ بعض الآيات على قول البعض، وقال البعض: إنها هي الآية الأخيرة.

فالحاصل أنَّ الآية تُعْلِنُ مِنَّةَ الله الكبرى على الأمة المحمدية، وهي الآية التي قالت اليهود عنها لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إني لأعلم حيث أُنزلت، وأين أُنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت يوم عرفة، وإنا والله بعرفة: **﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]**، وقد نزلت في يوم الجمعة، ويعني ذلك أنه اجتمع في نزولها عيدان: يوم عرفة ويوم الجمعة، وقد ذكر بعض الرواة أنَّ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الحمد لله الذي

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)

جعله لنا عيدًا [١].

وذكر الخازن عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: اجتمع في ذلك اليوم خمسة أعياد وهي الجمعة، وعرفة، وعيد اليهود، وعيد النصارى، وعيد المجوس، ولم تجتمع قبل، ولن تجتمع بعدُ أعياد الملل كلها في يوم واحد [٢].

وحاصل الكلام:

إنَّ الأمة المحمدية شُرِفَت بخصوصية قد أقرَّها أهل الكتاب، وهي: إكمال دينها، بحيث أنها لا تحتاج إلى يوم القيامة في باب العقائد، أو الأخلاق، أو العبادات، أو المعاملات، أو نظامها السياسي، أو المعاش والمعاد ، إلى شريعة أخرى، ولا إلى نبي آخر.

فلذا قال النبي ﷺ: (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك) [٣].

وفيها بشارة لبقاء هذا الدين، وعدم النسخ فيه، وعدم اندراسه إلى يوم القيامة، وهذا الفضل مخصوص بمخاطبي هذه الآية، وهم الأمة المسلمة، فكمال الدَّين، وإتمام النعمة أعظم دليل على عقيدة "ختم النبوّة"، حيث أنه لا دين بعد دين محمد ﷺ، ولا نبوّة لأحد بعد نبوته، ولا شريعة بعد شريعته، فـ"خاتم النبيين" مبعوث بـ"خاتم الأديان"، وأُمَّتُهُ خاتم الأمم، وهذا المفهوم لهذه الآية قد نُقِلَ عن جميع المفسرين والمجددين الذين قد اعترفت

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: (١٧/٦).
(٢) تفسير الخازن: (١٠/٢)، تفسير البغوي: (١٣/٣)، روح البيان: (٣٤٣/٢).
(٣) سنن ابن ماجه: (١٦/١) رقم/٤٣، مسند أحمد: (٣٦٧/٢٨) رقم/١٧١٤٢.

القاديانية بهم، ومنهم: ابن كثير، والفخر الرازي، والغزالي، وابن تيميه، وابن حجر، والملا علي القاري، والإمام محمد بن عبد الوهَّاب، والأمير الصنعاني، والمحدث عبد العزيز الدهلوي، والشاه رفيع الدين، والشاه عبد القادر، وقد ذكرنا هذه الأسماء، لأنَّ القاديانية مُعترفةٌ بمجدديتهم كما هو موجود في كتابها "عَسَلٌ مُصَفًّى".

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥٓ﴾ [آل عمران: ٨١]، ذَكَرَت هذه الآية العهد، والميثاق الذي أخذه الله على جميع الأنبياء في الأزل، بأنَّه لو بُعِثَ محمدٌ ﷺ في حياتكم، فعليكم الإيمان به ونصرته.

ونقل الزرقاني عن علي بن أبي طالب وابن عباس: (ما بَعث الله نبيًا مِن الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعِثَ محمدٌ ﷺ وهو حي لينصرنَّهُ)[1].

هذا ملخص ما قاله السادة المفسرون في تفسير الآية نقلا عن الصحابة رضي الله عنهم ومَنْ بعدهم.

ولا شك أنَّ هذا البيان من القرآن الكريم مِن أقوى الحجج لأفضلية النبي الخاتم ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين، لأنه هو الذي من أُخذ الميثاق منهم للإيمان به، ونصرته، فإننا ندعو إلى التأمل في قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (٣٤٤/٨)، السيرة النبوية لابن كثير: (٣٢٠/١).

﴿ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٨١]، فقد صرَّح الربُّ تبارك تعالى بأنَّ صاحب هذه الأفضلية هو الذي سيأتي بعد جميع المرسلين والمصدق للجميع، ومن هنا لقد تعيّن مفهوم الخاتم، ومصداق الأفضل أي الأفضلية من خواص الآتي بعد الرسل كلهم والمصدق لأجمعهم، فالجامع بين الأمرين أي "الأفضلية" و"الآخرية" لمحمد رسول الله ﷺ، فالخاتمية في الشرف، والخاتمية في الزمن، قد جمعا للنبي الخاتم ﷺ بدون فصل بينهما، بل إن الأفضلية والآخرية في باب النبوة هما فضلان مستلزمان مخصوصان بنبينا ﷺ، ومن فصل بينهما، أو أنكر أحدهما، فهو معارض لبيان القرآن، فمن أنكر أحدهما يلزمه إنكار الآخر، لأن الله عزّ وجلّ قد جمع له ﷺ خاتمتين، الخاتمية في رتبة الرسالة، والخاتمية في بعثة النبوة, أي هو أفضل الرسل منزلة ورتبة، وإليه تنتهي النبوّة الربّانية، أو الخاتمية في الزمن، أي تنتهي سلسلة النبوّة الربّانية إليه، فهو آخر النبيين بعثًا، فلا نبي بعده.

هذا هو تفسير كون محمد ﷺ "خاتم النبيين" وفق بيان القرآن الكريم.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

الآية الخامسة:

قوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١].

الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء: ٧٩].

الآية السابعة:

قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤].

هذه الآيات كلها أدلة قطعية لبيان مفهوم "ختم النبوّة"، التي بها قد بُعث محمدٌ رسول الله ﷺ كـ"خاتم النبيين"، فإنَّ بعثته العامة، ورسالته الشاملة لجميع البشر، ولجميع الأمكنة والأزمنة، قد حَدَّدت مفهوم ختم نبوته ﷺ، وأنه ﷺ خاتمهم بمعنى آخرهم، فلذا كانت بعثته بعد الأنبياء كلهم، جاء بخاتمة الشرائع، وقد أغنى عموم رسالته، وشمول دعوته البشرية مِن أي نبوّة ورسالة أخرى، كما أغنى كمال الدين، وإتمام النعمة عن أي دين آخر وصاحبه، فلذا قال النبي ﷺ: (أنا رسول مَنْ أدركتُ حيًّا ومَنْ يُولَدُ بعدي)[1]، وقد قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآيات: "أنَّ هذا مِن شرفه وعظمته ﷺ بأنه خاتم" [2].

الآية الثامنة:

قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

لقد صرَّحت هذه الآية بأنَّ القرآن الكريم المنزل على خاتم النبيين ﷺ

---

(١) الجامع الصغير: رقم/٣٢٣٩، وقال: رواه ابن سعد عن الحسن مرسلا، كنز العمال: (٤٠٤/١١) رقم/٣١٨٨٥.

(٢) تفسير ابن كثير: (٤٨٩/٣).

شريعة كلِ مَن يبلغه هذا القرآن إلى يوم القيامة، فهي حُجَّةٌ على كون القرآن الكريم "خاتم الكتب السماوية"، فلا وحي، ولا شريعة بعده، وكون صاحبه "آخر الأنبياء" عليهم السلام، فلا نبوّة بعده، وقد أغنى القرآن الكريم عن وحي آخر، وعن صاحبه غير "خاتم النبيين" ﷺ.

الآية التاسعة:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

ذكر ابن كثير وغيره مِن المفسرين الذين قد اعترفت القاديانية بمجدديتهم، بأنَّ الأحزاب في هذه الآية هم شعوب العالم كله [١]، فالآية دليل على حصر النجاة في اتباع "خاتم النبيين" عليه الصلاة والسلام، فلا حاجة للبشرية إلى غيره كمبعوث سماوي أيًّا كان.

الآية العاشرة:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠].

ذكر المفسرون الإسلاميون بأنَّ المراد مِن (ٱلرَّسُولُ)، هو مَنْ أنزلت عليه هذه الآية، وهو محمد ﷺ، و"الْحَقُّ " هو دينه الذي جاء به "خاتم النبيين" كخاتم الأديان، وأنَّ المراد مِن "النَّاس" الإنسان كلهم، وخيرية البشرية كلها

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٠١٥/٦) رقم/١٠٧٦٩، تفسير الماوردي: (٤٦٢/٢)، التفسير الكبير للرازي: (٣٣٠/١٧)، تفسير الجلالين: (ص: ٢٨٧)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٤١١/٤)، فتح القدير للشوكاني: (٥٥٤/٢).

في الايمان برسول الجميع، وهو محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، فمثل هذا البيان لعموم البعثة أقوى دليل على عقيدة "ختم النبوّة".

الآية الحادية عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

تدل هذه الآية على إثبات عقيدة "ختم النبوّة" مِن وَجْهَيْنِ:

أولاً: فيها بيان عموم البعثة، ومِن لوازمها كون صاحبها آخر الأنبياء عليهم السلام.

ثانيًا: صرَّحت الآية ببيان قضاء الله المحتوم، وهو كون محمد رسول الله رحمةً للعالمين، وكون الإيمان به ضمان النجاة، وسعادة الدارين للعالمين، فأنَّى عُلِمَ أنَّ هناك شخصًا آخر حلَّ هذه المنزلة، (كما تُعْلِنُ القاديانية عبر وسائلها الإعلامية بأنَّ أمن العالم، ونجاة البشرية مرهونة بقبول الإنسانية مبعوثها السماوي، وهو الميرزا غلام أحمد القادياني)، فإن ثبت وجود مثل هذا الخبر، فإنه مستلزم لكذب التصريح الرباني المذكور في هذه الآية.

فهذا يدل على أنه لا يوجد نبي بعده ﷺ، حتى يكون الإيمان به واجبًا، ورفضه كفراً، وبُعدًا عن السعادة والرحمة الربانية، بل كونه ﷺ رحمة للعالمين دليل حَتْمِيٌّ على كونه ﷺ "آخر النبيين".

الآية الثانية عشر:

قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ

﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

لو صح وجود نبي بعد "خاتم النبيين" ﷺ فلا يخلو مِن حالتين:

أولاً: أنه يَتَّبَعُ سبيل المؤمنين بمقتضى هذه الآية.

ثانيًا: أنه يدعو الناس إلى اتّباعه بمقتضى نبوته.

فالوجه الأول: يستلزمه قلب الموضوع ؛ لأنَّ أنبياء الله -عليهم السلام- لا يَتَّبِعُونَ سبيل الآخرين، بل إنهم يدعُون الآخرين إلى سبيلهم وطاعتهم بأمر الله عزَّ وجلَّ حيث يقول: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [النساء: ٦٤]، فيكون الرسول مُطَاعًا لا مُطِيعًا، لأنَّ الرسول لو كان مُطيعا، فهذا الأمر يُوقِعُ الناس في المشقة، قال الله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ [الحجرات: ٧].

فلا ينبغي لنبي أن يأتي ويتَّبِعَ سبيل المؤمنين، والسبيل إمَّا أن يكون سبيل الضلال والعياذ بالله، أو الصراط المستقيم، ومِن البديهي أنَّ سبيل المؤمنين هو الصراط المستقيم .

كما أنَّ هذا الأمر بديهي أيضًا بأنَّ النبي لا يكون مُتَّبِعًا بل يكون مُطاعًا، فلو أطاع سبيل المؤمنين، لقُلِبَ الموضوع، وإن تَرَكَ سبيلهم، فحسب الآية المذكورة يكون قد سلك مسلك الضلال (عياذا بالله).

والوجه الثاني: أن يدَّعي بعد "خاتم النبيين" أحد النبوّة دون أي حاجة إليه، فلم يُبعَث أحدٌ لأن يكون مُطاعًا، ولا أن يكون مُطيعًا، فما الغرض إذًا مِن البعث؟

إنَّ مُدَّعي النبوّة بعد "خاتم النبيين" خاسر على الوجهين، لو اتبع سبيل المؤمنين لا يكون نبيًا، وإن لَمْ يتبع لاستحق عقوبة الباري جلَّ وعلا لقوله تعالى: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وتعيَّن أنَّ يكون محمدٌ رسول الله ﷺ هو "آخر النبيين".

والمؤمنون قد سلكوا هذا المسلك (أي في باب النبوّة) بأنَّ بعثة محمد ﷺ قد أغنتهم عن نبوّة أخرى، فلا حاجة لهم، ولا للبشرية عمومًا إلى نبي، أو إلى نبوّة.

وعلى القاديانية أن يتأمَّلوا في هذه الآية وأن يتَّبعوا سبيل المؤمنين، وألاّ يتولوا لأنَّ الله عزَّ وجلَّ توعّد مَنْ ترك سبيل المؤمنين قائلاً: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

الآية الثالثة عشر:

قوله تعالى: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]، أُطلق "الآخرين" في هذه الآية على الأمة المحمدية، والتي نبيها هو الأخير في سلسلة النبوّة، وهي آخر أمة في الأمم، فلا يُولَدُ نبي بعد "خاتم النبيين" ﷺ، ولن توجد أمة بعد آخر الأمم.

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره هذه الآية: يقول تعالى ذِكْرُهُ: جماعة مِن الأمم الماضية، وقليل مِن أمَّة محمد ﷺ وهم الآخرون،

وقيل لهم "الآخرون" لأنهم آخر الأمم [١].

الآية الرابعة عشر:

قوله تعالى: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠]، فذِكْر أمة محمد ﷺ في هذه الآية كآخر الأمم إعلان مِن الله تعالى بأنَّ نبيهم "آخر الأنبياء"، وهي عقيدة الأمة المسلمة، بخلاف الملة القاديانية.

ونكتفي بذكر ما ورد في شأن نزولها.

قال ابن مسعود ﷺ في تفسير هذه الآية: سمعت النبي ﷺ يقول: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم قال: فوالذي نفسي بيده، إني لأرجو أن تكونوا شطْرَ أهل الجنة، فكبَّرنا، ثم تلا هذه الآية: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٩-٤٠] [٢].

الآية الخامسة عشر:

قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴾ [المرسلات: ١٦-١٧]، ذكر المفسرون في تفسيرها بأنَّ المراد مِن "ٱلْأَوَّلِينَ" جميع الكفار الذين

---

(١) تفسير الطبري: (٩٨/٢٣).
(٢) تفسير الطبري: (٥٦١/١٨).

كانوا قبل "خاتم النبيين" ﷺ و"الآخرين" هم كُفَّارُ الأمة المحمدية [١]، والمعنى: سنفعل ذلك، ونُتْبِعُ الأولَ الأخرَ، فإذا كان كُفَّارُ أمة محمد ﷺ "الآخرين"، فثبت منه كون نبينا ﷺ آخر الأنبياء، وكون أمته آخر الأمم.

الآية السادسة عشر:

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١]، فقوله عزَّ وجلَّ هذا يدلُّ على أنَّ مرجع بيان الأشياء هو تنزيل القرآن الكريم، ولا مرجعية للعلم الشرعي غير وحي القرآن الكريم، فلمَّا كان القرآن الكريم آخر الكتب، لبيان شرائع الله، كان هذا دليلاً صريحًا على أنَّ مَنْ أنزِلَ عليه القرآن هو آخر الأنبياء.

الآية السابعة عشر:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، [الفتح: ٢٨]، [الصف: ٩]، ففي هذه الآية بيان مِن الله عزَّ وجلَّ بأنَّ الحق الذي بُعِثَ به "خاتم النبيين" ﷺ كان الغرض منه إظهار غلبته على سائر الأديان والملل، فالحق الذي قُضي في حقه أن يكون غالباً على سائر الأديان لا يكون إلا مَنْ جاء به أن يكون آخر الأنبياء.

---

(١) تفسير الثعلبي: (١٠/١٠٩)، تفسير السمعاني: (٦/١٢٨)، تفسير ابن كثير: (٨/٢٩٨)، تفسير الثعالبي: (٥/٥٣٨)، مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد: (٢/٥٩٢).

ونكتفي بهذا القدر مِن آيات القرآن الكريم الدالة على كون محمد رسول الله ﷺ "خاتم النبيين"، بالمعنى الذي فسَّرَهُ رسول الله ﷺ، وأجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون ومَن بعدهم مِن علماء الإسلام، وعليه الأمة المسلمة أجمعها، وهو أنه "آخر الأنبياء"، و"لا نبي بعده". ومن أراد التفصيل أكثر فعليه مراجعة كتاب "**ختم النبوّة في القرآن**" للمفتي محمد شفيع رحمه الله.

بيان عقيدة "ختم النبوّة" في الأحاديث والآثار:

لقد نُقل في بيان عقيدة "ختم النبوّة" الأحاديث النبوية الكثيرة، والتي بلغت بسبب كثرة رواتها درجة التواتر، ومِن المعلوم أنَّ الخبر المتواتر يفيد العلم القطعي، ومِن الصعب حصر هذه الأحاديث واستيعابها، ولكننا سنشير إلى بعضها.

قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ **في "الملل والنحل"**: "قد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوته وأعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده ... فوجب الإقرار بهذه الجملة، وصح أن وجود النبوّة بعده عليه السلام باطل، لا يكون ألبته" (١).

أي: أنَّ حديث "لا نبي بعده" متواتر كثبوت نُبُوَّتِهِ ومعجزاته وثبوت تواتر القرآن الكريم.

وصرح ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في هذا الباب حول النقل المتواتر في تفسير آية "خاتم النبيين"** بمعنى: "لا نبي بعده"، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ مِن حديث جماعة عن جماعة (٢).

ويقول صاحب روح المعاني: وكونه ﷺ "خاتم النبيين" مما نطق به القرآن، وصدعت به السَّنَّةُ، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر من ادَّعى خلافه.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٦٨/١).
(٢) تفسير ابن كثير: (٤٢٨/٦).

الأحاديث النبوية في باب "ختم النبوّة":

الحديث الأول:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (إنَّ مَثَلِي ومَثَل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة مِن زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١).

وفي رواية: (... فكنتُ أنا سددت موضع اللبنة، ختم بي البنيان، وختم بي الرسل) (٢).

ونقول بداية: قد استأصلت هذه التصريحات النبوية المباركة، وبأبلغ تمثيل ، الأوهام والتأويلات في باب النبوّة بعد "خاتم النبيين" ﷺ، ولما كان ﷺ اللبنة الأخيرة التي بها خُتِمَ البنيان، وبه ﷺ خُتِمَ الرسل، فكان آخرهم، فلَمْ يترك مجالًا لأي شخص كائنًا مَن كان بأن يدَّعي أي نوع مِن النبوّة، ثم إنَّ لفظ "مثل الأنبياء مِن قبلي" محل تأمل، وهو صريح بأنه ﷺ آخرهم.

الحديث الثاني:

روى أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل النبيين، كمثل رجل بني دارًا، فأتمها إلا لبنة واحدة، فجئت أنا،

---

(١) صحيح البخاري: (١٨٦/٤) رقم/٣٥٣٥، صحيح مسلم: (١٧٩١/٤) رقم/٢٢٨٦.
(٢) شرح السنة للبغوي: (٢٠١/١٣) رقم/٣٦٢٠.

فأتممت تلك اللبنة) [١]، هذا الحديث يُكَرِّرُ مضمون الحديث الأول.

الحديث الثالث:

روى البخاري ومسلم عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [٢].

فمضمون هذا الحديث مع بيان كونه ﷺ خاتِمًا -بكسر التاء- لا يترك لأحد مجال التقول والادعاء بالنبوّة بعد خاتم النبيين ﷺ.

الحديث الرابع:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما وأحمد في مسنده عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة ﷺ خمس سنين فسمعته يُحَدِّثُ عن النبي ﷺ قال: (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي، خلف نبي، وإنه لا نبي بعدي) [٣].

هذا الحديث ينص على انقطاع النبوات التشريعية، وغير التشريعية، وغيرها كالظِّلِّيَّةِ، والبروزية المخترعة من عند الميرزا، لأنَّ النفي الداخل على النكرة يفيد الاستغراق والعموم، فلفظ "نبي" في الحديث ورد في سياق

---

(١) مسند أحمد (١٢١/١٧) رقم/١١٠٦٧، مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٣/٦) رقم/٣١٧٦٩.
(٢) صحيح البخاري: (١٨٦/٤) رقم/٣٥٣٥، صحيح مسلم: (١٧٩٠/٤) رقم/٢٢٨٦.
(٣) صحيح البخاري: (١٦٩/٤) رقم/٣٤٥٥، صحيح مسلم: (١٤٧١/٣) رقم/١٨٤٢، مسند أحمد ط الرسالة: (٣٤٠/١٣) رقم/٧٩٦٠.

النكرة المنفية، فأفاد الاستغراق، أي: لا يأتي أحد كائنًا مَن كان نبيًا تشريعيًا، أو مُتَّبِعًا لشريعة ما قبله، أو ظِلاً لمن قبله، أو بروزا لمن قبله.

الحديث الخامس:

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قال: (إنَّ لي أسماءً، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقِبُ) [(١)]، والعاقِبُ الذي ليس بعده نبي.

يقول الحافظ ابن حجر ﷺ في فتح الباري (واسمه مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية) والواجب عليها أن تقبل شرحه وتفسيره للحديث: يمكن أن يكون المراد بالقَدَمِ الزمان، أي: وقت قيامي على قدمي، لظهور علامات الحشر، إشارة إلى أنه: "لا نبي بعده ولا شريعة" [(٢)] انتهي كلامه.

فهذا الحديث يستأصل فكرة بعثة أي نبي، بعد بعثة "خاتم النبيين" ﷺ، سواء كان تابعًا لشريعة ما قبله، أم صاحب شريعة جديدة.

الحديث السادس:

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لقد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، فإن يَكُ في أُمَّتي أحدٌ،

---

(١) صحيح البخاري (٤/١٨٥) رقم/٣٥٣٢، صحيح مسلم (٤/١٨٢٨) رقم/٢٣٥٤.
(٢) فتح الباري لابن حجر (٦/٥٥٧).

فإنه عُمَرُ بن الخطاب)[١]، زاد زكريا بن أبي زائدة، عن سعد، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ «لقد كان فيمَنْ كان قبلكم مِن بني إسرائيل رجال، يكلمون مِن غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن مِن أمتي منهم أحدٌ فعُمَرُ» قال ابن عباس رضي الله عنهما: مِن نبي ولا محدث[٢].

لقد ذكر هذا الحديث بصراحة **أولاً**: وجود محدثين في الأمة والمكلَّمين، وتفسير المحدث عند علماء الإسلام هم المفهمون، أي: مَن يفهم الحق، ويعرفه بإلهام مِن الله عزَّ وجلَّ. فإلقاء الحق، وإلهام الصواب هذا تكريم مِن الله للمحدَّث، وقد ورد لفظ "ملهمون" في رواية مسلم مكان "محدثون"، فكون الشخص مُلْهَمًا بالصواب، هذا معنى كونه "محدثًا".

الأمر الثاني: ما نَصَّ عليه الحديث وهو أنَّ "المحدَّث" لا يكون نبيًا.

وبالتأمل في هذا الحديث نجد أنَّ النبي ﷺ قد أخبر عن أفضل منزلة في هذه الأمَّة، ولأفضل أفرادها، وهم الصحابة ﷺ، ومِن الصحابة أبرز أبطالهم، وهو عمر بن الخطاب ﷺ، فلم يُجَوِّزْ له النبوّة إلا درجة المحدثية، فإذا لَمَ يبلغ أفضل خيار الخلائق بعد الأنبياء عليهم السلام، وهم الخلفاء الراشدون ﷺ الذين سُنَّتُهُم سُنَّةُ النبي ﷺ، والتمسك بها كالتمسك بسُنَّةِ النبي ﷺ، فإن لَمْ يبلغوا إلا درجة المحدثية، ولن يصلوا إلى درجة النبوّة، فكيف يجوز لمن جاء بعدهم ممن هو أقل منهم بلا شك أن يصل إلى هذه الدرجة؟ وكيف يكون في الأمة مَنْ هو أفضل مِن الخلفاء الراشدين؟ وقد

---

(١) صحيح البخاري (١٧٤/٤) رقم/٣٤٦٩.
(٢) صحيح البخاري (١٢/٥) رقم/٣٦٨٩.

أجمعت الأمة على أنَّ أفضل أفراد الأمة هم الصحابة ﷺ، فإن لَمْ يُنَبَّأْ أحدٌ منهم رغم أفضليتهم، فهذا مستلزم بأن لا يُنَبَّأُ أحدٌ بعدهم، ليكون أفضل مِنهم .

أمَّا وجود المُلْهَمِين في الأمة فالحديث نَصَّ عليه، كما نَصَّ على عدم وجود الأنبياء في الأمة المسلمة، فإذا نُبِّئَ أحدٌ قبل "خاتم النبيين" ﷺ، فإتيانه ثانيةً -كعيسى ابن مريم عليه السلام- لا يعارض هذه العقيدة المجْمَعُ عليها.

الحديث السابع:

روى البخاري أنَّ رسول الله ﷺ قال لعلي ﷺ: "أمَا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون مِن موسى)[1]، وفي لفظ لمسلم: (إلا أنه لا نبي بعدي)[2]، فأدنى تأمل في هذا الحديث يستأصل جميع الخطط لإجراء النبوّة بعد "خاتم النبيين" ﷺ.

الحديث الثامن:

روى أحمد وأبو داود في سننه عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) [3].

---

(١) صحيح البخاري (٥/١٩) رقم/٣٧٠٦.
(٢) صحيح مسلم (٤/١٨٧٠) رقم/٢٤٠٤.
(٣) مسند أحمد: (٣٧/٧٨) رقم/٢٢٣٩٥، سنن أبي داود: (٤/٩٧) رقم/٤٢٥٢.

لقد نَصَّ القرآن الكريم على بيان الإيمان بالرسل عليهم السلام، وهم "خاتم النبيين"، ومَن قبله، ولَم يخبر القرآن بأنَّ أحدًا يُنَبَّأُ بعده ﷺ، فإن كان هناك أحدٌ يُنَبَّأُ في عِلْمِ الله تعالى بعد "خاتم النبيين" ﷺ، ليخبرنا الله تعالى، ويكون ذِكْرُهُ أولى مِن ذكر مَنْ قبل "خاتم النبيين" ﷺ.

وفي هذا الحديث تصريح مِن النبي ﷺ بوجود مُدَّعي النبوّة، وقد حكم عليهم بأنهم كَذَّابُون. كما أوضح بأنَّهُ ﷺ "خاتم النبيين" حيث قال: "لا نبي بعدي".

الحديث التاسع:

روى مسلم في الفضائل عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أُعْطِيتُ جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأُرْسِلْتُ إلى الخلق كافةً، وخُتِمَ بي النبيون)[1]، هذا الحديث مشتمل على خصائص "خاتم النبيين" ﷺ، ومنها: خُتِمَ به أنبياء الله، فإن نُبِّئَ أحدٌ بعده، فلَن يبقى هذا اللقب خصوصيةً له ﷺ.

الحديث العاشر:

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لم يبق مِن النبوّة إلا المبشرات قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا

---

(١) صحيح مسلم: (٣٧١/١) رقم ٥٢٣، سنن الترمذي: (١٢٣/٤) رقم/١٥٥٣.

الصالحة) [١].

هذا الحديث نَصٌّ على انقطاع سلسلة النبوّة والوحي الرَّبَّاني، والمبشرات هي الرؤيا الصالحة، فمَن يرى هذا الجزء من أجزاء النبوّة مِن الصالحين مِن هذه الأمة لا يكون نبيًا، وهذا الأمر بديهي؛ لأنَّ لَبِنَةً واحدةً لا تُكَوِّنُ المبنى، ولا شك أنَّها مِن أجزائه، فمَن رَكَعَ فقط، أو سَجَدَ فقط، أو قال: الله أكبر، فلا يكون كُلُّ جزء من هذه الأجزاء مثل الصلاة بأكملها، ومَن غَسَلَ يديه -وهو مِن أجزاء الوضوء- فلا يكون غَسل هذا الجزء وُضُوءًا، ومَن أَمْسَكَ عن الأكل والشرب دقيقةً، فلا يكون هذا الإمساك صَوْمًا، وهكذا فإنَّ الجزء لا يصح إطلاقه على الكل، فبقاء المبشرات لا يدل على بقاء سلسلة النبوّة.

الحديث الحادي عشر:

روى الدارمي في سننه عن عطاء بن رباح عن جابر بن عبد الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: (أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر)[٢].

الحديث الثاني عشر:

روى أبو داود والترمذي في سننه عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى

---

(١) صحيح البخاري: (٩/٣١) رقم/٦٩٩٠.
(٢) سنن الدارمي: (١/١٩٦) رقم/٥٠، المعجم الأوسط للطبراني: (١/٦١) رقم/١٧٠.

يعبدوا الأوثان، وأنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي)[١].

الحديث الثالث عشر:

روى ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: إذا صليتم على رسول الله ﷺ، فأحسنوا الصلاة عليه. فإنكم لا تدرون، لعل ذلك يعرض عليه. قال فقولوا له فعلمنا. قال قولوا اللهم اجعل صلاتك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك، ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة ... الحديث[٢].

الحديث الرابع عشر:

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ في حديث الشفاعة: (يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ...)[٣] الحديث.

الحديث الخامس عشر:

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن العِرْبَاض بن سارية ﷺ، قال:

---

(١) سنن أبي داود: (٤/٩٧) رقم/٤٢٥٢، سنن الترمذي: (٤/٤٩٩) رقم/٢٢١٩.

(٢) سنن ابن ماجه: (١/٢٩٣) رقم/٩٠٦، مسند أبي يعلى الموصلي: (٩/١٧٥) رقم/٥٢٦٧، الدعوات الكبير للطبراني: (١/٢٥٨) رقم/١٧٧، شعب الإيمان للبيهقي: (٣/١٢٢) رقم/١٤٥٣.

(٣) صحيح البخاري: (٦/٨٤) رقم ٤٧١٢، صحيح مسلم: (١/١٨٤) رقم /٩٤.

قال رسول الله ﷺ: (إني عبد الله لخاتم النبيين، وإن آدم عليه السلام لمنجدلٌ في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى)[١].

الحديث السادس عشر:

روى الطبراني في المعجم الكبير عن علي بن علي الهلالي عن أبيه رضي الله عنه **قال:** دخلت على رسول الله ﷺ في شكاته التي قبض فيها ... وفيه: (يا فاطمة ونحن أهل بيت قد أعطانا الله سبع خصال لم يعط أحد قبلنا ولا يعطى أحد بعدنا أنا خاتم النبيين وأكرم النبيين على الله وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل)[٢].

الحديث السابع عشر:

روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: استأذن عَمُّ النبي ﷺ للهجرة فقال له رسول الله ﷺ: (يا عم أقم مكانك الذي أنت به، فإنَّ الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبيين)[٣].

فكان ﷺ "خاتم النبيين" بمعنى "آخرهم"، وكان عمه آخر المهاجرين بمعنى آخر من هاجر، فلا يمكن أن يكون هو أفضل المهاجرين، لأن الحافظ ابن حجر رحمه الله يقول في الإصابة [٤]: هاجر قبل الفتح بقليل،

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة: (٣٧٩/٢٨) رقم/١٧١٥٠.
(٢) المعجم الكبير للطبراني: (٥٧/٣) رقم/٢٦٧٥.
(٣) مسند أبي يعلى الموصلي: (٥٥/٥) رقم/٢٦٤٦، المعجم الكبير للطبراني: (١٥٤/٦) رقم/٥٨٢٨، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: (٢١٢/٣) رقم/١٣٩٣.
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٥١١/٣)؟

وشهد الفتح، ولم يهاجر أحد بعده، وقد انقطعت النبوّة بعد خاتم النبيين ﷺ، كما انقطعت الهجرة بعد خاتم المهاجرين رضي الله عنهم.

شبهة قاديانية ودفعها:

تقول القاديانية: إنَّ كون نبينا ﷺ خاتم النبيين ينافي حياة سيدنا عيسى عليه السلام لأنَّ عيسى عليه السلام، لو نزل لكان هو خاتم النبيين بمعنى آخرهم، فكونه خاتم النبيين دليل على موت عيسى عليه السلام.

نقول: هذا الاستدلال باطل لأنَّ اعتبار العباس رضي الله عنه خاتم المهاجرين لا يقتضي أنَّ المهاجرين قد ماتوا، كما أن اعتباره رضي الله عنه خاتم المهاجرين لا يعارض حياة غيره ومَن قبله مِن المهاجرين، فكونه ﷺ خاتم النبيين لا يقتضي موت من سواه ومن نُبِّئ قبله.

الحديث الثامن عشر:

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال في تفسير قول الله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: ٧] الآية: (كنتُ أول النبيين خلقا وآخرهم بعثًا)[1].

---

(١) مسند الشاميين للطبراني: (٣٤/٤) رقم/٢٦٦٢، تفسير ابن أبي حاتم: (٣١١٦/٩) رقم/١٧٥٩، الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥٧٠/٦)، تفسير البغوي (٦١١/٣)، تفسير ابن كثير: (٣٤٢/٦).

وهذا الحديث قد بيَّن مفهوم "خاتم النبيين" بكمال الإفصاح والتبيين بأنَّ بعثته في هذا العالم كانت في الأخير، ولا يفهم بأنَّ الأنبياء كلهم قد ماتوا، فمِن أين يأتي المسيح عليه السلام؟

فمفهوم "خاتم النبيين" مُتَعَيِّنٌ في بعثة المصطفى ﷺ في الأخير، وخير مثال لذلك ما ذكره النبي ﷺ للقصر الذي لم يبق من إتمامه إلاّ لبنة أخيرة، فكان هو تلك اللبنة، وذلك في قوله عليه السلام: (مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارا، فأحسنها وأجملها وأكملها إلاّ موضع لبنة، فكان مَن دخلها، ونظر إليها، قال ما أحسنها إلاّ موضع هذه اللبنة! فأنا موضع اللبنة ختم بي الأنبياء)[١]، بل لا يتصور أحد مِن العقلاء ذلك.

الحديث التاسع عشر:

رُوِيَ أنَّ آدم عليه السلام سأل جبريل عليه السلام: مَن محمد ﷺ؟ فقال: آخر ولدك مِن الأنبياء.[٢] فمفهوم الآخر لا يقتضي موت الأولين.

الحديث العشرون:

قال رسول الله ﷺ: (أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم المساجد)[٣].

---

(١) صحيح مسلم: (٤/١٧٩٠) رقم/٢٢٨٦

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (١/١٣٥)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (٥/١٠٧).

(٣) أخبار مكة للفاكهي: (٢/٨٧) رقم/١١٩٢.

فهل وجود ختم المساجد يقتضي هدم جميع ما سواه مِن المساجد الموجودة في زمنه ﷺ؟ أو ماهي موجودة إلى يومنا هذا؟ أو فيه دليل على فناء مساجد الأنبياء عليهم السلام كلها؟

والغرض مِن هذا كله أنَّ كون النبي ﷺ "خاتم الأنبياء" وآخرهم لا يعارض حياة عيسى عليه السلام، كما أنّ خاتم المساجد لا يعارض وجود المساجد الأخرى، بل المعنى أنه لا يُنَبَّأُ أحدٌ بعد "خاتم النبيين" ﷺ، وكون مسجده ﷺ آخر المساجد، أنه لا يوجد بعده مسجد جديد سواه، بناه نبي الله، ومفهوم الخاتم هذا لا يخالف حياة عيسى عليه السلام، والذي يخالفه وجود الميرزا كنبي، أو مسجده كمسجد بناه نبي.

فلم يتغير نص آية "خاتم النبيين" ولا مفهومه منذ نزوله على خاتم النبيين ﷺ، فكونه "آخر النبيين" حقيقة ثبتت مِن آية "خاتم النبيين"، وكونه أفضل الأنبياء حقيقة غير منفصلة عن الحقيقة الأولى، لكونه ﷺ صاحب الميثاق، وصاحب البعثة العامة، والرحمة العامة، وعليه حصل به إكمال الدين، وإتمام النعمة، فجعله الله عزَّ وجلَّ مصدّقًا لأنبيائه كلهم، وخاتمًا لجميعهم.

ونكتفي بهذا القدر مِن الأحاديث الواردة، ومَن أراد التفصيل، فليراجع كتب الحديث من الصحيحين، والسنن، والمسانيد، والمعاجم، وغيرها.

إجماع طبقات الأُمَّةِ في باب "ختم النبوّة":

إنَّ عقيدة "ختم النبوّة" وكون محمد ﷺ "خاتم النبيين" بمعنى آخرهم، ولا نبي بعده، وأنَّ كل مَن يدَّعي النبوّة بعده يعدُّ كذابًا، ودجَّالاً، أيًّا كان نوع النبوّة التي يدعيها، عقيدة مِن المسلَّمات، ومِن ضرورات الدين، والتي انعقد عليها الإجماع في جميع طبقات الأمة بدءًا مِن الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين ومرورًا بالأئمة المجتهدين والمحدثين والمفسرين.

وينبغي أن يُعْلَمَ بأنَّ إجماع الأمة المسلمة مِن خصائص خاتم الأمم، لأنَّ علماءها إذا أجمعوا على أمر، يكون ذلك الأمر قطعي الثبوت، وواجب الاتّباع. وكون الأمة لن تجتمع على ضلال، وكون إجماع علمائها قطعيًا، فهذا الفضل والشرف للأمة مدين لكون نبيها ﷺ "خاتم النبيين"، ولا يكون أبدًا أي فرد مِن أفراد الأمة معصومًا، بحيث يكون أمره مُبَرَّءًا مِن الخطأ، إلاّ مجموع الأمة المحمدية.

وقد ذكر الأصوليون ما أشرنا إليه، حيث يقول صاحب التوضيح في بيان الإجماع، "وما اتفق عليه المجتهدون، مِن أمة محمد ﷺ في عصر على أمر، فهذا مِن خواص أمة محمد ﷺ، فإنه خاتم النبيين، فلا وحي بعده"[1].

فلقد شرَّف الله تعالى الأمة بكون إجماعها حجةً، ومِن مستلزمات ذلك الإجماع كون نبيها خاتم النبيين، وأفضل درجات الإجماع في هذه الأمة إجماع الصحابة رضي الله عنهم.

---

(١) شرح التلويح على التوضيح: (٢/١٠٠).

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه رَحِمَهُ اللَّهُ: "وإجماعهم حجة قاطعة يجب اتباعها، بل هي أوكد الحجج، وهي مُقَدَّمَةٌ على غيرها... وليس هذا موضع تكرير ذلك، فإنَّ هذا الأصل مُكَرَّرٌ في موضعه، أي: في كتب الأصول، وليس فيه بين الفقهاء وبين سائر المؤمنين الذين هم المؤمنون خلاف" (١).

وبعد هذا التمهيد نشير إلى إجماع طبقات الأمة في باب ختم النبوّة.

أولاً: إجماع الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

لقد انعقد في تاريخ الإسلام إجماع خيار هذه الأمة، وثبت بالتواتر وجود أحد مُدَّعي النبوّة في زمن وجود النبي ﷺ، وبلغ أتباعه العدد الكبير، وأول عمل قام به خليفة رسول الله الصديق الأكبر أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حرب الردة، هو إجماع من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على عقيدة "ختم النبوّة"، وكفر مَن أنكر هذا الأصل مِن أصول الإسلام، وهذا المعتقد مِن أركان الإيمان، وهو الإيمان بالرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولَمْ ينكر مسيلمة الكذَّاب الإسلام كليًا، مثل القاديانية، بل كان يؤمن بنبوّة "خاتم النبيين" ﷺ، ويؤمن بالقرآن وبمرجعيته في الدين، وكان مع إعلانه بإيمانه بنبوّة النبي ﷺ، يدَّعي لنفسه النبوة ، تمامًا كالميرزا غلام أحمد القادياني، وكان يرفع في أذانه أشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وكان يشهد بالنبوة لنفسه أيضًا.

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (١٦٢/٦).

يقول الطبري رحمه الله في تاريخه: وكان يؤذن للنبي ﷺ، ويشهد في الأذان أنَّ محمدًا رسول الله، وكان يؤذن له عبد الله بن النواحة، وكان الذي يقيم له حجير بن عمير، ويشهد له، وكان مسيلمة إذا أدنى حجير مِن الشهادة، قال له: صَرِّحْ يا حجير، فيزيد في صوته، ويبالغ لتصديق نفسه(١).

فالحاصل: أنَّ أوَّل مدعٍ للنبوّة وقومه معه يؤمنون (حسب زعمهم) بالقرآن، والصلاة، والصوم، وسائر أمور الدين، ومع هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم على كفره، وتحملوا المشقة بالمال والأنفس لاستئصال فتنة ادّعاء النبوّة هذه، ولم يقل أحد مِن الصحابة رضي الله عنهم، هؤلاء أهل القبلة، وهؤلاء ينطقون بالشهادتين، ويقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهؤلاء يصلون، ويصومون، ويحجُّون، ويزكُّون، فبأي حجة أفتى أبو بكر رضي الله عنه، وصحابة رسول الله رضي الله عنهم بكفرهم؟

نقول: إنَّ الصحابة رضي الله عنهم كانوا أَعْرَفَ الناس بمسألة الإيمان والكفر، فالمؤمن عندهم مَنْ يُصدِّقُ بجميع أمور الدين، ويكفي للكفر عندهم، إنكار أحد ضرورات الدِّين أو أي ركن من أركان الإيمان، ولا تصور عندهم رضي الله عنهم للتَّجزُّؤ في باب "الإيمان"، بأنَّ المنكر لبعض الإيمانيات يكون مؤمنًا جزئيًا، بل كان هو عندهم كافرًا حقاً حسب بيان القرآن الكريم، وزيادة التأكيد في كفرهم بلفظ "حق" لدفع هذه الشائبة، بأنَّ الإسلام لعله يعتبر

---

(١) تاريخ الطبري: (٢٨٣/٣).

التَّجَزُؤَ في باب الإيمان.

هكذا تحرك إجماع الأمة على وجه التسلسل منذ خير القرون.

قضايا محتوية في الشريعة:

١/ الإجماع على عدم طلب الأدلة أو العلامات على صدق المدَّعي أيًّا كان تأويله.

٢/ إنَّ لجوء أحدٍ مِن مُدَّعِي النبوّة بعد "خاتم النبيين" ﷺ، سواء أكان الميرزا غلام أحمد القادياني، أوغيره إلى أي تأويل في باب النبوّة مِن الظلية والبروزية، أو النبوّة بالقوة وبالفعل وغيرها، أو اللجوء إلى التحريف في لفظ "خاتم النبيين" بأنه بمعنى الأفضل، أو الاستدلال على استمرارية النبوّة بالتأويل في الآيات القرآنية، أو في أقوال السلف، يعتبر كله كيدًا ومكرًا ودَجَلًا في نظر الأمة المسلمة ابتداء من الصحابة ﷺ، ويجب أن يعامل هؤلاء كما عمل الصحابة ﷺ مع مدعي النبوّة في زمنهم، وهذا كان إفتاؤهم بالإجماع ، بأنَّ ادعاء النبوّة مع الإيمان بإيمانيات أخرى ومع اللجوء إلى أنواع مِن التأويلات لا قيمة له في نظر أهل الإيمان، هذا هو ما يقتضيه إيمان الأمة وعلاقتها بنبيها ﷺ وأصحابه ﷺ، وعلى جميع أفراد الأمة أن يقتدوا بسنته ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين ﷺ، في باب الإيمان بعقيدة "ختم النبوّة" والحفاظ عليها.

٣/ ثبت مِن هذا وبكل وضوح، بأنَّ الذي يُسَلِّمُ بجميع فرائض الإسلام وأحكامه، ويعمل بها، وينكر أحد الأحكام الشرعية الثابتة على وجه القطع، يعتبر إنكاره كفرًا بجميع الدين، وخروجًا عن دائرة الإيمان ، كمسيلمة الكذاب وجماعته، فرغم إقرارهم بنبوّة محمد رسول الله ﷺ، وأدائهم الصلوات والصيام، فقد أجمع الصحابة ﷺ على تكفيرهم.

٤/ لا عبرة بالأعمال الصالحة كبناء المساجد، وتبليغ الإسلام المزعوم، وإقامة الصلوات، وبذل الأموال في سبيل نشر الدين المزعوم، مع الإنكار لعقيدة "ختم النبوّة".

٥/ إنَّ كثرة عدد أتباع مُدَّعي النبوّة، وتوفُّرَ أسباب نشر تعليماتهم، والحصول على أسباب الدعاية والقوة المادية، لا يكون دليلاً على حقانية اعتقادهم، لأنَّ مُسيلمة الكذَّاب قد أعدَّ جيشًا فيه أربعون ألف فارسٍ لمواجهة المسلمين، ووراءهم الكثير مِن الرجال والنساء والأطفال والعجزة المتعلقين به وبجماعته.

٦/ مَن يدخل مِن الأمة المحمدية في جماعة أي مُدَّعٍ للنبوّة يعتبر خارجًا عن الأمة المسلمة.

مُدَّعو النبوّة الآخرون في عهد الصحابة ﷺ:

إنَّ مِن صدق نبوّة "خاتم النبيين" ﷺ وجود الكذابين والدجالين مُدَّعِي النبوّة، كالأسود العَنْسي وطليحة وغيرهما، وقد أجمع المسلمون في كل عصر على ما أجمعوا عليه في مُسيلمة الكذاب.

يقول القاضي عياض رحمه الله في الشفاء: "وفعل ذلك غير واحد مِن الخلفاء والملوك بأشباههم، وأجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم، والمخالف في ذلك مِن كفرهم كافر" (١).

ويقول القاضي رحمه الله أيضًا: "ولأنه أخبر أنه ﷺ "خاتم النبيين"، ولا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنَّه "خاتم النبين"، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأنَّه مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا" (٢).

إجماع طبقات المحدثين:

لقد قام السادة المحدِّثون بنقل أحاديث "ختم النبوّة" بدون تأويل أو تخصيص وعلى ظاهر مُرادها، كالبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والإمام مالك، وأحمد بن حنبل، والإمام الطحاوي، وابن أبي شيبة، والطيالسي، والطبراني، وابن شاهين، وأبو نُعَيْم، وابن حِبَّان، وابن عساكر، والحاكم، والبيهقي، وابن خزيمة، وغيرهم، وقد نقلنا

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٢/٦٣١).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٢/٦١٠).

في مقالنا من مروياتهم -رحمهم الله- وتصريحاتهم في عقيدة ختم النبوّة، ومفهوم خاتم النبيين ﷺ.

إجماع طبقات المفسرين:

قد قمنا بنقل بعض آيات القرآن الكريم حول موضوع "ختم النبوّة"، وأشرنا إلى تفسيرها من أقوال المفسرين، ونكتفي بالإشارة إلى ذكر أسماء البعض منهم، وهم: إمام التفسير والحديث الحافظ الطبري، والراغب الأصفهاني، وابن كثير، والزمخشري، والنسفي، والبغوي، والرازي، والبيضاوي، والسيوطي، وأبو حيَّان صاحب البحر المحيط، (وبعضهم أسماؤهم مُدرجة في قائمة المجددين لدي القاديانية).

إجماع طبقات الفقهاء:

يرى الفقهاء أنَّ العلم والمعرفة بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ هو آخر الأنبياء مِن واجبات أهل الإيمان .

يقول ابن نُجَيْم رحمه الله: إذا لَمْ يَعْرِف أنَّ محمدًا ﷺ آخر الأنبياء، فليس بمسلم، لأنه مِن الضروريات، ويكفر بقوله إن كان ما قال الأنبياء حقًا، أو صدقا، أو بقوله: أنا رسول الله.

وهذا التصريح يدل على أنَّ الإيمان بحقانية الرسل والأنبياء عليهم السلام واجب، وأنَّ الشك في حقانيتهم، أو القول باستمرارية النبوّة بعد

"خاتم النبيين" يخرج الشاك والقائل عن دائرة الإيمان [١].

وورد في الفتاوى العالمكيرية (الهندية): إذا لَمْ يَعْرِف الرجلُ أنَّ محمدًا ﷺ آخر الأنبياء، فليس بمسلم، وَكَذَلِكَ لو قال أنا رسول اللَّهِ، أو قال بِالْفَارِسِيَّةِ "**من بيغمبرم**" يُرِيدُ بِهِ "**من بيغام مى بُرَم**" يَكْفُرُ [٢].

ويقول ابن حجر المكي الشافعي رحمه الله: مَن اعتقد وحيًا بعد محمد ﷺ، كان كافرًا بإجماع المسلمين [٣].

وقال الملا علي القاري رحمه الله عن ختم النبوّة في شرح الشمائل: وإضافته إلى النبوّة، لأنه خُتِمَ به بيت النبوّة، حتى لا يدخل بعده أحد[٤].

ويقول أيضًا في شرح الفقه الأكبر (صـ: ١٨٣): ودعوى النبوّة بعد نبينا ﷺ كُفْرٌ بالإجماع.

ومِن الغريب أنَّ اسم الملا علي القاري مُدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية، والأغرب منه أنَّ القاديانية اتهمته، بأنه كان يُجَوِّزُ النبوّة غير التشريعية بعد خاتم النبيين ﷺ، كما يعلنون ذلك عبر محطتهم التلفازية لخداع الناس.

---

(١) البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق: (١٣٠/٥).
(٢) الفتاوى الهندية: (٢٦٣/٢).
(٣) الفتاوى الفقهية الكبرى: (١٩٤/٤).
(٤) جمع الوسائل في شرح الشمائل: (٢٧/١).

ويقول السيد محمود الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ مفتي بغداد: وكونه ﷺ "خاتِم النبيين" بكسر "التاء" مما نطقت به، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأُمَّةُ.

ولقد ذكر الحافظ ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ في الملل والنِّحَلِ مسألة ختم النبوّة في عدة مواضع:

يقول: "فوجب الإقرار بهذه الجملة، وصحَّ أنَّ وجود النبوّة بعده عليه السلام باطل، لا يكون البتة" (١).

ويقول أيضًا: "وكذلك مَنْ قال ... إلى قوله: أو أنَّ بعد محمد ﷺ نبيًا غير عيسى ابن مريم عليه السلام، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا (٢).

ويقول أيضًا: فكيف يستجيز مسلم أن يثبت بعده عليه السلام نبيًا في الأرض(٣).

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (٦٨/١).
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١٣٩/٣).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل: (١٣٨/٤).

إجماع طبقات المتكلمين:

يقول العلامة التفتازاني: في "شرح العقائد" (صـ: ٧٩): وقد دلَّ كلامه (أي النبي ﷺ)، وكلام الله المنَزَّل عليه أنَّه "خاتم النبيين"، وأنه مبعوث إلى كافة الناس، بل إلى الجن والإنس، ثبت أنَّه آخر الأنبياء.

ويقول الإمام عبد السلام بن إبراهيم رحمه الله في إتحاف المريد (صـ: ١٧): أي ختم ربنا بنبوته جميع الأنبياء، قال تعالى: "وخاتم النبيين"، ويلزم منه "ختم المرسلين" أيضًا، لأنَّ ختم الأعم ختم للأخصِّ مِن غير عكس، فلا تبتدئُ نبوّة، ولا شريعة بعده ﷺ.

ويقول العلامة عبد الغني النابلسي رحمه الله في شرح كفاية العوام: أولهم آدم، ثم الآخر منهم، بحيث ليس بعده نبي، ولا رسول أصلاً ، محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وهو النبي الباقي على رسالته، وإن مات ﷺ إلى آخر الزمان وانقطاع الدنيا.

كون "الخاتم" قطعي الثبوت قطعي الدلالة:

لا يجوز لأحد أن يقول: إنَّ كون النبي ﷺ آخر الأنبياء في البعثة هذا أمر ظنِّي وليس بقطعي، بعد تصريحات أئمة اللغة في معنى "الخاتم" المذكورة، وبعد تفسيره على لسان مَن أنزِلَ عليه الوحي، وبعد الآيات التي تدل على عموم رسالته وبعثته، وبعد إجماع الصحابة رضي الله عنهم على تكفير مدعي النبوّة

وإن أَقَرَّ بجميع أمور الدين الأخرى، وبعد إجماع طبقات الفقهاء والمحدثين والمفسرين والمتكلمين.

فهذه الدلائل كلها تُحَتِّمُ انقطاع النبوّة على الإطلاق، التشريعية منها، وغير التشريعية، أو الظلية، أو البروزية.

وحسب قول الإمام الغزالي رحمه الله **(وهو مجدد عند القاديانية)**: أنَّ الأمة فهمت بالإجماع مِن هذا اللفظ، وهو قوله عليه السلام: "لا نبي بعدي"، ومِن قرائن أحواله، أنَّه فُهم عدم وجود نبي بعده أبدًا، وعدم بعث رسول بعده أبدًا، وأنَّه ليس فيه تأويل ولا تخصيص.

فبعد هذه التصريحات كلها، فإنَّ كل مَنْ أوَّلَ في معنى "الخاتم"، أو نفى عموم بعثة نبينا ﷺ، فلا يعتبر مجددًا، بل يعتبر مُحَرِّفًا حتمًا.

إجماع طبقات أهل السلوك والإحسان:

أجمعت طبقات أهل السلوك والإحسان على كون محمد ﷺ آخر الأنبياء:

يقول الشيخ الجامي رحمه الله **في عقائده**: "إنَّ محمدًا رسول الله، هو خاتم الأنبياء والرسل، بموجب آية: ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ** ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**، وبقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه: "أنت

مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنَّه لا نبي بعدي" [١].

وبموجب قوله ﷺ: "وأنا العاقب لا نبي بعدي" [٢].

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله في غنية الطالبين: "مَن يُؤَدِّي إلى تجويز نبي مع نبينا ﷺ وبعده، يستلزم ذلك تكذيب القرآن، إذ قد نَصَّ على أنه "خاتم النبيين" و "آخر المرسلين"، وفي السُّنَّةِ: "أنا العاقب لا نبي بعدي"، وأجمعت الأمة على إبقاء هذا الكلام على ظاهره.

يقول الشيخ عماد الدين رحمه الله في "حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب": "وأنَّ محمدًا أفضل الأنبياء، وأنَّ الله ختم به النبوّة".

ويقول محي الدين ابن عربي رحمه الله: "لا يطلق اسم النبوّة، ولا النبي إلاّ على المشرع خاصة، فحجز هذا الاسم لخصوص وصف معين في النبوّة".

ويقول أيضًا: "كمَن يوحى إليه في المبَشِّرَاتِ، وهي جزء مِن أجزاء النبوّة، وإن لَمْ يكن صاحب المبشرة نبيًا، فَتُفُطِّنَ لعموم رحمه الله، فما تطلق النبوّة إلاّ لمن اتصف بالمجموع، فذلك النبي وتلك النبوّة التي حدثت علينا انقطعت، فإنَّ مِن جملتها التشريع بالوحي الملكي في التشريع، وذلك لا يكون إلاّ لنبيٍ خاصةً".

ولقد صرح ابن عربي رحمه الله فيما نقلناه، بأنَّ المبشرات مِن أجزاء النبوّة،

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.

كما أنَّ التشريع منها أيضًا، ولا يطلق لقب النبوّة، أو النبي إلاّ مَن يجمع بينهما أي: الكمالات النبوية، والمبشرات والولايات.

فمِن هذا اندفع مكر القاديانية، بأنَّ ابن عربي رَحِمَهُ اللَّهُ كان يرى تجويز النبوّة غير التشريعية، لأنه صرَّحَ بأنَّ أجزاء النبوّة ليست بنبوّة، فما رآه، أو جوَّز بقاءه، فهو ليس نبوّة، أمَّا النبوّة فلَم ير بقائها.

وإن فَهِمَ فاهم مِن كلامه ما أرادته القاديانية، فنقول بكل صراحة: إن لَمْ يفهم أحدٌ كلام ابن عربي، وأوله على محمل باطل عنده، فلا مَفَرَّ لأحد من أهل الإيمان، بما ثبت مِن الأدلة القرآنية، والسنة النبوية، وإجماع الأمة، بعبارة موهمة أيًّا كان قائلها.

يقول الشيخ عبد الغني النابلسي رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح فصوص الحكم:
وقد انقطعت النبوّة والرسالة، بنبوّة نبينا ورسولنا محمد ﷺ، حيث لَمْ يبق أحدٌ يَتَّصِفُ بذلك إلى يوم القيامة.

فاتضح مِن هذه التصريحات، والتي هي أقل القليل مِن الأكثر الكثير في بيان عقيدة "ختم النبوّة"، والتي نُقِلَتْ عن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين والأئمة المجتهدين والمحدثين والمفسرين والمتكلمين وأهل السلوك والإحسان مِن أهل التصوف.

الكتب القديمة وذكر "خاتم الأنبياء" عليه الصلاة والسلام فيها:

لقد صَرَّحت كتب الأنبياء السابقين، بأنَّ نبينا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء، وأنّ أُمَّته خاتمة الأمم.

ذكر ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠] ما يلي:

قال موسى عليه السلام: يا رب إني أجد في الألواح أُمَّةً هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي، قال: تلك أُمَّةُ محمد ﷺ (١).

وذكر أبو نعيم رحمه الله في دلائل النبوّة أنّ حسان بن ثابت رضي الله عنه قال: إني لعلى فارع وهو أُطُم في السَّحر، إذ سمعت صوتًا لم أسمع قط صوتاً أنفَذَ منه، فإذا يهودي على أطم مِن آطام المدينة معه شعلة مِن نار، فاجتمع الناس إليه فقالوا: ما لك ويلك؟ فقال: هذا كوكب أحمد قد طلع، هذا كوكب لا يطلع إلا بالنبوّة، ولم يبق مِن الأنبياء إلاّ أحمد.

وذكر أبو نُعَيْم رحمه الله أيضًا: قول خويصة بن مسعود رضي الله عنه (٢).

وذكر نقلًا عن وهب بن مُنَبَّه رضي الله عنه مِن وحي الله إلى شعيب عليه السلام: "إنِّي باعثٌ نبيًا أُمِّيًا، أفتح به أذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلْفًا، وأعينًا عُمْيًا، مولده

---

(١) تفسير الطبري: (١٢٣/١٣).

(٢) الخصائص الكبرى للسيوطي: (٤٥/١)، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: (١٢٣/١).

بمكة، ومُهاجره بطيبة، وملكه بالشام ... إلى قوله: واجعل أمتهم خير أمة... إلى قوله: أختم بكتابهم الكتب، وبشريعتهم الشرائع، وبدينهم الأديان..."[١].

وشهادات قوم عيسى عليه السلام، وهم النصارى الموجودين في زمن النبي ﷺ مذكورة في كتبهم، وفي كتبنا أيضًا، وما دار بين المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، ومَلِكِ الروم ونقله أبو نُعَيم في الدلائل وفيها:

"إنَّ محمدًا ﷺ نبي بُعث لهداية الإنس كلهم، وإنَّ دينه يغلب على سائر الأديان، ويصل إلى ما يصل إليه الجمال والخيل.

وفي لقائه مع أحد القساوسة سأله أخبرني، هل بقى أحد مِن الأنبياء؟ قال: نعم، وهو آخر الأنبياء، ليس بينه وبين عيسى ابن مريم عليه السلام أحد، وهو نبي قد أمرنا عيسى باتباعه، وهو النبي الأُمِّيُ العربي.

وذكر الطبراني رحمه الله: أنَّ جبير بن مطعم رضي الله عنه، قال: خرجت تاجرًا إلى الشام في الجاهلية، فلما كنت بأدنى الشام، لقيني رجل من أهل الكتاب، فقال: هل عندكم رجل تنبّأ؟ قلت: نعم! قال: هل تعرف صورته إذا رأيتها؟ قلت: نعم، فأدخلني بيتا فيه صور، فلم أر صورة النبي ﷺ، فبينا أنا كذلك، إذ دخل رجل منهم علينا، فقال: فيم أنتم؟ فأخبرناه فذهب بنا إلى منزله، فساعة ما دخلت نظرت إلى صورة النبي ﷺ، وإذا رجل آخذ بعقب النبي ﷺ قلت: من هذا الرجل القائم على عقبه؟ قال: إنه لم يكن

---

(١) الخصائص الكبرى: (٢٣/١)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (٤٠٤/٢).

نبي، إلا كان بعده نبي إلا هذا، فإنه لا نبي بعده[١].

وذكر ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ **[البقرة: ١٢٩]** فقيل له: قد استُجِيبَ لك، وهو كائن في آخر الزمان[٢].

وذكر السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ: كان مكتوبًا في صحيفة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: إنَّهُ كائن مِن وُلدك شعوب وشعوب حتى يأتي النبي الأُمي الذي يكون خاتم الأنبياء.

وذكر أبو نُعيم رَحِمَهُ اللَّهُ: قول سعد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانت يهود بنو قريظة وبني النضير يذكرون صفات النبي ﷺ وحينما طلع الكوكب الأحمر قال الجميع: إنَّهُ نبي وإنَّه لا نبي بعده، واسمه أحمد.

إلى هنا وقد ذكرنا عقيدة الأمة في مسألة "ختم النبوّة"، وقد جئنا بشهود لا يمكن لأحد إلاّ قبول شهادتهم والتسليم أمامهم والانقياد والتصديق لما قالوه، وأول هذه الشهود الباري -جلَّ وعلا- وكفى بالله شهيدًا، والذي ذكر في أكثر مِن مئة آية من كتابه في ختم الرسالة على محمد رسول الله ﷺ، ثم ذكرنا شهادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأعقبناها بشهادة خاتم النبيين ﷺ، كما ذكرنا شهادات الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين وحضرات السادة المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين وأهل السلوك والإحسان.

---

(١) المعجم الكبير للطبراني (١٢٥/٢) رقم/١٥٣٧، المعجم الأوسط (١٤٨/٨) رقم/٨٢٣١.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم: (٢٣٦/١) رقم/١٢٥٥، تفسير ابن كثير: (٣١٧/١)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٣٣٤/١).

دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية:

نقول لأبناء الملة القاديانية إنّ ديننا النصيحة، ولم نقصد مِن عملنا هذا كله إلاّ النصح لهم، ولعموم البشرية، وليس لدينا أي حقد، أو حسد، أو بغض، أو عناد لأحد مِن خلق الله، فنبينا ﷺ بُعِثَ رحمةً للعالمين، وكان حريصًا علينا ورؤوفًا رحيمًا بنا، وناصحاً للبشرية، ولا نريد الثأر ممن شتم المسلمين، أو أهان عظماءنا، بل ندعوهم بكل إخلاص، وعطف، ورحمة، أن يتأملوا فيما ورد في باب عقيدة "ختم النبوّة" في القرآن الكريم، وأحاديث خير الأنام ﷺ، وما كان عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة المجتهدون، وما كان عليه سلف هذه الأُمَّة وخلفها.

بل نقول لهم: اللهَ اللهَ أن تتأملوا وتتدبروا، وتعودوا إلى الحق والصواب، فليس مِن الحق والإنصاف أن يتعصَّبَ عاقل لشخص ما، سواء أكان الميرزا غلام أحمد، أو غيره، ويترك كلام الله، وكلام رسوله ﷺ، وآثار الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الأمة.

وإننا لنتألم كما كان ﷺ يتألم على ضلال الناس حتى خاطبه الله تعالى قائلاً: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣]، وإيماننا بأنَّ الهداية بيد الله، يضل مَنْ يشاء، ويهدي مَنْ يشاء، وكل إنسان يحاسب بعمله، لَكُم ما كسبتم، ولنا ما كسبنا، ولكن في القلب أمنية، بأن يَتَقَوَّى جسد أُمَّةِ الحبيب محمد ﷺ، ويَتَّحِدَ صَفَّها، وألّا يَمْكُر بها ماكر، وألاّ يخدعها خادعٌ، فارحموا أيها القاديانيون أنفسكم، وأهليكم، واسألوا أنفسكم، هل بقى مجال بعد هذه النصوص والبراهين، والبينات الواضحة أي مجال لنبوّة بعد النبي الخاتم ﷺ، سواءٌ أكانت مستقلة، أو غير مستقلة، تشريعية كانت أو

غير تشريعية؟ أم انقطعت سلسلة النبوّة على الإطلاق بعد ظهور سيد الرسل وخاتم الأنبياء محمد ﷺ، والقرار بأيدكم، فاختاروا الحق والصواب، هدانا وهداكم الله.

جدول معاني "الخاتَم" و"الخاتِم":

رقم	الكلمة	الكلمة	المعاني الوضعية	مراجع
١	"الخاتَم" بفتح التاء	"الخاتِم" بكسر التاء	فص المهر ينقش فيه الاسم وغيره.	**لسان العرب، تاج العروس، صحاح جوهري، قاموس.**
٢	//	//	ما يتختم به، أي يلبس في الإصبع.	**لسان العرب، تاج العروس، صحاح وغيره.**
٣	//	//	آخر القوم ويكثر استعماله فيه.	**تاج العروس، قاموس، منتهي الأدب.**
٤	//	//	وضح قوائم الفرس.	// // //
٥	//	//	نقرة القفا.	// // //
وهذه المعاني مشتركة بينهما.				
٦	"الخاتَم"	يختص به. (طابَع)	فص المهر الذي ينطبع.	
٧	"الخاتِم"	// (طابَع)	اسم فاعل من ختم، وهو الذي يختم شيئًا ما.	// // //

الملحوظة:

يشترك المعاني الخمسة الأولى بين "الخاتَم" و"الخاتِم"، والمعنى السادس يختص بالخاتَم، والسابع يختص بالخاتِم، ولا يوجد بين معاني "الخاتَم" "الأفضل"، ويستعمل له مجازًا، كما أوضحنا في هذا المبحث من قبل.

هذا وصلى الله وسلّم على النبي الخاتم ﷺ وعلى آله، وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتيجة المبحث:

لقد تحقق من هذا المبحث ما يلي:

١. قد ثبت أن معنى الخاتم هو "الأخير"، ومعنى الخاتِم هو الذي يختم، ومدلول خاتم النبيين (بفتح التاء) آخرهم، ومدلول خاتِم النبيين مَن ختم الله سلسلة النبوّة به.

٢. لا يجوز شرعاً، ولا لغة: قياس قول الله عزّ وجل في شأن محمد رسول الله ﷺ "خاتم النبيين" على كلام الناس، نحو "فلان خاتم المفسرين"، أو "خاتم المحدثين"، أو "خاتم الخطباء"، لأن الله علام الغيوب، والناس لا يعلمون الغيب، وكلام الله على حقيقته وقطعي الثبوت، قطعي الدلالة، وليس كلام الناس على حقيقته، بل إنه محمول على "الأفضل" مبالغةً.

٣. دلّت آيات القرآن الكريم بصراحة على كون النبي الخاتم آخر أنبياء الله، وسيد رسله.

٤. دلّت أحاديث النبي الخاتم ﷺ على كونه ﷺ آخر الأنبياء.

٥. ثبت من إجماع طبقات الأمة المختلفة عبر القرون بأن محمدًا ﷺ آخر الأنبياء، وهو:

أ- إجماع الصحابة.

ب- إجماع المحدثين.

ج- إجماع المفسرين.

د- إجماع الفقهاء.

هـ- إجماع المتكلمين.

و- إجماع أهل السلوك والإحسان.

ولا يفوتنا في هذا المقام أن ندعو القاديانيين إلى التأمل، والتدبر فيما عرضنا في هذا المقال، لكي يعودوا إلى الحق والصواب، وندعوهم إلى ترك التعصب والهوى، والاعتصام بحبل الله، للعودة إلى صفوف الأمة، حتى تتقوى الأمة المسلمة أمام كيد الكائدين، وحقد الحاقدين.

من سلسلة "**الدين النصيحة**"

المقال السابع عشر

مكانة عقيدة "ختم النبوّة" عند الله تعالى.
وأبلغ الأساليب القرآنية لتعيين مدلول
"ختم النبوة" ما لا يدع أي مجالٍ
لفكرة البروز والظل والمثيل القاديانية.

ملخص المبحث:

يتلخص هذا المبحث في الأمور التالية:

١- إجماع الأمة المسلمة منذ بعثة النبي ﷺ على أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله ﷺ هو "خاتم النبيين"، بمعنى لا يُنَبَّأُ أحد بعد بعثته ﷺ إلى يوم القيامة.

٢- من مقتضيات الإيمان بالرسل عليهم السلام الإيمان بعقيدة ختم النبوّة.

٣- لا يعني الإيمان بخاتمية سيدنا محمد رسول الله ﷺ، بأنَّ البشرية قد حُرِمَتْ مِن نعمة كان الله يَمُنُّ بها على عباده، لكن معنى خاتميته ﷺ، أنَّ نعمة الله عزَّ وجلَّ قد أتمها على البشرية، فنحن لا نحتاج إلى نبوة جديدة أخرى إلى قيام الساعة.

٤- لا أحد مُستثنًى مِن دعوة خاتم النبيين ﷺ، ولا مكان ولا زمان خارج عن دائرة نبوته ﷺ، فسيدنا محمد ﷺ هو نبي البشرية كلها، و لسائر الأزمنة إلى قيام الساعة.

٥- النبوّة موهبة ومِنحَة مِن الله عزَّ وجلَّ، وقد انقطعت سلسلتها ببعثة محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين، وليست النبوّة مِن الأمور الكسبية التي يُحْصَلُ عليها بطاعة الله ورسوله ﷺ، أو يرتقي إليها أحد بالرياضة.

٦- تناقض القاديانية في مدلول خاتم النبيين.

٧- عقيدة ختم النبوّة مِنَّةُ الله على البشرية.

٨- استدلال القاديانية بآيتي سورة الجمعة على البعثتين للنبي ﷺ الأولى الأصلية، والثانية الظِلِّيَة في بروز الميرزا غلام أحمد ، مرفوض شرعاً وعقلاً.

٩- قد نالت عقيدة "ختم النبوّة" لصاحبها محمد رسول الله ﷺ أهميةً قصوى في نصوص الشريعة الإسلامية.

١٠- استخدام القرآن الكريم الأساليب الثلاثة لبيان عقيدة ختم النبوّة.

١١- قواصم الظهر لتصريح الميرزا بالمفهوم الإسلامي لخاتمية النبي الخاتم ﷺ.

١٢- هدف الميزرا من الردّ على عقيدة المسلمين في نزول المسيح عليه السلام، هو أن يُمَهِّدَ لنفسه ادِّعاء المسيحية، وتأويله في مفهوم "الخاتمية" لكي يمهد لنفسه ادعاء النبوّة، وتدرَّج الميرزا في باب النبوّة من النبوة بالقوة إلى النبوّة الظِّلِّيَةِ، وإلى النبوّة غير التشريعية، وصولاً إلى ادعاء النبوّة التشريعية ، مستدلاً لكل ذلك بإلهاماته، ومُتَّكِئًا على كشوفه ووحيه ، ومنحرفاً عن الأدلة.

مكانة عقيدة ختم النبوّة:

أجمعت الأمة المسلمة منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وستظل كذلك إلى يوم القيامة، على أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله ﷺ، هو "خاتم النبيين"، بمعنى أنه لا يُنَبَّأُ أحد بعد بعثته ﷺ إلى يوم القيامة.

فمن مقتضيات الإيمان بالرسل عليهم السلام عقيدة ختم النبوّة، أي الاعتقاد بحقانية رسل الله كلهم عليهم السلام، مع الاعتقاد الجازم بأنَّ الله عزَّ وجلَّ قد ختم هذه السلسلة على محمد رسول الله ﷺ، ففي الإيمان به كخاتم النبيين بمعنى آخرهم نجاة المؤمنين، وفي اتباعه وطاعته، الحصول على رضى رب العالمين، وبسبب إنكار هذه الخصوصية للنبي الخاتم ﷺ يحل غضب الله جلَّ وعلا على المنكر، فلا يعتبر الإنسان مؤمنًا إلا بالإيمان برسوله ﷺ بهذا المفهوم الإسلامي بعد الايمان بالله بالمدلول الإيماني الشرعي المطلوب.

معنى الخاتمية:

لا يعني الإيمان بخاتمية سيدنا محمد رسول الله ﷺ، بأنَّ البشرية قد حُرِمَت مِن نعمة كان الله يَمُنُّ بها على عباده، أو انسدَّ على البشرية طريق الهدى، كانوا يسلكونه، أو غابت عنهم شريعةٌ، كانوا يقتفون أثرها، أو انطفأ عنهم نورٌ، كانوا يقتبسون منه، أو فقدوا ثروةً علميةً، قد اغتنوا بها، لكن معنى الخاتمية أنَّ نعمة الله عزَّ وجلَّ، قد أتمها على البشرية، والدِّين الذي قد ارتضى الله لهم هو خير الأديان، قد رُسِّخَت دعائمُهُ بحفظ الله وعنايته، فلا خوف على ضياعه، ونور الهداية الذي أنزله الله على خاتم

النبيين ﷺ، سيدوم، وسيظل يُشِعُّ على العالم كله بلا استثناء، ما دامت السماوات والأرض، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها.

وإنَّ "خاتمية النبوّة" المحمدية بعمومها وشمولها قد أغنت البشرية كلها عن أي نبوّة أخرى، فلا يُنَبَّأُ أحد بعده ﷺ، حتى ولو جاء أحد مِن الرسل عليهم السلام مِن قبله، فإنه سيتبع شريعته ﷺ، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لو كان موسى حيا ما وسعه إلاّ أن يتبعني)[1]، فلا تعني عقيدة "ختم النبوّة" نهاية الرسالة الربانية أو النبوّة الإلهية، بل تعني دوامها وشمولها وعمومها مِن حيث الإنسان، ومِن حيث الزمان، ومِن حيث المكان.

فلا أحد مُستثنًى مِن دعوته، ولا مكان ولا زمان خارج عن دائرة نبوته ﷺ، فسيدنا محمد ﷺ هو نبي البشرية كلها، فكما أنه نبي أبناء عصره، فهو نبي أبناء العصور المستقبلية، وحتى قيام الساعة.

وكون سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين عند الأمة المسلمة، أنه خَتْمٌ على سلسلة أنبياء الله، ورسله عليهم السلام، ولا يعني إطلاقًا، بأنه فاتح باب النبوّة، حتى يُنَبَّأَ أناس بختمه، أو يرتقي أحد إلى درجة النبوّة باتباعه وطاعته، (كما هي عقيدة القاديانية)، وذلك لكون النبوّة موهبةً ومِنحَةً مِن الله عزَّ وجلَّ، قد انقضت بختمية محمد رسول الله ﷺ "خاتم النبيين"، وليست النبوّة مِن الأمور الكسبية، التي يُحْصَلُ عليها بطاعة رسول الله ﷺ،

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٥/٣١٢) رقم/٢٦٤٢١، مسند أحمد (٢٣/٣٤٩) رقم/١٥١٥٦.

أو يرتقي إليها أحد بالرياضة، فكون محمد ﷺ خاتمًا ليسدَّ الله به باب النبوّة، ثم لا يدخل منه أحد في قائمة الأنبياء، وبهذا المفهوم الإسلامي لا يكون نزول عيسى عليه السلام مُعَارِضًا لعقيدة ختم النبوّة، لأنه عليه السلام قد نُبّئ قبل سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ [الصف: ٦]، ونزوله إلى الدنيا لا يعتبر زيادة في قائمة رسل الله عليهم السلام، التي قد ختمها الله عزَّ وجلَّ ببعثة محمد رسول الله ﷺ خاتماً للنبيين.

تناقض القاديانية في هذا الباب:

لقد أعلن أحد المحاورين القاديانيين عبر وسائل إعلامهم، وفي برنامج عنوانه "ختم النبوّة"، قائلاً: إنَّ "خاتم النبيين" معناه أفضلهم، قياسًا على قول الناس "فلان خاتم المفسرين" بمعنى "أفضلهم".

في حين أنَّ محاورًا قاديانيًا آخر، قال: إنَّ "خاتم النبيين" بمعنى "آخرهم"، لكن النبوّة تنقسم إلى **ثلاثة أقسام وهي:**

١/ نبوّة تشريعية مستقلة: وهي منحة ربانية، مثل نبوّة موسى ومحمد عليهما السلام، وهي نبوّة خالصة.

٢/ نبوّة غير تشريعية غير مستقلة: وهي منحة ربانية محضة، كنبوّة هارون عليه السلام.

٣/ نبوّة غير مستقلة: يُحْصَلُ عليها باتباع خاتم النبيين ﷺ، وهذا

النوع مِن النبوّة مخصوص بالأمة المحمدية، كنبوّة الميرزا غلام أحمد، وهي ليست منحة محضة، بل للاكتساب فيها دخل، كما أنّ في وجود هذه النبوّة في الأمة المسلمة تشريف لخاتم النبي ﷺ.

ونترك هذه الأساليب اللاشرعية واللامنطقية واللامعقولة.

ونقول: حول القول الأول للقاديانية:

إنَّ حمل "خاتم النبيين" على أفضل النبيين، قياسًا على قول الناس، "فلان خاتم المفسرين"، أي أفضلهم، وحمل "الخاتم" على "الأفضل" أمر يخالف اللغة والشرع، وقد فصلنا القول في ذلك في مقالنا "مفهوم خاتم النبيين"، فينبغي مراجعته.

وأما المقول القادياني الثاني، وهو تقسيم النبوة، وجعل نبوه الميرزا أحد أقسامها:

فنقول أولاً: إنَّه معارض لقول القادياني الأول، لأنَّ صاحب القول الأول جعل "الخاتم" مشتركا بين "الآخر" و"الأفضل"، حينما خصص صاحب المقول الثاني "الخاتم" بالأخير محاولة منه بالقول بإجماع الفريقين في باب ختم النبوّة.

فعلى صاحب القول الثاني، أولاً تصحيح وضع القاديانية فيما يأتي:

أولاً: في باب مفهوم "خاتم النبيين"، وفي عقيدة القاديانية في باب "ختم النبوّة".

ثانيًا: إثبات النبوّة المخصوصة كنبوّة الميرزا حسب تصريحه، والتي يحصل عليها المطيع بكمال الطاعة والاتباع بأدلةٍ مِن الكتاب والسنة لا بمجرد هواه.

ثالثًا: الإجابة على الأسئلة التالية:

س ١/ ألا يوجد المطيع والمطيع الكامل لـ"خاتم النبيين" ﷺ في الصحابة ﷺ؟ أو في التابعين؟ أو في أتباع التابعين؟ أو في الأئمة المجتهدين والمفسرين والمحدثين منذ بعثة "خاتم النبيين" ﷺ إلى زمن الميرزا غلام أحمد؟!

س ٢/ كم عدد الأنبياء المطيعين الذين وُجِدوا خلال الفترة مِن بعثة "خاتم النبيين" ﷺ إلى زمن الميرزا غلام أحمد، والتي تمتد إلى ما يُقارِبُ ثلاثة عشر قرنًا مِن الزمان؟!

س ٣/ هل يعتبر أهل هذه القرون الثلاثة عشر مِن أهل الفترة؟!

س ٤/ ولماذا حُرِمَتِ البشرية مِن نعمة النبوّة وبركاتها خلال تلك القرون؟!

س ٥/ إذا كان وجود نبوّة تبعية سبب تفضيل "خاتم النبيين" على الرسل السابقين عليهم السلام، فكم مِن الأنبياء يسدون هذا الغرض (العياذ بالله).

س ٦/ مَنْ هم الأشخاص الذين عيّنوا كـ"الأنبياء المطيعين" منذ ادّعاء الميرزا غلام أحمد بالنبوّة وحتى الآن؟

لا شك أنَّ هذه الأساليب كلها، هي إمَّا أن تكون تحريفًا لمعنى "خاتم

النبيين"، أو سعيًا فاشلًا لإثبات نبوّة مخصوصة لشخص مخصوص، أو طريقًا غير شرعي لإثبات فضل "خاتم النبيين"، وفي الحقيقة أنها مساعٍ فاشلة لإثبات نبوّة الميرزا غلام أحمد، في حين أنَّ الحق الثابت الصحيح، هو أنَّ سلسلة النبوّة الربانية قد ختمت بـ"خاتم النبيين" ﷺ، فلذا ننصح القاديانيين بالرجوع إلى الحق والصواب، والإيمان والإذعان بأن محمداً ﷺ، هو "خاتم النبيين" بمعنى آخرهم، وأنه لا نبي بعده، كما هي عقيدة الأمة المسلمة الإجماعية المسلسلة المحتمة.

عقيدة ختم النبوّة مِنَّةُ الله على البشرية :

إنَّ مِن مِنَنِ الله على عباده أنه قد حَصَرَ سعادتهم في طاعة إنسان واحد، وهو الذي قد جعلَهُ أسوةً حسنةً للبشرية كلها، فاتباع الأكثرية لشخصية واحدة تشريع رباني، وإنَّ مِن سماحة الشريعة الربّانية التسهيل على الإنسان لتكوين شخصيته، فإن كان القدوةُ أكثرَ مِن واحد صَعُب على المتَّبِع الطاعة لتعدد القدوة، وقد قال الله عزَّ وجلَّ في كتابه الكريم: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

ولمّا كانت النبوّة اختيار الله تعالى، فمِن حكمته أنه اختار مَنْ شاء مِن عباده أنبياءَ ورسلاً، ومِن حكمته أنه ختم سلسلة النبوّة على محمد رسول الله ﷺ، حتى يكون رسول الأولين والآخرين منذ بعثته ﷺ إلى نهاية هذا العالم بقيام الساعة، كما قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة: ٢-٣]، فقد شَرَّفَ

الله "خاتم النبيين" ﷺ ببعثته في الأُمِّيين، وهم السابقون الأولون لأمة محمد ﷺ، كما شَرَّفَه الله عزَّ وجلَّ بأن يكون نبي الآخرين أيضًا، فبعثته ﷺ، هي البعثة الشاملة، التي تشمل بعثته في الأولين، وبعثته في الآخرين، وهذا مِن حكمة الله أيضًا، أنَّه خَصَّ النبي الخاتم ﷺ لهذا الشرف العظيم، فلذا قال: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة: ٥٤]، إنّ مهمته ﷺ كانت متمثلة في أن يُعَلِّمَ أتباعه الكتاب، والحكمة، ويزكي مَن كانوا موجودين في زمنه ﷺ، وقد قام بتأدية هذه المهمة ورثته مِن بعده، وإنه لمتناسق عمل التعليم والتربية والتزكية إلى آخر الزمان وفق منهجه ﷺ، فجهوده نفسه، وجهود أتباعه من الدعاة، قد أُسندت إليه، فإنه ﷺ هو المربي الأعظم، وهو المعلم الأعظم، وهو المزَكِّي الأعظم، ثم إنَّ هذا الشرف العظيم، وهذا العمل الجليل ، قد تماثلا في أن يُمَكِّنَ الربُّ تبارك وتعالى رجلاً أُمِّيًا لذلك، ودعى الناس كلهم مخاطبًا إياّهم إليه، بقوله: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، فهذا مَظْهَر قدرة الله العظيمة، وحكمته البالغة، فلذا قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم: ٤].

واستدلت القاديانية بآيتي سورة الجمعة [١] على إثبات البعثتين للنبي ﷺ الأولى الأصلية، والثانية الظِلِّيَة، وفي بروز الميرزا غلام أحمد القادياني، وقد

---

(١) وهما قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة: ٢-٣].

قمنا بالرد على هذه الفكرة على وجه التفصيل، في مقالنا "**فكرة الظل والبروز**"، ونقول على وجه الإجمال ههنا، في ضوء ما بَيَّنَ الله عزَّ وجلَّ في القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وكذلك عند بيان عموم رسالته ونذارته، كما فسرها النبي ﷺ بقوله: "إنما بعثتم ميسرين لا معسرين"، كما أجمع الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، ومَن بعدَهم، بأنَّ بعثة "خاتم النبيين" ثابتة للأُمِّيين الموجودين في عصره، كما أنها ثابتة للآخرين أيضاً، حيث إنَّ دعوته بلسانه تشمل دعوة كُلِّ مَنْ يدعو باسمه إلى دعوته ﷺ إلى يوم القيامة، وهذا التفسير هو مُرَادُ الله، وبيان رسوله ﷺ لقوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣** ﴾ [الجمعة: ٢-٣]، وهو مصداق خاتمية رسالته ﷺ، وهو التفسير المحكم للفظ "خاتم النبيين" ﷺ، وقد اخترنا هذا التعبير، لئلا تُلَبِّسَ القاديانيةُ مفهومَ "خاتم النبيين"، وأن لا تُحَمل آيتا الجمعة على فكرتها اللاسماوية، فكرة "البروز" بدون استشهاد شرعي.

فالحاصل: أنَّ النبوّة منحة ربانية محضة، وليست أمرًا مُكْتَسبًا قطعاً، وكون محمد ﷺ رسول الله وخاتم النبيين أمر محتّم باصطفاء اللهِ واختيارِه، وكذلك عموم دعوته وشمولها، وكونه أُسوةً حسنةً للبشرية كلها أمور ثابتة ومستمرة إلى يوم القيامة، وهذا هو مصداق قوله تعالى: ﴿ **فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**

﴿ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ﴾، وهو ﷺالذي يجب على البشرية كُلِّهَا إلى يوم القيامة اتباعه وِفْقَ قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وتصريح القاديانية بأنَّ عدم توفر وسائل الإعلام والنشر والدعاية، قد حال بين "خاتم النبيين" ﷺ وإكماله وظيفته النبوية بديهي البطلان، ولا أصل له شرعاً، بل الحق أنَّ وصفه ربه بـ"خاتم النبيين" خير دليل على أنه ﷺ بلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وهدى الأمة والبشرية مراعيًا لحق التبليغ، وحق الأداء، وحق الإرشاد، لأنَّ كل مَن يقوم بهذا العمل بعده ﷺ من أتباعه من الدعاة، هو تطبيق عملي لبعثته، وتفسير لكونه نبياً خاتماً عالمياً ومبعوثاّ ربّانياَ كنبي عالمي الذي بُعِثَ رحمة للعالمين، لأنَّ الجهود المبذولة مِن قِبَلِ ورثته مِن الدعاة، والمصلحين، والمبلغين، مِن خير أمة، والذين هم بُعثوا ميسِّرين لا معسرين إلى يوم القيامة، كلها تصب في حسابه ﷺ، كما ذكره المفسرون الإسلاميون في تفسير قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ﴾ [الجمعة: ٢-٣]، خلاف تفسير القاديانية المصطنع من عندها بدون أي مستند شرعي.

أهمية بيان هذه العقيدة:

لقد نال بيان عقيدة "ختم النبوّة" لصاحبها محمد رسول الله ﷺ أهميةً قصوى في نصوص الشريعة الإسلامية، فقد أعلنه الباري جلَّ وعلا في القرآن الكريم بقوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ

﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كما ثبت بالأحاديث الصحيحة، ومنها ما رواه أحمد والبيهقي وابن حبان عن العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ قال: "إني عند الله لخاتم النبيين، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته" (١).

ويعني ذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أقرَّ روحَ النبي المباركة حقيقة "خاتم النبيين" ﷺ، فكان هذا في غاية الأهمية عند الباري جلَّ وعلا، بأن يُعْلِنَ ختم نبوته ﷺ في عالم الأرواح، وأن ظهرت بعثته أخيراً بعد ذلك في الأخير، وقد أُقِرَّ ﷺ "خاتم النبيين" قبل ولادة آدم عليه السلام، وقبل ولادة نوح وموسى وعيسى عليهم السلام، فلا اعتراض بأنَّ مجيء نبيٍّ ربَّانيٍّ، كعيسى عليه السلام بعد بعثة النبي ﷺ، ولا يكون ذلك معارضاً لعقيدة ختم النبوّة، (كما تُلَبِّسُ ذلك القاديانية على العوام)، ثم إنه مِن إيمان جميع المسلمين وفق النَصَّينِ (الكتاب والسنة)، بأنَّ كل نبي يؤدي وظيفته في فترته التي قد بُعِثَ لها، فكانت فترة النبوّة المحمدية، كما هو مصرح من عند الله هي منذ بعثته ﷺ إلى أن يرثَ الله الأرض ومَن عليها.

ومما نالت هذه العقيدة شرف بيانها ما أعلنه القرآن الكريم من أخذ الله العهد والميثاق من جميع الأنبياء للإيمان بخاتم النبيين، ولنصرته ﷺ في عالم الأرواح، وقد ورد ذكر هذا البيان العظيم، والإعلان العام في سورة البقرة في قوله الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكۡمَةٍ ثُمَّ

---

(١) مسند أحمد ط الرسالة (٣٩٥/٢٨) رقم/١٧١٦٣، شعب الإيمان للبيهقي (٥١٠/٢) رقم/١٣٢٢، صحيح ابن حبان (٣١٢/١٤) رقم/٦٤٠٤.

﴿جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١-٨٢]، ففي هذه الآية الشريفة ذكر ذلك العهد المحكم والميثاق المبرم الذي قد أُخِذَ مِن جميع الأنبياء، والرسل عليهم السلام، للإيمان بالنبي الخاتم ﷺ، وتصريح محكم بخطاب الله عزَّ وجلَّ لهم، ووصف من أخذ الميثاق بلفظ بـ"رسول" يأتي بعدهم أجمعين ثبتت بمعنى خاتميته بأن يكون ذلك الأفضل هو آخرهم، فلذا يقول قتادة رحمه الله: إنَّ الله أخذ ميثاقهم بتصديق بعضهم بعضًا، والإعلان بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ آخرهم، وأنه لا نبي بعدَهُ [(١)].

وقد اهتم الشارع الحكيم ببيان عقيدة "ختم النبوّة" على خاتم النبيين ﷺ، حيث أجرى الله خاتميته على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم السلام، ومما يدلّ على ذلك أنَّ نفرًا من أصحاب النبي ﷺ، قالوا له يا رسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: "نعم ، أنا دعوة أبي إبراهيم، وكان آخِرُ مَن بَشَّرَنِي عيسى ابن مريم عليه السلام"[(٢)]، وفي هذا الحديث إشارة إلى دعاء إبراهيم عليه السلام حيث دعا ربه عند بناء الكعبة قائلاً: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾

---

(١) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي (٨/٤٥٥).

(٢) تفسير الطبري: (٣/٨٢) رقم/٢٠٧٠، تفسير ابن كثير: (٨/١١٠)، تفسير القرطبي: (٢/١٣١).

[البقرة: ١٢٩]، وقد ورد ذكر "خاتم النبيين" ﷺ في كُتُبِ الله المنزلة على الرسل وآخرهم عليه السلام.

إلى هنا وقد أجملنا القول حول أهمية هذه العقيدة عند خالق هذا الكون، وبارئه جلّ وعلا، وواضع شريعة البشر سبحانه وتعالى.

أبلغ الأساليب القرآنية لبيان عقيدة ختم النبوّة الربانية:

الأساليب القرآنية الثلاثة:

كثيرًا ما ذكر القرآن الكريم وجوب الإيمان على المكلفين بتوحيد الباري جلَّ وعلا، فَعَطَفَ عليه الايمان بالرسل عليهم السلام، فمفهوم الإيمان بالرسل عليهم السلام عند الأمة المسلمة هو الإيمان بجميع الأنبياء عليهم السلام، مع الإيمان بخاتمية خاتم النبيين ﷺ، وقد اختار القرآن الكريم لبيان ذلك ثلاثة أساليب:

الأسلوب الأول:

ذكر الإيمان بالرسل عليهم السلام كوصف أهل الإيمان على وجه الإخبار بصيغة الماضي، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٤]، فقد حدَّدَ الله عزَّ وجلَّ بضابط قرآني حدود الرسالة الربانية، والذي يجب على المكلفين الاعتراف بها، ألا! وهو الإيمان بما أنزِلَ على محمد ﷺ، والإيمان بما أنزل قبله على أنبياء الله عليهم السلام، ففي

هذا البيان انتفاء الوحي والنبوّة، بعد نبوّة محمد ﷺ، خاتم أنبياء الله، ورسله عليهم السلام، لأن الوحي المحمدي هو الأخير من وحي الله على إنسان لم يسبق أن أوحي إليه، وصاحبه هو آخر الأنبياء، فلا وحي بعد وحيه، ولا نبوّة بعد نبوته.

الأسلوب الثاني:

ذكر القرآن الكريم الإيمان بالوحي والنبوّة كصفة لازمة للمؤمنين بصيغة المضارع مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ **[البقرة: ٤]**، فهذا أيضًا أسلوب بياني قويٌ لبيان ضابط قرآني في باب ختم النبوّة لتعيين مفهوم، وهو أنَّ الوحي الإلهي، وسلسلة النبوّة الربانية قد انقطعت على محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ.

الأسلوب الثالث:

وهو طلب الرَّبِّ تبارك وتعالى مِن عباده الإيمان بالله وبالرسل عليهم السلام بصيغة الأمر مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ **[النساء: ١٣٦]**، فلَمْ يطلب الرَّبُّ تبارك وتعالى مِن عباده الإيمان بنبوّة أحد بعد محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ، رغم أنَّ المؤمنين كانوا أَحْوَجَ إلى النبوّة البعدية مِن النبوّة القبلية.

فهذه الأساليب الثلاثة، وهي: الإخبار عن الإيمان بالرسل بصيغة الماضي، أو وصف أهل الإيمان بصفة الإيمان بالرسل عليهم السلام بصيغة المضارع، أو طلب الشارع من العباد الإيمان بالرسل عليهم السلام بصيغة

الأمر، وكلها مختصة بالنبوّات القبلية مع الإيمان بنبوّة خاتم النبيين محمد ﷺ.

أسلوب قوي لبيان استغناء أهل الإيمان عن نبوّة وشريعة بعد نبوّة محمد ﷺ وشريعته:

إنَّ للقرآن الكريم أسلوبًا آخرَ يدل على نفي أي نبوّة بعد محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ بكل وضوح، وهذه الصراحة وبهذا الأسلوب لكي تطمئن البشرية كلها على وجه العموم، والمؤمنون على وجه الخصوص بهذا المدلول لخاتم النبيين، ولا يقبلوا غيره من أحد، وقد أثبت الخالق ببيان صريح استغناء البشرية كلها بنبوّة محمدية وشريعته عن أيِّ نبوّة وأي شريعة أخرى، بعد بعثة محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ، ومِن الآيات الدالة على ذلك:

قول الله عزّ وجلّ في سورة "**المائدة**": ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**﴾ [المائدة: ٣]، وقبلَ أن نُفَسِّرَ هذه الآية كما فَسَّرَهَا المفسِّرُون المسلمون.

نَذْكُرُ قول الميرزا غلام أحمد الوارد، في كتابه "التحفة الجولروية" صـ:٥١، والمدرج في الخزائن الروحانية: صـ:١٧٤، وحينما كان الميرزا غلام أحمد القادياني على عقيدة الأمة الإسلامية حيث يقول:

١- "ومثل ذلك في آية: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، وآية: ﴿**وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾ قد ختم الله النبوّة على محمد ﷺ صراحة، كما صرح بأنه ﷺ خاتم الأنبياء".

ويقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾: هذه أكبر نِعَمِ الله عز وجل على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتمَ الأنبياءِ، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أَحَلَّهُ، ولا حرام إلا ما حَرَّمَهُ، ولا دين إلا ما شَرَعَهُ، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خُلف[١].

ويقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: فهذه الآية نص في أنه لا نَبِيَّ بعده ﷺ، وإذا كان لا نَبِيَّ بعده، فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى، لأنَّ مقام الرسالة أخصُّ مِن مقام النبوّة، فإنَّ كل رسول نَبِيٌّ، ولا عكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ مِن حديث جماعة مِن الصحابة رضي الله عنهم، قال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي، حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أُبَي بن كعب، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: "مثلي في النبيين كمثل رجل بنى دارًا فأحسنها، وأكملها، وترك فيها موضع لَبِنَةٍ، لم يضعها، فجعل الناس يطوفون بالبنيان، ويعجبون منه، ويقولون لو تمَّ موضع هذه اللبنة، فأنا في النبيين موضع تلك اللبنة" [٢].

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/٢٦).
(٢) المرجع السابق: (٦/٤٢٨).

فلا رسول بعدي ولا نبي" [١].

وقال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: "فُضِّلْتُ على الأنبياء بست: أوتيت جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرُّعب، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض مسجدًا وطهورًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتِمَ بي النبيون" [٢].

ويقول ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمِن رحمة الله بالعباد إرسال محمد ﷺ إليهم، ثم مِن تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدِّين الحنيف له، وقد أخبر تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله في السُّنَّةِ المتواترة عنه، أنه لا نَبِيَّ بعده، ليعلموا أنَّ كلَّ مَنْ ادَّعى هذا المقام بعده، فهو كذَّابٌ، أفَّاكٌ، دَجَّالٌ، ضالٌّ مُضِلٌّ، ولو تَخَرَّقَ وشَعْبَذَ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات، فكلها محال وضلال عند أولى الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومُسيلمة الكذاب باليمامة مِن الأحوال الفاسدة، والأقوال الباردة، ما عَلِمَ كل ذي لُبٍّ وفَهْمٍ وحِجا، أنهما كاذبان ضالان لعنهما الله، وكذلك كل مُدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة حتى يُخْتَمُوا بالمسيح الدجال، فكل واحد مِن هؤلاء الكذابين يَخْلُقُ الله معه مِن الأمور ما يشهدُ العلماءُ، والمؤمنون بكذب مَنْ جاء بها [٣].

قواصم الظهر بإقرار الميرزا بالمفهوم الصحيح للخاتمية:

لقد أقرَّ الميرزا بنفس المفهوم الصحيح للخاتمية، وبنفس

---

(١) المرجع السابق: (٦/٤٢٨).
(٢) صحيح مسلم (١/٣٧١) رقم/٥٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: (٦/٤٣٠).

الاستدلال حيث يقول في "حمامة البشرى":

٢- "﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ألا تعلم أنَّ الرَّبَّ الرحيم المتفضل يسمى نبينا ﷺ خاتم الأنبياء، بغير استثناء، وفَسَّرَهُ نبينا ﷺ في قوله: "لا نبي بعدي".

نقول: إنَّ آية خاتم النبيين تدلُّ على نفس المعنى الصحيح للخاتمية، الذي هو مفهوم آية "خاتم النبيين" عند المسلمين، وحديث "لا نبي بعدي"[(١)]، يؤيد هذا المفهوم عند الميرزا أيضًا.

كما يقول الميرزا في كتاب البرية صـ: ١٨٤ ما تعريبه:

٣- "قال النبي ﷺ: "لا نبي بعدي"، وحديث "لا نبي بعدي"، كان مِن الأحاديث المشهورة، ولم يكن لأحد الكلام في صحته، ثم إنَّ القرآن الكريم الذي كل لفظ منه قطعي يُصَدِّقُ هذا الأمر في آيته: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، والحق أنَّ النبوّة قد خُتِمَتْ على نبينا ﷺ".

ويقول أيضا في إزالة الأوهام صـ: ٢٩:

٤- "هذا الأمر مستلزم للمستحيل بأن يبدأ نزول جبريل عليه السلام على الأرض بعد خاتم النبيين ﷺ، وأن يوجد كتاب الله الجديد المتوارد في مضمونه القرآن الكريم، وما يستلزم المستحيل أيضًا".

---

(١) سبق تخريجه.

ويقول في تبليغ الرسالة: صـ: ٢٥/٥:

٥- "أيها الناس، ويا مَنْ يَدَّعِي أنه مِن ذرية المسلمين، لا تكونوا أعداء القرآن، ولا تقولوا بإجراء سلسلة وحي النبوّة بعد خاتم النبيين، واستحيوا مِن الله الذي تحضرون أمامه".

النص الأردي:

"اے لوگو! مسلمانون کی ذریت کہلانے والو دشمن قرآن نہ بنواور خاتم النبیین کے بعد وحی نبوت کاسلسلہ جاری نہ کرو، اوراس خداسے شرم کروجس کے سامنے حاضر کئے جاؤگے".

ويقول أيضا في تبليغ الرسالة: صـ: ٢/٦:

٦- "نحن أيضا نَلْعَنُ مُدَّعِي النبوّة ونقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونؤمن بختم نبوّة محمد ﷺ".

النص الأردي:

"ہم بھی مدعی نبوت پر لعنت بھیجتے ہیں. لا إله إلا الله محمد رسول الله کے قائل ہیں اورآنحضرت ﷺ کی ختم نبوت پرایمان رکھتے ہیں".

ويقول أيضا بالنص العربي في حمامة البشرى صـ:٩:

٧- "وما كان لي أن أدَّعي النبوّة، وأخرج عن الإسلام، وألحق بقوم كافرين".

النص الأردي:

"میرے لئے درست نہیں کہ میں نبوت کا دعوی کروں، اور اسلام سے خارج ہو کر کافروں کے اندر شامل ہو جاؤں".

إنَّ ما نقلنا مِن أقوال الميرزا في تفسير آية "خاتم النبيين"، ومفهوم الخاتمية مِن مراجع قاديانية أصلية، كُلُّها تدلُّ على أنَّ الميرزا كان معتقدًا بمفهوم خاتم النبيين حسب عقيدة المسلمين، وكان يرى أنَّ كُلَّ مَنْ ينكر ذلك يستحق اللعنة عنده، وصار مِن الكافرين حسب عقيدته.

لماذا غَيَّر الميرزا هذه العقيدة الثابتة؟ وما هي مبررات القاديانية واعتذاراتها؟

نقولُ: لقد كان خروج الميرزا غلام أحمد مِن دائرة الأُمَّةِ الإسلامية في باب عقيدة "ختم النبوّة"، وقبوله هذا الحكم حسب تصريحه للغرض المنشود، والذي قد أشرنا إليه في المقال الثاني مِن سلسلة الدِّين النصيحة بعنوان : **"فكرة غير سماوية"**.

ولكن كيف الوصول إلى ذلك؟ فقد غيَّر الميرزا مفهوم النبوّة، حيث قال في "التجليات الإلهية" صـ:٢٥، والمدرج في الخزائن الروحانية صـ: .....

٨- "والآن وقد انقطعت النبوات كلها إلا النبوّة المحمدية لا يمكن أن يأتي نبيٌّ تشريعي، ويمكن أن يأتي نبيٌّ غير تشريعي، ويجب أن يكون أُمَّتِيًّا قبل النبوّة، وعلى هذا يكون أُمَّتِيًّا ونبيًا أيضًا".

نقول:

إنَّ الميرزا قد صرَّح في ريويو صـ:٨، والمدرج في الخزائن الروحانية: ٢١٦/١٩ بعدم اجتماع النبوّة والأُمَّتِيَّةُ في شخص واحد، وقد صرح في إزالة الأوهام والمدرج في الخزائن الروحانية: ٤١٠/٣:

٩– "هاتان الحقيقتان متناقضتان".

أي لا تجتمع النبوّة والأُمَّتِيَّةُ في شخص واحد.

***كما أقر الميرزا بأنَّ الرسول والأُمَّتِي أمران متباينان:**

١٠–"مفهوما الرسول والأُمَّتِي متباينان".

*** لقد جمع الميرزا أمرين متناقضين، ووفق بين أمرين متباينين في شخص نفسه، وهذا الأسلوب متعارف عنده، حيث يدّعي بأنه نبي + أمتي، وبأنه مسيح موعود + مهدي.**

الهدف مِن اجتماع النقيضين وأسلوب الاستشهاد على ذلك:

لقد جمع الميرزا بين المتناقضين والمتباينين، حينما يقول بأنَّ النبوات كلها قد انقطعت، ولن يأتي نبيٌّ تشريعي، أو غير تشريعي يكون أُمَّتِيًّا قبله، ثم ادعي لنفسه كل ذلك، وكان غرض الميرزا من تصريحاته في نفي مجيء نبي الردّ على عقيدة المسلمين في نزول المسيح عليه السلام، لكي يُمَهِّدَ لنفسه ادِّعاء النبوّة، ثم تدرَّج إلى النبوّة بالقوة، ثم إلى النبوّة الظِّلِّيَةِ، ثم إلى النبوّة غير التشريعية، ثم إلى النبوّة التشريعية، واستدل لكل ذلك بإلهاماته مُتَّكِئًا على كشوفه ووحيه.

وقد أشرنا إلى تفصيل ذلك في مقال سابق، والشاهد هنا أنَّ الميرزا غَيَّرَ في عقيدته التي كان قد حكم على منكريها بالكفر، أما المسلمون أجمعون فلا زالوا ثابتين عليها – ولله الحمد –، لأنها وما زالت مؤيدةٌ بأدلة الكتاب، والسُّنَّةِ، وهي لا شك أقوى مِن إلهامات الميرزا المخالفة لعقيدة المسلمين، وعقيدة الميرزا نفسه السابقة، والمدرجة في البراهين الأحمدية كما سبق.

موضع للتأمل:

كيف أَلْحَقَ الميرزا غلام أحمد نفسه، وأدرج اسمه في قائمة النبيين؟ لقد فعل هذا مرةً بتغيير مفهوم النبوّة، وأخرى بتغيير مفهوم خاتم النبيين.

حيث يقول في ضميمة "البراهين الأحمدية" صـ: ١٣٨، والمدرج في "الخزائن الروحانية": ٢١/٣٠٦:

١١–"ليس مفهوم النبي إلاّ "المخبر" بإصلاح مِن الله عن طريق الوحي، والمشرّف بشرف المكالمات والمخاطبات الإلهية، وليس مِن الضروري أن يأتي بشريعة، كما ليس من الضروري أن يكون مُتَّبِعًا لرسول صاحب تشريع".

ويقول أيضا في التجليات الإلهية صـ:٢٦، والمدرج في الخزائن الروحانية: ٢٠/٤١٢:

١٢–"النبي عندي يقال لِمَنْ ينزل عليه كلام الله على وجه اليقين والقطع بالكثرة، والمشتمل على الغيب، فلذا سمَّاني الله نبيًّا لكن بغير شريعة".

ويقول في حقيقة الوحي صـ:٢٨، والمدرج في الخزائن الروحانية: ٣٠/٢٢:

١٣-"لقد مضى في هذه الأمة ببركة طاعة النبي ﷺ آلاف الأولياء، كما وُجِدَ فيهم مَنْ هو نبي وأُمَّتِيٌّ أيضًا".

نقول: بعد هذا التدريج، وصل الميرزا إلى درجة النبوّة المزعومة.

فقال كما ورد في جريدة الحكم بتاريخ ١٠/إبريل/سنة/١٩٠٨م، والمدرج في الخزائن الروحانية: .....

١٤-"لست نبيًّا جديدًا، فقد خلا مِن قبلي مئات مِن الرسل".

ويقول أيضا في حقيقة الوحي صـ: ٩٦، والمدرج في الخزائن الروحانية: ٩٩/٢٢:

١٥-"مِن رحمة الله بأنه قد أبلغَ مُتَّبِعَ النبي ﷺ منزلة النبوّة، فهو أُمَّتِيٌّ مِن جانب، ونبيٌّ مِن جانب آخر".

ونسأل القاديانية:

كيف تُعْلِنُونَ عَبْرَ تلفازكم في حلقة "ختم النبوّة" بأنَّ نبوّة الميرزا نوع جديد مِن النبوّة؟ وهو النوع الثالث من أنواع النبوّة، أي "النبوّة التابعة المخصوصة" الحاصلة بتبعية خاتم النبيين أي آخرهم، في حين أنَّ الميرزاُ صَرِّحَ بنفسه قائلاً: "**لست نبيًّا جديدًا**"! تأملوا وتدبَّروا وَفَّقَكُمْ الله للوصول إلى الحق والصواب.

دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية:

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في اهتمام الكتاب والسنة في تحديد مدلول "خاتم النبيين"، وهو أنه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين لا نبي بعده بدون أي تأويل فيه، وأن يتأملوا في أسلوب الميرزا القادياني في تأويلاته في مدلول هذا النص القرآني بدون أي مستند شرعي من الكتاب والسنة، وعليهم اختيار ما هو الثابت من مراجع شرعية وما كان عليه الأمة من خير القرون إلى يومنا هذا، فإن اختيار المجمع عليه فيه القناعة، وترك ما سواه فيه الحماية للثوابت، والسعادة للعبد.

هذا وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتيجة المبحث:

لقد تحقق من هذا المبحث ما يلي:

١- لقد أجمعت الأمة المسلمة منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا، ولا تزال مُجتمعة، وستدوم كذلك إلى قيام الساعة، على أنَّ سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله هو "خاتم النبيين".

٢- لقد اقتضى الإيمان بالرسل عليهم السلام الإيمان بأن سيدنا محمدًا ﷺ هو آخر النبيين.

٣- تعتقد الأمة المسلمة بأن محمدًا رسول الله ﷺ خاتم النبيين، بمعنى لا نبي بعده، كما تعتقد الأمة المسلمة، وتصرح بأن محمداً ﷺ خاتم النبيين، بمعنى إليه تنتهي شرف ورتبة النبوّة.

٤- ليس المراد بعقيدة ختم النبوّة وبخاتمية سيدنا محمد رسول الله ﷺ حرمان البشرية مِن نعمةٍ قد مَنَّ الله بها على عباده، لكن معنى الخاتمية أنَّ نعمة الله عزَّ وجلَّ قد أتمها الله على البشرية ببعثة خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ.

٥- شملت دعوة خاتم النبيين البشرية كلها، فلا مكان ولا زمان، ولا إنس ولا جان، خارج عن دائرة نبوته ﷺ.

٦- لقد ثبت أنّ النبوّة موهبة ومِنحَة مِن الله عزَّ وجلَّ، وقد انقطعت بتعيين محمد رسول الله ﷺ كخاتم النبيين.

٧- ليست النبوّة مِن الأمور الكسبية التي يُحْصَلُ عليها بطاعة الله والرسول ﷺ، أو يرتقي إليها أحد بالرياضة.

٨- تتناقض القاديانية في باب ختم النبوّة بحملها مرةً على الأفضل، وأخرى على الأخير.

٩- لقد استخدم القرآن الكريم الأساليب الثلاثة عند ذكر الإيمان بالرسل، وهي: (١) إخبار الإيمان بالرسل بصيغة الماضي، (٢) وصف أهل الإيمان بإيمانهم بالرسل عليهم السلام بصيغة المضارع، (٣) طلب الإيمان منهم بالرسل عليهم السلام بصيغة الأمر، وكلها مختصة بالنبوّة القبلية، مع نبوّة خاتم النبيين محمد ﷺ.

١٠- قام الميرزا غلام أحمد القادياني بالردّ على عقيدة المسلمين في باب ختم النبوّة، لكي يُمَهِّدَ لنفسه ادِّعاء النبوّة التدريجية، ثم تدرَّج إلى النبوّة بالقوة، ثم إلى النبوّة الظِّلِّيَةِ، ثم إلى النبوّة غير التشريعية، ثم إلى النبوّة التشريعية، واستدل لكل ذلك بإلهاماته مُتَّكِئًا على كشوفه ووحيه.

من سلسلة "**الدين النصيحة**"

المقال الثامن عشر

لماذا تحمل القاديانية "الخاتم" على "الأفضل"؟

وهدفها من قياس بيان القرآن الحقيقي على كلام الناس المجازي

ملخص المبحث:

يتلخص المبحث فيما يأتي:

١- جُمع لرسول الله ﷺ الخاتميتان، وهما الخاتمية في الرتبة، والخاتمية في الزمن ، بمعنى هو الأفضل في الرسل، والأخير في البعثة.

٢- لا يجوز قياس كلام الله الحقيقي في شأن المصطفى ﷺ، و"خاتم النبيين" على كلام الناس المجازي "فلان خاتم المفسرين" بمعنى أفضلهم.

٣- مدلول "الخاتم" وضعاً، واشتراكه في المعاني ومنها "آخر القوم"، وليس "الأفضل" منها.

٤- "الخاتم" في قوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. هو الأخير من الأنبياء لغةً وشرعاً.

٥- من أغاليط القاديانية حمل "الخاتم" على "الأفضل" لإنكار آخرية خاتم النبيين ﷺ.

٦- من خصائص النبي الخاتم ﷺ "الأفضلية المطلقة" و"الحقيقية".

٧- "الخاتمية" في النبوّة بمعنى "الآخرية" لها دلائل مستقلة، وبمعنى "الأفضلية" لها دلائلها.

٨- المسيح الموعود هو الذي ينزل من السماء، لا الذي يولد من بطن أمه.

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد!

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. هذا هو المقال السادس عشر، وعنوانه: **"لماذا تحمل القاديانية "الخاتمية على "الأفضلية"، وما هدفها من قياس كلام الله الحقيقي على كلام الناس المجازي"**؟ فنقول وبالله التوفيق:

خصوصية سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ:

لقد جمع الله عز وجل لنبينا ﷺ الخاتميتين معاً، أي الخاتمية في الرتبة، والخاتمية في البعث.

فالخاتمية في الرتبة، معناها: أنه أفضل الرسل، وإليه تنتهي منزلة الرسالة الربانية.

والخاتمية في البعث معناها: آخر النبيين، فلا نبي بعده، وعليه تنتهي سلسلة النبوة الربانية، فمحمد ﷺ أفضل الرسل، وخاتم للنبيين، أي آخرهم.

ولكل خاتمية بيانها في القرآن الكريم:

أما الخاتمية في الزمن أى أن محمد رسول الله ﷺ آخر النبيين، فقد بيّنه قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**.

أما خاتميته ﷺ في الرتبة مع خاتميته في البعث، فقد بيّن ذلك آية الميثاق، أى أن محمداً ﷺ أفضل الرسل وآخر النبيين، فهي جامعة بين الأفضلية والآخرية في باب الرسالة والنبوة لمحمد ﷺ، كما دلّت على أفضلية النبي الخاتم ﷺ في الرسالة آيات عموم رسالته ﷺ، وعموم نذارته، وعموم بشارته.

أما آية الميثاق فهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ **[آل عمران: ٨١]**، لقد أخبر الله عزّ وجلّ في هذه الآية أنه أخذ من جميع الأنبياء الميثاق على الإيمان بالنبي الخاتم ونصرته، كما ذكرت الآية أن هذا النبي الأعظم ﷺ يأتي بعدهم كلهم، فلا بد وأن تكون الأفضلية من خصائص آخر النبيين، فهكذا جُمع لنبينا ﷺ الخاتمية في الزمن، والخاتمية في الرتبة معاً، فمَن أقرّ بأفضليته، وأنكر آخريته، فقد أنكر آية خاتم النبيين، كما أنكر آية الميثاق، فلذا تعتقد الأمة المسلمة بالجمع بين الخاتميتين معاً، أي الخاتمية في الزمن بمعنى كونه آخر النبيين، والخاتمية في الرتبة بمعنى كون سيدنا محمد ﷺ أفضل النبيين، لأن الذي قد أُخذ من النبيين الميثاق للإيمان به ونصرته، هو الآتي بعد الجميع.

كما أن شمول وعموم رسالته ﷺ الزمان والمكان دليل للخاتميتين أيضاً، فسيدنا محمد ﷺ جامع بين الشرفين، وحائز على الفضلين، فبعثته عامة شاملة للخلق كله، وللأزمنة كلها، ومستمرة إلى يوم القيامة، ولا نبي بعده، وهذه هي العقيدة الإجماعية للأمة المسلمة منذ بعثة النبي ﷺ إلى يومنا هذا موثقة بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة من الكتاب والسنة، وعليه أجمعت الأمة المسلمة.

الفصل بين الخاتميتين من عمل القاديانية:

ظهرت القاديانية، وقد ادَّعي مؤسسها النبوّة بعد النبي الخاتم، واتخذ عقيدة في هذا البابب مخالفة للكتاب، والسنة وإجماع الأمة، وأوّل الخاتمَ بالأفضل، وصرّح بأن محمدًا رسول الله ﷺ هو أفضل الرسل، لا آخرهم، ولا شك إنه مستلزم إنكار دليل الأفضلية حسب تصريح القرآن الكريم، الذي بيّن أن صاحب الأفضلية هو الذي يكون مصدّقاً لجميع الأنبياء، ويأتي بعدهم كلهم، فلا يمكن لأحد أن يقول إنه يؤمن بأفضلية محمد رسول الله ﷺ، وينكر آخريته، لأنه منكر لدليل الأفضلية، ألا! وهو إتيانه في الأخير، وتصديقه للجميع، فلا يكون مصدقاً للجميع إلاّ الأخير، والذي لا يأتي بعده نبي، فلذا مَن أنكر آخرية محمد رسول الله ﷺ، فقد أنكر أفضليته ﷺ دون شك، هذا هو مآل مَن فصل بين الخاتمية في الرتبة، وبين الخاتمية في البعثة لمحمد ﷺ، وهذا مصير مَن فصل بين الأفضلية والآخرية، وهذا هو الذي فعلته القاديانية.

أسلوب القاديانية للفصل بين الشرفين:

لقد احتالت القاديانية للفصل بين "الأفضلية" و"الآخرية" في باب النبوّة لنبينا ﷺ، واختارت طريقة التأويل في آية "خاتم النبيين"، وحملت لفظ "الخاتم" على "الأفضل" الوارد في قوله تعالى في شأن محمد رسول الله ﷺ: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قياساً على قول الناس "فلان خاتم المحدثين"، و"فلان خاتم المفسرين"، أي أفضلهم، فهكذا أوّلت القاديانية في دليل "الآخرية"، وحملت "الخاتم" على "الأفضل"، وخالفت اللغة والشرع حيلةً منها لإنكار "الآخرية" لمحمد رسول الله ﷺ في باب النبوّة.

وهدف القاديانية من أسلوبها المذكور إنكار العقيدة الإجماعية للأمة المسلمة، وإنكار خاتم النبيين ﷺ، وخاتميته في البعث، لأجل إجراء سلسلة النبوّة بعد النبي الخاتم ﷺ كذبًا ودجلاً.

قمع هذه المكيدة:

نقول: لا ننكر أن "الخاتم" في كلام الناس، نحو "فلان خاتم المحدثين" يُحمل على "الأفضل" مجازاً، وذلك لأن القائل لا يعلم الغيب، ولا يعلم "الأخير" في الباب، فلا يمكن حمله على الحقيقة لعدم اطلاعه على الغيب، فإما يحكم على كلامه بالكذب، وإمّا يحمل على المجاز، بأنه قصد "الأفضل" في هذا الوصف، لكن كلمة "الخاتم" الوارد في قول الله عزّ وجلّ في شأن النبي الخاتم ﷺ بعد ذكر اسمه: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فالقائل هو علام الغيب،

ويعلم "الأخير" في باب النبوة، فلذا يحمل "الخاتم" في آية خاتم النبيين على حقيقته، وهو "الأخير"، وعليه حمل مَن أنزل عليه هذه الآية، وفسرها بقوله "لا نبي بعدي"، وبه آمنت الأمة المسلمة، وعليه دلالة اللغة، فلذا نقول إن حمل "الخاتم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين" مكيدة قاديانية للفصل بين الشرفين للمصطفى ﷺ، فإنه من أعظم المنكرات اللغوية، وأشنع المخالفات الشرعية، وخروج على ضوابط البيان وقواعد الأصول، وفيما يلي بيان ذلك:

البيان الواضح حول أسلوب القاديانية المذكور لإفصاح أغاليطها:

يجدر بنا أن نبدأ بتعريف المشترك، ثم نذكر بيان تلك المعاني التي يشترك فيها لفظ "الخاتم"، ثم نشير إلى تصرف القاديانية خلاف اللغة.

والبيان والنقل والشرع.

تعريف المشترك: هو ما وُضع لمتعددٍ ابتداءً، فكل معنى من معاني المشترك لا بد وأن يكون موضوعاً له.

ليس هذا هو المشترك، بل حقيقة ومجاز:

إذا وُجدت كلمة دلّت على معنىً بوضعه، وعلى آخر عن طريق المجاز فلا يسمى مشتركاً بينهما، بل دلالته على معناه الوضعي حقيقة، وعلى غيره مجاز.

لفظ "الخاتم" والمعاني التي هو مشترك فيها:

إنّ لفظ "الخاتَم" مشترك بين المعاني الست الآتية:

١- ما يُتختم به أي: يُلْبَسُ في الأصبع.
٢- فص المهر الذي يُرسم فيه الاسم وغيره.
٣- نقش المهر الذي ينطبع على الورق.
٤- نقرة القفا.
٥- وضح القوائم.
٦- الآخر: يقال: خَتَمَ القرآن أي: بلغ آخره، وخاتمة الشيء آخره.

يقال: "خَاتَم القوم: آخرهم"، "ومحمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام" أي آخرهم. وقوله تعالى: (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي: آخره، لأنَّ آخر ما يجدونه المسك.

حكم المشترك:

أولاً: من حكم المشترك أن معانيها الوضعية كلها حقيقية، مثل: لفظ "الخاتم" لمعانيه الستة.

ثانيًا: يدل المشترك على معنىً واحد في وقت، وهو الذي قد ترجّح من معانيه، ولا يعمّ المشترك المعاني كلها.

ثالثاً: إذا ترجّح أحد معاني المشترك بدليل قطعي، أو انعقد عليه الإجماع يكون ذلك المعنى مدلوله القطعي، كالخاتَم بمعنى "الأخير" في آية "خاتم النبيين" حسب بيان الشارع وإجماع أهل اللغة والتفسير ، فلا يكون مدلول "خاتم النبيين" إلاّ آخر النبيين، تعيّن ذلك المعنى كمدلوله الوضعي.

رابعًا: إن دلّت كلمة "الخاتَم" على معنى من معانيه الوضعية، فدلالته عليه حقيقة.

خامسًا: إذا حُمل اللفظ المشترك على معنىً من معانيه الوضعية، ولا يكون الدليل قطعيًا، فيكون مدلوله ظنيًا، مثل لفظ "القُرء" المشترك بين الحيض والطهر، حمله البعض على الحيض، وحمله البعض على الطهر، وليس "الخاتم" من هذا القبيل، بل إنه للخاتم متعين بدليل قطعي.

سادسًا: إذا استعمل اللفظ المشترك لمعنىً ليس من معانيه الوضعية، فهذا استعماله المجازي، كلفظ "الخاتم" في كلام الناس، "فلان خاتم المحدثين"، بمعنى أفضلهم.

سابعًا: لا يكون اللفظ مشتركاً بين معنيين، أحدها حقيقي، والآخر مجازي، بل يقال في مثل ذلك الحقيقة والمجاز.

ثامنًا: إذا كان اللفظ له معنىً حقيقي، والآخر استعماله المجازي، فلا يجوز حمل اللفظ على المدلول المجازي، إذا أمكن حمله على معناه الحقيقي.

ففي ضوء ما قلنا لا يدخل "الأفضل" في معاني "الخاتَم" الوضعية، ولا يكون "الخاتَم" مشتركاً بين "الأخير" و"الأفضل، والقول بذلك جهلٌ صريح، ومن أغاليط القاديانية.

لقد ارتكت القاديانية الأغاليط أو المغاطات الكثيرة بحمل "الخاتم" الوارد في آية "خاتم النبيين" على "الأفضل"، ونحن سنشير إليها بعد ذكر ملاحظة مهمة حول "الخاتم".

ملحوظة هامة حول استعمال "الخاتم":

إن لفظ "الخاتم" في كلام الناس، وفي مدلوله المجازي لا يختص بالأفضل فحسب، بل يستعمل للمفضول أيضاً، كقول القائل "فلان خاتم المحدثين"، نظرًا إلى أوائلهم، فلا يكون مراد القائل إلاّ المفضول، فإن "الأفضل" في هذا الباب، أولهم: وكقول أحد "فلان خاتم خلفاء الراشدين"، فالقائل قصد حمل "الأفضل" على "المفضول"، فلا شك أن دلالة "الخاتم" على "الأفضل" أو على "المفضول" إنما تكون حسب الموقع ومراد المتكلم.

أما إطلاق "الخاتم" بمفهومه اللغوي إنما يكون على "الأخير" في الوصف الذي أُضيف إليه "الخاتم"، مثل قول الله تعالى في شأن محمد رسول الله ﷺ "خاتم النبيين"، أما قول الناس "فلان خاتم المحدثين"، فإنه أمر جدير بالتأمل.

فإن إطلاق "الخاتم" على "الأخير" في وصف ما، إنما هو من خواص علاّم الغيوب ، المطّلع على الأول والأخير في الأوصاف، وليس هذا من عمل الخلق، فلذا إذا أطلق أحد لفظ "الخاتم" مضافاً إلى وصف ما، فلا يخلوا إطلاقه من الاحتمالات الثلاثة الآتية:

أولاً: أن يكون القائل علام الغيوب الذي يعرف مَن هو الأول والأخير في كل أمر؟ فلذا قول الله سبحانه وتعالى إنما يكون حقاً وصدقاً وحقيقةً يجب حمله على ظاهره، كقول الله تعالى في شأن محمد رسول الله ﷺ أنه "خاتم النبيين"، فدلالته قطعي في كونه ﷺ آخر النبيين.

ثانياً: أن يكون القائل مَن أطلعهم علاّم الغيوب على "الخاتم" في

وصف ما، كقول النبي ﷺ لعمه أنه خاتم المهاجرين بمعنى "آخرهم"، وفي مسجده أنه آخر المساجد، أي "المسجد الأخير" الذي بناه نبي الله ﷺ.

ثالثاً: أن يكون القائل غير علاّم الغيوب، أو غير مَن أطلعه علاّم الغيوب، كقول الناس "فلان خاتم المحدثين"، فيحمل مثل هذا القول على محملين:

المحمل الأول: إنه كذب صريح حيث أن المتكلم لا يُدرك ما يقوله، أو يقول ما لا يعلمه، فهو كاذب في قوله.

المحمل الثاني: يكون قوله على وجه المبالغة في ذلك الوصف ، بمعنى أن هذا قد بلغ في هذا الوصف إلى الرتبة النهاية التي لا رتبة بعدها، فيُحمل "الخاتم" حينئذ على "الأفضل" في وصف المضاف إليه، فمَن قال من عقلاء الناس "فلان خاتم المحدثين"، فصيانةً لقوله من الكذب، نقول إنه قال على وجه المبالغة، لأنه لا يعلم "الأخير" في هذا الفن، فيُحمل "الخاتَم" في قوله على "الأفضل" مجازاً، وهذا هو مراد القائل ههنا، والذي لم يقصد بقوله "فلان خاتم المحدثين" أنه آخرهم، بل قصد أفضلهم، وإن كانت حقيقة لفظ "الخاتم" هو "الأخير"، أمّا حمله على "الأفضل"، فإنما يكون مجازًا، وقد صرف اللفظ من الحقيقة إلى المجاز نظراً إلى حال القائل، وليس هذا حال علاّم الغيوب جلّ وعلا حينما أطلق "خاتم النبيين" على محمد رسول الله ﷺ، فإن الله سبحانه وتعالى يعرف "الأخير" من أنبيائه، ألا! وهو الذي ليس بعده نبي، وكلامه حقيقة وحق لا يحتمل الكذب أو المجاز، بل لا بد من حمله على ظاهره، كما فعله المفسرون الإسلاميون.

هنا من حقنا أن نسأل القاديانية:

- ❖ لماذا تحملون "الخاتم" في قول الله "وخاتم النبيين" على "الأفضل"؟
- ❖ لماذا صرفتم لفظ الخاتم من الحقيقة إلى المجاز؟
- ❖ لماذا لم تحملوا "الخاتم" على معناه الحقيقي؟
- ❖ هل زعمتم أن قائل خاتم النبيين لا يعلم الغيب (عياذاً بالله)؟
- ❖ هل قائل "خاتم النبيين" لا يعرف الأخير في باب النبوّة (عياذاً بالله)؟
- ❖ هل الله عزّ وجلّ قال في شأن النبي الخاتم "وخاتم النبيين" على وجه المبالغة لا على وجه الحقيقة (عياذاً بالله)؟
- ❖ هل كلام الله ليس بحق وصدق وحقيقة حتى يحمل على المجاز بمعنى الأفضل (عياذاً بالله)؟
- ❖ ألم يرد في الكتاب والسنة أدلة أفضلية خاتم النبيين ﷺ، كما وردت أدلة آخريته؟

بل الحق الواقع ما يلي:

- ❖ حقاً إن قائل "خاتم النبيين" هو علاّم الغيوب.
- ❖ وحقاً هو يعرف "الأخير" في باب النبوّة، وهو الذي أطلق "خاتم النبيين" بتصريح اسمه محمد ﷺ.
- ❖ وكلامه صدق وحق وحقيقة، لا مبالغة فيه.

❖ ويُحمل كلامه على ظاهره حتماً، كما فسّر بذلك رسول الله ﷺ، وسمعه أصحابه منه، ونقله التابعون، وبذلك صرّح المفسرون الإسلاميون كلهم بلا استثناء.

❖ ولا يُصرف كلام الله إلى المجاز قطعاً، ومعنى "خاتم النبيين" هو آخر النبيين حتماً.

❖ وحمل معنى "الخاتَم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين" تحريف وإلحاد في آيات الله.

❖ وهو صنيع القاديانية لإنكار آخرية النبي في باب النبوّة، كما أنه لم يكن لإثبات الأفضلية التي تليق بشأن المصطفى ﷺ، وهي الأفضلية مع "الآخرية" في الرسالة والنبوّة.

وجوه إبطال حمل القاديانية "الخاتم" في "خاتم النبيين" على الأفضل قياساً على كلام الناس:

نقول: إن أسلوب القاديانية لإنكار ختم النبوّة الربّانية على محمد رسول الله ﷺ بحمل "الخاتم" على "الأفضل" أمر يخالف اللغة والشرع بالوجوه الآتية:

أولاً: لا اشتراك بين "الأخير" و"الأفضل" في لفظ "الخاتَم"، فإن دلالته على المعنى الأول حقيقة، لأن "الأخير" من معانيه الوضعية، و"الأفضل" من استعماله المجازي، ولا اشتراك بين المعنى الحقيقي والمراد المجازي، وإنّما اشتراك المشترك في معانٍ كلها وضعية.

ثانياً: حمل "الخاتم" على "الأفضل" قياسًا على كلام الناس على وجه المبالغة مجاز، وإثبات "الأفضلية" لنبينا ﷺ بهذا الأسلوب القادياني إنما للفصل بين "الأفضلية و"الآخرية"، وليس هذا أسلوب الأمة المسلمة، بل إنه خدعة قاديانية تهدف إلى إنكار خاتميته ﷺ في البعث.

ثالثًا: إنّ الأفضلية لرسولنا ﷺ ثابتة على وجه مستقل بنصوص القرآن والسنة، و"الآخرية" له ﷺ أيضاً ثابتة على وجه مستقل بالأدلة القطعية من الكتاب والسنة، ولا يصح حمل الخاتم على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين"، فإنه تأويل وتحريف في دليل ختم النبوّة.

رابعًا: إنّ "الأخير" هو معنى الخاتم وضعاً، و"الأفضل" مدلوله مجازاً، وإذا صح دلالة اللفظ على المعنى الوضعي، بطل حمله على المعنى المجازي بإجماع أهل اللغة والعقلاء.

خامساً: حمل "الخاتم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين" سعي القاديانية للتلبيس والخلط على العامة في مفهوم "خاتم النبيين" المتعين من قبل الشارع، والثابت بإجماع المفسرين الإسلاميين.

سادساً: حمل "الخاتم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين" يخالف ضوابط اللغة والبيان والأصول، لأن القاديانية تصرّح عبر وسائل إعلامها بأنها حملت "الخاتَم" على "الأفضل" وهو أحد معاني "الخاتم"، بل تقول القاديانية، وهو الأنسب، وحملت الأمة "الخاتم" على "الأخير"، وهو أحد معاني "الخاتم" أيضاً، وهذا التبرير القادياني في حد ذاته مردود، لأن دلالة

"الخاتم" على "الأفضل" ليس كدلالته على "الأخير"، فإنّ "الأفضل" يراد منه على وجه المجاز عند المبالغة صيانةً لكلام القائل من الكذب، وليس "الأفضل" من المعاني الوضعية للخاتم.

أما "الأخير" فإنه من معاني "الخاتم" الوضعية، فدلالته على "الأخير" حقيقة، وليس مجازًا، وإنّما يشترك "الأخير" مع المعاني الخمسة الأخرى التي ذكرناها، وليس "الأفضل" منها، كما إن المعاني الخمسة للخاتَم لا يمكن إرادتها في الآية على وجه الحقيقة، فلذا إن قول القاديانية بأن الأمة المسلمة حملت "الخاتم" على معنىً، هذا القول باطل من حيث الواقع، ومردود لغةً وشرعاً، بل إنه تلبيس ودجل، فلا يجعل اللفظ مشتركاً بين المعنى المجازي وبين مدلوله الحقيقي.

سابعاً: حمل "الخاتم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين" يخالف الضوابط الشرعية، لأن دلالة النص القطعي إنما يكون على معنىً بيّنه الشارع، فيكون ذلك المعنى مدلوله القطعي، ثم لا يجوز حمله على أي معنى في غيره، بل يعتبر ذلك إنكاراً بمدلول النص، ثم مدلول اللفظي، لأن اللفظ إذا وُضع للمعنى، وحدّده الشارع، يجب على المؤمن قبوله، وعدم قبول المعنى والاعتراف بالنص هو الإلحاد في آيات الله، فحينما تعيّن مدلول "الخاتم" في آية "خاتم النبيين" بدليل قطعي، وهو تفسير الشارع وإجماع الأمة، فلا يجوز حمل "الخاتم" إلاّ على "الأخير" حتماً، فيكون التشكيك فيه سعيًا فاشلاً لجعل القطعي ظنياً لإبطال المسلمات الثابتة.

الخلط المزدوج والأغاليط المركبة للقاديانية:

ماذا فعلت القاديانية بحمل "الخاتم" على "الأفضل" في آية "خاتم النبيين"؟، قبل أن نذكر ذلك نقول، نحن لا نقدح في أحد في حمل "الخاتم" على "الأفضل" في كلام الناس عند الحاجة وعند وجود القرينة، كما نقول: إن "الخاتم" في كلام الناس لا يكون دائماً للأفضل، بل إنه قد يكون لبيان "الأفضل"، كقولهم "فلان خاتم المحدثين" أي أفضلهم، وقد يكون لبيان "المفضول"، كقولهم "هو خاتم الخلفاء الراشدين"، فلا شك أن "الأفضل" في الخلفاء هو أولهم، وأن "خاتمهم" هو المفضول بإجماع الأمة.

فلذا نقول إن كانت القاديانية مخلصة في إثبات "الأفضلية لمحمد رسول الله ﷺ لأثبتتها من أدلة أفضليته ﷺ، ولا تسعى لجرح دليل خاتميته ﷺ القطعي بحمل "الخاتم" الوارد في قوله تعالى في آية "خاتم النبيين" على "الأفضل" خلافا لضوابط اللغة والبلاغة والأصول، وخلاف النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وإجماع الأمة المسلمة.

ولا تحمل القاديانية "الخاتم" الوارد في آية القرآن على معنى "الأفضل" قياساً على كلام الناس، ولكنها فعلت ذلك، وارتكبت ما يلي:

أولاً: حملت القاديانية "الخاتم" الوارد في قول الله تعالى الحقيقي على "الأفضل" قياساً على قول الناس المجازي، وعلى وجه المبالغة.

ثانياً: لبّست القاديانية بين الحقيقة والمجاز.

ثالثاً: خلطت القاديانية تعريف المشترك.

رابعاً: أدخلت القاديانية في معاني المشترك ما ليس من معانيه الوضعية،

وبذلك خالفت الضوابط اللغوية والبلاغية والأصولية.

خامساً: لبّست في وضع لفظ "الخاتَم"، والمشترك بين "ما يُتختم به"، و"فص المهر"، و"نقش المهر"، و"نقرة القفا"، و"وضح القوائم"، و"الآخير"، حيث أخذت أحداً من هذه المعاني الوضعية فقط، وهو "الأخير"، ثم أخذت مدلوله المجازي، وهو "الأفضل"، فحكمت على "الخاتم" بأنه مشترك بينهما، أي "الأخير" و"الأفضل".

سادساً: جعلت القاديانية الاشتراك بين المعنى الوضعي وبين الاستعمال المجازي، فخالفت الضوابط اللغوية والأصولية.

سابعاً: سعت القاديانية للتشكيك في مدلول "خاتم النبيين" قطعي الثبوت قطعي الدلالة بسبب خلطها المذكور، فهكذا ألحدت في آيات الله.

ثامناً: خالفت ضوابط تفسير القرآن الكريم بحيث أنها لم تراع الشواهد الدالة على كون "الخاتم" بمعنى "الأخير" حسب سياق القرآن وشأن نزول الآية الدالة على استمرارية نبوّة محمد رسول الله ﷺ إلى آخر الزمان، حيث أن الآية نزلت في الردّ على القائلين بأن محمداً لا يبقى ذكره بعد مماته لعدم وجود ولدٍ له ذكرٍ، فنزلت الآية: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

تاسعاً: سعت القاديانية لجعل القطعي ظنياً، لأن آية "خاتم النبيين" قطعية الثبوت قطعية الدلالة بإجماع الأمة المسلمة، وحكمت القاديانية عليها بأنها ظنية الدلالة، وتحتمل "الأخير" و"الأفضل"، فاختارت "الأفضل"، واختار المسلمون "الأخير"، وهذا التصريح القادياني عبارة عن

الحكم بالظني على القطعي.

فالحاصل: إنّ سعي القاديانية لحمل "الخاتم" الموجود في كلام الله قطعي الثبوت، وقطعي الدلالة، قياساً على قول الناس "فلان خاتم المفسرين" مِن أشنع أغاليطها، وتهدف بذلك إنكار خاتمية النبي الخاتم ﷺ في البعث، وبأساليب تخالف اللغة والنقل لأجل التلبيس والتشكيك في المسلمات الإسلامية، وليس غرضها إثبات أفضلية النبي الخاتم ﷺ، كما أن صنيع القاديانية دليل على جهلها الصريح عن علم اللغة وضوابط الشرع.

أدلة عقيدة الأمة في بيان خاتمية خاتم النبيين ﷺ في الزمن، وفي الرتبة معًا:

تعتقد الأمة المسلمة بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ "خاتم النبيين" وهو مصداق قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ودلالته على كونه آخر النبيين عليهم السلام قطعيٌّ ببيان مِن صاحب الوحي، فلذا انعقد على ذلك إجماع الصحابة والتابعين، وهذا المفهوم مسلسل مع تسلسل نص "خاتم النبيين" في الأمة.

وتؤمن الأُمّةُ المسلمة أيضاً بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ هو أفضل النبيين بكونه صاحب الميثاق، وصاحب عموم الرسالة، فجُمِعَ له الخاتمية في الزمن والخاتمية في الرتبة، فعليه ﷺ تنتهي سلسلة النبوّة الربانية، وإليه ينتهي شرفها وفضلها.

الخاتمية في الزمن:

فالدليل الأول الخاص بها آية "خاتم النبيين"، فهي تختص ببيان آخرية محمد رسول الله ﷺ في النبوّة، وأما الآيات الأخرى التي تعم الأفضلية والآخرية ، فنتبع ذكرها بعد هذا الدليل، ليظهر للقارئ أنَّ التصرف القادياني في دليل آخريته في النبوّة، وحمله على "الأفضلية" يخالف اللغة والشرع، بل إنه في الحقيقة تحريفٌ قادياني صريح في قوله تعالى: ﴿**وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾، وغرض القاديانية منه إيقاع الناس في أغلوطة عظمى في عقيدة ختم النبوّة، كما يظهر للناس بوضوح أنَّ القاديانية لو قصدت إثبات أفضلية النبي الخاتم ﷺ لما قامت بلبس في مفهوم ﴿**وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾، ولم تسع لكسر قطعية النص القرآني المذكور، وإنما تستدل على أفضليته ﷺ مِن الأدلة التي ذكرها القرآن الكريم لإثبات أفضلية "خاتم النبيين" ﷺ.

ولقد ورد في قراءة "الخاتم" وآية "خاتم النبيين" ما يلي:

أولاً: "الخاتم" قُرئ بفتح "التاء"، وهي قراءة مشهورة، ومعناه "الأخير"، كما قُرئ "الخاتِم" بكسر "التاء"، ومعناه الذي يختم أو به يُختم الشيء.

ومآل القراءتين واحد، لأن الذي يأتي في الأخير في باب النبوّة يكون خاتِماً أيضاً.

ثانياً: لقد ثبت عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قرأ "ولكن نبياً خَتَم الأنبياء"، وهذه القراءة قد استأصلت أغلوطة القاديانية من أصلها، ولم يبق أي مدخل في إدخال الشبهة في كون النبي ﷺ آخر الأنبياء.

بيان أدلة "الخاتمية في الزمن"، و"الخاتمية في الرتبة" معاً:

ويدل على أفضلية رسولنا ﷺ، وآخريته في باب النبوّة معاً الآيات الآتية:

أولاً: آية الميثاق وهو قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ** ﴾ [آل عمران: ٨١].

وجه الاستدلال:

في هذه الآية إخبار من الله –عزَّ وجلَّ– عن إقراره الأفضلية بين الأنبياء لنبي عليه وعليهم السلام، وقد صدر هذا الإعلان الرباني على الشهود الأفاضل حضرات السادة المعصومين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فهم الذين قد أخذ الله مِنهم العهد الوثيق على الإيمان بهذا النبي العظيم، ونصرته قائلاً: ﴿**لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ** ﴾ [آل عمران: ٨١]، وذكر القرآن الكريم علامته المميزة بينهم، وعيَّنَ صاحب هذا الفضل قائلاً: ﴿**ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٨١]، فهو مَن يكون مصدقاً للجميع؟ فالآتي كمصدق للجميع (أي: جميع الرسل والنبيين عليهم السلام)، لا يكون إلاّ الأخير.

فهذا نصٌ قطعيٌّ لتخصيص الأفضلية لآخر النبيين عليه الصلاة والسلام.

فآية الميثاق حجة الله البالغة والمحكمة والصريحة على أنه لا فصل بين

الأفضلية والآخرية لمحمد رسول الله ﷺ في باب الرسالة والنبوّة، كما أن الآية نصٌ على ألاّ يثبت الإيمان بالأفضلية إلاّ مع الإقرار بأنَّ صاحبها هو آخر النبيين عليهم الصلاة والسلام.

فهنا نسأل القاديانية:

- ❖ حينما خص الله الأفضلية والآخرية لنبي مصدق للجميع، والآتي بعدهم، وجمع له الرب تبارك وتعالى الشرفين "الآخرية" و"الأفضلية"، فمن فصل بينهما؟
- ❖ مَنْ أمر القاديانية بالفصل بينهما؟
- ❖ هل الله عزَّ وجلَّ (عياذًا بالله) أخلف وعده -عياذًا بالله-، فَسَلَبَ منه شَرَف الآخرية، وخَصَّصَ له الأفضلية؟
- ❖ أو سلب منه شرف الأفضلية حينما خصص له الآخرية؟
- ❖ حينما جمع الله الأفضلية والآخرية لمحمد رسول الله ﷺ، فمَنْ هو غير الله الذي يكون كلامه حجةً للفصل بينهما؟
- ❖ هل قول الميرزا غلام أحمد، أو ادّعاؤه بالنبوّة، أو قياسه كلام الله الحقيقي "خاتم النبيين" على كلام الناس المجازي بأنَّ فلانًا "خاتم المفسرين" بمعنى أفضلهم مما يلتفت إليه، أو يرفض، ويرد عليه؟
- ❖ هل يوجد عند القاديانية نَصٌ شرعي يدل على الفصل بين الخاتميتين لمحمد رسول الله ﷺ؟ لأنَّ الرَّبَّ تبارك وتعالى قبل خلق الخلق، وقبل خلق لغاتهم ومحاوراتهم حدَّدَ، وعيّن، وبيّن ببيانًا واضحًا من هو "الأفضل؟ وأشهد أفضل مخلوقاته، وهم رسله

عليهم الصلاة والسلام، بأنَّ صاحب الأفضلية هو الذي وُصِفَ في كلام الله عزَّ وجلَّ بهذا الوصف: ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]، وقرّر بأن يكون بعث الأفضل، وهو محمدٌ رسول الله ﷺ آخرهم، ووصفه بأنه مُصَدِّقٌ لجميع رسله عليهم السلام، وما معهم مِن الكتاب والحكمة والهداية، وأخذ منهم العهد والميثاق على الإيمان به ونصرته، فحينما قرّر الرب تبارك وتعالى بأن يكون هو الآتي بعدهم، وأن يكون هو مصدقاً لما معهم، فلا مجال لأحد أن يُغَيِّرَ ما قرَّرَه الله، وأن ينكر خاتمية محمد رسول الله ﷺ في الشرف، وخاتميته في الزمن معاً.

بل هذه الآية مِن حيث المضمون متضمنةٌ سبب تخصيص الأفضلية له ﷺ، وهو مجيؤه بعد الجميع بحيث لن ينال شرف النبوّة بعده أحد. ويعم رسالته البشرية كلها، والأزمنة والأماكن أجمعها إلى يوم القيامة.

ثانياً: آية إكمال الدين، وإتمام النعمة:

يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

يقول ابن كثير رحمه الله: هذه أكبر نعم الله على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله خاتَمَ الأنبياء [١].

---

(١) تفسير ابن كثير: (٣/٢٦).

ثالثاً: آيات عموم الرسالة:

ويدل على الأفضلية في الرسالة والآخرية في النبوّة لنبينا ﷺ جميع آيات القرآن الكريم الدالة على عموم بعثته، وشمول رسالته؟ وذلك لأنه مِن الأمور المسَلَّمَةِ لدى المسلمين، حتى ولا تستطيع القاديانية إنكارها، بأنَّ أفضل درجات المنْعَمِ عليهم، هي درجة النبوّة، ولن يبلغ أحد غير صاحب النبوة منزلة النبوّة، وإن بلغ في العبادة، والرياضة، والزُّهْدِ، والتقوى، الدرجة القصوى منها.

وذلك لأنَّ النبي ﷺ مبعوث ربَّاني، أرسله الله تعالى ليقيم دعائم الإيمان، ويُرَسِّخُ أسس الدعوة إلى الله، وهو أَوَّلُ المؤمنين، وإمام الدعاة إلى الله تعالى، ومؤسس الأمة الإسلامية، فأفضل الأنبياء عليهم السلام شأنًا، وأعظمهم رتبة مِن بينهم، وأوسع دائرة في نطاق دعوته؟ فسيدنا محمد ﷺ تشمل بعثته ﷺ البشرية كلها، وإلى قيام الساعة، وتحيط نبوته ورحمته عليه الصلاة والسلام العالم الموجود أجمعه.

ولقد دلّت آيات كثيرة على عموم الرسالة، ومنها قوله تعالى: ﴿ **قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فهذه الآيات ومثلها كلها تدل على أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ، هو نبي مَنْ أدركه في حياته، ومَنْ يُولَدُ بعد وفاته إلى يوم القيامة، لأنَّ ألفاظ "جميعًا"، و"كافةً" و"الناس"، هي كلها لبيان الشمول لبعثة محمد رسول الله ﷺ، ولا يكون هذا إلاّ مِن

خواص "خاتم النبيين" ﷺ، ومِن بعثه الله آخرهم كلهم ومَن لا ينبأ أحد بعده.

ولفظ {لِّلْعَٰلَمِينَ} يَعُمُّ الثقلين جميعًا بلا تخصيص لزمان، أو مكان، أو إنس، أو جان.

ويخبر القرآن الكريم عن صاحب هذه الدعوة العامة، والبعثة الشاملة، مَن هو؟ فهو الذي يأمره الله أن يعلن عموم رسالته هكذا: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

ويقول الله عزَّ وجلَّ في بيان عموم رسالته ونذارته وبشارته مخاطباً إيّاه عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقد خصّص الله عزَّ وجلَّ محمدًا رسول الله ﷺ بكونه رحمة للعالمين، حيث قال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فالأفضلية الحقيقة والمطلقة وتخصيصها للنّبي الخاتم محمد رسول الله ﷺ من الحقائق الثابتة شرعاً، وهي بسبب عموم دعوته وشمول خطابه البشرية كلها، واستمرار نبوّته إلى يوم القيامة، وهذا دليل خاتميته في الزمن، أي أنه "آخر النبيين" مع آخريته في الرتبة.

إلى هنا وقد أشرنا إلى المرجع الشرعي لعقيدة الأمة المسلمة لإيمانها، بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ هو خاتم النبيين لا نبي بعده، وأنه ﷺ أفضل الأنبياء عليهم السلام، ولا يثبت الإيمان بالأفضلية دون الإيمان بالآخرية.

ولقد استدلَّ العلماء على عقيدة الأمة المسلمة المذكورة بمئات مِن الآيات القرآنية سَلَفًا وخلفًا، وقد ألَّفَ البعض مؤلفاتٍ مستقلة بعنوان **"بيان عقيدة ختم النبوّة في القرآن"**، كما استدلوا على ذلك مِن الأحاديث النبوية الشريفة، واستدلوا أيضا بإجماع الأمة المسلمة بجميع طبقاتها منذ عهد الصحابة ﷺ إلى يومنا هذا.

فالمصدر الأول: لإثبات هذه العقيدة هو: القرآن الكريم.

والمصدر الثاني: الأحاديث النبوية الشريفة.

والمصدر الثالث: الإجماع المسلسل للأُمَّة.

والمصدر الرابع: اللغة.

ونحن الآن نشير إلى بعض تفسيرات المفسرين الإسلاميين لخاتم النبيين الوارد في القرآن الكريم ليظهر على العامة والخاصة بأن حمل "الخاتم" الوارد في القرآن الكريم على "الأفضل" قياساً على كلام الناس قياس مع الفارق، وأمر باطل قُصِد به التشكيك في عقيدة الأمة.

أقوال الصحابة ﷺ، والتابعين في تفسير "خاتم النبيين":

قال الإمام أبو جعفر الطبري رحمه الله فيما رواه عن قتادة ﷺ في تفسير قوله: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي آخرهم [١].

وذكر السيوطي رحمه الله: (وهو مِن المجددين عند القاديانية) عن الحسن

---

(١) تفسير الطبري: (٢٠/٢٧٨).

رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال: ختم الله النبيين بمحمد ﷺ، وكان آخر مَن بُعِثَ [١].

ونقل قول المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول عن الشعبي: قال رجل عند المغيرة ابن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "صلى الله على محمد خاتم الأنبياء"، لا نبي بعده[٢].

ونقل ابن أبي حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: أنا أوَّلُ النبيين خَلْقًا، وآخرهم بعثًا[٣]، فتعيَّن مِن هذا مفهوم ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عند النبي ﷺ، وصحابته، وعند التابعين.

وقال الإمام أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ولكنه رسول الله، وخاتم النبيين الذي ختم النبوّة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل [٤].

ونقل ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ قول على بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ ختم النبيين، وخاتَمُ النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين [٥].

ويقول الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ **في الكشاف:** وهو معروف في فن التفسير ولغة العرب: وخاتَمُ ـ بفتح التاء ـ بمعنى الطابَع آلة الختم، وبكسرها بمعنى

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي: (٦/٦١٧).
(٢) المرجع السابق: (٦/٦١٨).
(٣) تفسير السمعاني: (٤/٢٦١).
(٤) تفسير الطبري: (١٩/١٢١).
(٥) تفسير الطبري: (٢٠/٢٧٩).

الطابع، وفاعِل الخَتْمِ، وتقويه قراءة عبدالله بن مسعود ﷺ: (ولكن نبيا ختم النبيين)، فأن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ابن مريم عليه السلام ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه "آخر الأنبياء"، أنه لا يُنَبَّأُ أحد بعده، وعيسى ممن نُبِّئ قبله [١].

وقال السيد محمود الألوسي رحمه الله **في روح المعاني**: والمراد بكونه عليه السلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوّة في أحد مِن الثقلين بعد تحليه عليه الصلاة والسلام بها في هذه النشأة، ولا يقدح في ذلك ما أجمعت عليه الأمة، واشتهرت فيه الأخبار، ولعلها بلغت مبلغ التواتر المعنوي، ونطق به الكتاب على قول، ووجب الإيمان به، وكفَّرَ منكره، كالفلاسفة، مِن نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان، لأنه كان نبيًا قبل تحلى نبينا ﷺ بالنبوّة في هذه النشأة، وكونه ﷺ خاتم النبيين؟؟

وفي "تفسير الخازن" (٣/٤٢٩) : "خاتم النبيين" ختم الله به النبوة، فلا نبوّة بعده، ولا معه.

وقال النسفي رحمه الله: "خاتَمُ النبيين" . بفتح التاء . عاصم بمعنى الطابع، أي آخرهم، يعني لا يُنَبَّأُ أحد بعده، وعيسى عليه السلام ممن نُبِّئَ قبله، وغيره، وبكسر التاء بمعنى الطابِعُ، وفاعل الختم، ويقوية قراءة عبد الله بن مسعود ﷺ: **{ولكن نَبِيًّا خَتَمَ النبيين}** [٢].

وقال الزرقاني رحمه الله **في "شرح المواهب اللدنية" في تفسير آية:**

---

(١) تفسير الزمخشري: (٣/٥٤٤).
(٢) تفسير النسفي: (٣/٣٤).

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ومنها يعني مِن خصائصه عليه السلام، أنه خاتَم الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، أي آخرهم الذي ختمهم، أو خُتِمُوا به على قراءة عاصم بالفتح(١).

وروى أحمد والترمذي والحاكم بإسناد صحيح عن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: {أنَّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت، فلا رسول بعده، ولا نبي بعده، ولا يقدح نزول عيسى عليه السلام بعده، لأنه يكون على دينه مع أنَّ المراد أنه آخر مَنْ نُبِّئَ (٢).

وقال القاضي عياض رحمه الله في تفسير آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، "ومَنْ ادَّعى النبوّة لنفسه، أو جَوَّزَ اكتسابها، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها، كالفلاسفة، وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادَّعى منهم أنه يوحى إليه، وأن لَمْ يَدَّعِ، أو أنه يصعد إلى السماء، ويدخل الجنة، ويأكل مِن أثمارها، ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كُفَّارٌ مكذبون للنبي ﷺ، لأنه أخبر أنه ﷺ "خاتم النبيين"، ولا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه "خاتم النبيين"، وأنه أرسل إلى كافة الناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهرة، وأنَّ مفهومه المراد به دون تأويل، ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا" (٣).

---

(١) شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: (٢٣٥/٧).
(٢) مسند أحمد: (٣٢٦/٢١) رقم/١٣٨٢٤، سنن الترمذي: (٥٣٣/٤) رقم/٢٢٧٢، الضياء في الأحاديث المختارة: (٢٠٦/٧) رقم/٢٦٤٥.
(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: (٦٠٩/٢).

وجاء في تفسير "مراح البيد لكشف معنى القرآن المجيد": وتسمية نبينا "خاتم الأنبياء"، لأنَّ الخاتم آخر القوم قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ثم قال ونفي الأعمِّ يستلزم نفي الأخصِّ.

ويقول الإمام الغزالي رحمه الله (وهو مجدد القرن الثامن عند القاديانية): إنَّ الأمة قد فهمت مِن هذا اللفظ عدم مجيء نبي بعده أبدًا، وعدم مجيء رسول بعده أبدًا، وأنه ليس فيه تأويل، ولا تخصيص، فكلامه مِن أنواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره، لأنه مُكَذِّبٌ لهذا النص الذي أجمعت الأمة على أنه غير مؤوّل ولا مخصوص.

إلى هنا وقد ذكرنا تفسير آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾: وقطعية مفهومه وِفْقَ ما فَسَّرَهُ النبي عليه الصلاة والسلام، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعون، والأئمة، والمجددون، والمفسرون ، رحمهم الله تعالى.

ويجدر بنا أن نذكر بعض شبهات القاديانية حول مفهوم خاتم النبيين مع الرد عليها:

الشبهة الأولى: إذا كان مفهوم "خاتم النبيين" أنَّ محمدًا رسول الله ﷺ آخر الأنبياء عليهم السلام، ولا يأتي نبي بعده، فعيسى عليه السلام نبي الله بالإجماع، فلماذا تعتقد الأمة المسلمة بمجيئه ثانيًا؟ ثم مِن أين يأتي المسيح ولفظ الآخر دليل على موته؟

إزالة هذه الشبهة:

نقول: لإزالة هذا الإشكال:

إنَّ مفهوم "خاتم النبيين" هو كون محمد ﷺ "آخر النبيين" بعثاً مع عموم بعثته، أي أنَّه هو نبي العالم كله، وَوُصِفَ بهذا الوصف أمام جميع الأنبياء عليهم السلام، والمراد أنه لا يُنَبَّأُ أحدٌ بعده ﷺ، ولا يعارضه مجيء أحد مِن الأنبياء السابقين عليهم السلام، كما أنَّ كونه ﷺ "آخر الأنبياء" لا يقتضي موت عيسى عليه السلام، وما قلناه يؤيده اللغة واستعمال العرب للفظ "الآخر" في محاوراتهم، وتدل على ذلك الآثار، ولعل ما ورد في هذا المجال من كلام منكري "ختم النبوّة" يشفي صدورهم، ونحن ننقل ذلك بعد نقل بعض الآثار، ونقول وبالله التوفيق:

يُقال في اللغة العربية: فلان "آخر الأولاد" أو "خاتم الأولاد"، فمفهومه عند العقلاء، وأهل اللغة على وجه الإجماع، بأنَّ فلانًا وُلِدَ في الأخير، ولم يُولد أحد بعده، ولا يفهم منه أنَّ مَنْ قبله مِن الأولاد قد ماتوا، ومثله يقال في اللغة: "فلان آخر القادمين" و"آخر الذاهبين"، وهذا "آخر المساجد"، فلا يُتَوَهَّمُ أحد مِن العقلاء بأنَّ كل من كان قبل الموصوفين بهذا الوصف قد نالتهم المنيَّةُ، وقد أصاب المساجدَ كلها الفناء غير هذا المسجد الأخير.

الآثار الواردة في كلمة "الخاتم" بمعنى "الأخير":

الأثر الأول: روى سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: استأذن عَمُّ النبي ﷺ للهجرة، فقال له رسول الله ﷺ: "يا عم أقم مكانك الذي أنت

به، فإنَّ الله قد ختم بك الهجرة كما ختم بي النبيون" [١].

لقد مَثَّلَ النبي ﷺ ختم نبوته بختم هجرة عمه ﷺ، ولم يتوهم أحد بأنَّ كون العباس ﷺ خاتم المهاجرين يعارض حياة المهاجرين ممن قبله، ويقتضي أنهم قد ماتوا، ليصح استدلال القاديانية، بأنَّ مفهوم "خاتم النبيين" معارض لحياة عيسى عليه السلام.

والحق الذي يُقال بكل صراحة أنَّ مفهوم "خاتم النبيين" معارض لادعاء الميرزا النبوّة بعد مجيء خاتم النبيين ﷺ.

الأثر الثاني: روى أبو هريرة ﷺ عن النبي قال في تفسير قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، (كنتُ أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا)[٢].

وهذا الحديث قد بيَّن مفهوم "خاتم النبيين" بكمال الإفصاح والتبيين، بأنَّ بعثته عليه الصلاة والسلام في هذا العالم كانت في الأخير، ولا يفهم أنَّ الأنبياء عليهم السلام كلهم قد ماتوا، فمِن أين يأتي المسيح عليه السلام؟

فمفهوم "خاتم النبيين" متعين في بعثة المصطفى ﷺ في الأخير، وخير مثال لذلك ما ذكره النبي ﷺ في قوله: (مثلي في النبيين كمثل رجل بنى

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي: (٥/٥٥) رقم/٢٦٤٦، المعجم الكبير للطبراني: (٦/١٥٤) رقم/٥٨٢٨، المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي (٣/٢١٢) رقم/١٣٩٣.

(٢) مسند الشاميين للطبراني: (٤/٣٤) رقم/٢٦٦٢، تفسير ابن أبي حاتم: (٩/٣١١٦) رقم/١٧٥٩٥، الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (٦/٥٧٠)، تفسير البغوي: (٣/٦١١)، تفسير ابن كثير: (٦/٣٤٢).

دارًا فأحسنها وأجملها وأكملها إلاّ موضع لبنة ، فكان مَنْ دخلها ونظر إليها قال: ما أحسنها إلاّ موضع هذه اللبنة! فأنا موضع اللبنة ، ختم بي الأنبياء)[١].

الأثر الثالث: ورد في الحديث ما رواه ابن عساكر أنَّ آدم عليه السلام سأل جبريل عليه السلام: مَن محمد ﷺ؟ فقال: آخر ولدك مِن الأنبياء[٢].

فمفهوم "الآخر" لا يقتضي موت الأولين.

الأثر الرابع: قال رسول الله ﷺ: (أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم المساجد) [٣].

فهل وجود خاتم المساجد يقتضي انهدام جميع ما سواه مِن المساجد الموجودة في زمنه ﷺ، أو ماهي موجودة إلى يومنا هذا، أو فيه دليل على فناء مساجد الأنبياء عليهم السلام كلها؟

والغرض مِن هذا كله أنَّ كون النبي ﷺ "خاتم الأنبياء وآخرهم" لا يعارض حياة عيسى عليه السلام، كما أنَّ خاتم المساجد لا يعارض وجود المساجد الأخرى، بل المعنى أنه لا يُنَبَّأُ أحدٌ بعد "خاتم النبيين" ﷺ، وكون مسجده ﷺ آخر المساجد، أنه لا يوجد بعده مسجد بناه نبي الله، ومفهوم الخاتم هذا لا يخالف حياة عيسى عليه السلام، نعم! يخالف هذا حتماً ادعاء

---

(١) صحيح مسلم: (١٧٩٠/٤) رقم/٢٢٨٦.
(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: (١٣٥/١)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: (١٠٧/٥).
(٣) أخبار مكة للفاكهي: (٨٧/٢) رقم/١١٩٢.

الميرزا بالنبوة بعد النبي الخاتم ﷺ، كما يخالف وجود مسجده، كمسجد بناه نبي.

فلم يتغير نص آية: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، ولا مفهومه منذ نزوله على خاتم النبيين ﷺ، فكونه "آخر النبيين" حقيقة ثبتت مِن آية ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وكونه "أفضل الأنبياء" حقيقة مستقلة لها أدلتهما، والنبي الخاتم ﷺ يجمعهما لكونه آخر من بُعث، ومن أدلة الأفضلية أنه ﷺ صاحب الميثاق، وصاحب البعثة العامة، والرحمة العامة، وعليه حصل إكمال الدين، وإتمام النعمة، كما أنّ الله جعله مُصدقًا لأنبيائه، وخاتمًا لهم، لأنه بُعث آخرهم.

نُكَرِّرُ دفع قياس القاديانية ونقول:

إنَّ كلمات "الأول" و"الأخير" و"الخاتم" يُنظر فيها في الحكم على أفضلية أحد في الوصف الذي أضيف إليه كلمات "الخاتم" و"الأول" و"الأخير"، فإذا تأملنا في هذا الأمر، وجدنا الأمر الواقع بأن أوصاف الهجرة، أو الخلافة، أو الإيمان، أو التفسير، أو الحديث في إضافة الخاتم إليها تختلف تماماً عن وصف النبوّة، ففي هذه الأوصاف المذكورة "أفضلهم" "أولهم" مثل: أفضل الخلفاء أولهم، وأفضل المهاجرين الأولون، وأفضل المفسرين الأولون، وأفضل المؤمنين الأولون، أما أفضل أنبياء الله تعالى، فقد أقرّ بحكمته أن يكون آخرهم، فلا يقاس "خاتم النبيين" في قول الله على "خاتم الخلفاء"، أو "خاتم الأولياء"، أو "خاتم المفسرين" أو "خاتم المهاجرين" في قول الناس.

اعترافات الميرزا بذلك:

إن لَمْ تشْف صدور القاديانية بما أوردناه مِن القرآن الكريم، والسنة النبوية، والآثار، واللغة، فنذكر لها مِن إلهام الميرزا المزعوم، والمذكور في ترياق القلوب، ولعله يشفي صدورهم، ويرجعون إلى الحق والصواب، ويدخلون في رحمة الله، ويعودون إلى دائرة الأُمَّة الإسلامية ثانيةً بعدما خرجوا منها بأي سبب مِن الأسباب.

يقول الميرزا غلام أحمد القادياني في ترياق القلوب صـ:١٥٦ المدرج في الخزائن الروحانية:

"لقد تحتم بأن يكون ذلك الشخص الذي ختم عليه على وجه التمام والكمال حقيقة الآدمية هو خاتم الأولاد أي لم يخرج مِن بطن امرأة إنسان كامل بعده".

فهذا ظاهر بأنَّ "خاتم الأولاد" عند الميرزا هو الإنسان الكامل الذي لم يُولد بعده أحد مِن بطن امرأة كما صرح به.

ويقول الميرزا غلام أحمد في "ترياق القلوب" صـ: ٣٩٧:

١- "وُلِدَتْ معي بنت كان اسمها "جنت"، وقد خرجت مِن البطن أولاً، وخرجت أنا بعدها، ولم يولد بعدي في بيت والدي ابن أو ابنة، وكنت خاتم الأولاد لهما".

النص الأردي

"میرے ساتھ ایک لڑکی پیدا ہوئی تھی،اس کا نام جنت تھا، پہلے وہ لڑکی پیٹ میں سے نکلی تھی اور بعد میں میں نکلا تھا، اور میرے بعد

میرے والدین کے گھر کوئی لڑکا پیدا نہیں ہوا اور ان کیلئے میں "خاتم الأولاد" تھا".

نسأل القاديانية:

ما المراد من كون الميرزا "خاتم الأولاد"؟ ألم يتعيّن أنه آخرهم؟ أو المراد لم تنته سلسلة أولاد والديه بعده؟

ويقول الميرزا أيضا في "ضميمة البراهين الأحمدية" صـ: ٥٤٠:

٢- "اسم خاتم أنبياء بني إسرائيل عيسى عليه السلام، واسم خاتم الأنبياء في الإسلام محمد وأحمد".

النص الأردي:

"بنی اسرائیل کے خاتم الأنبیاء کا نام عیسی ہے اور اسلام کے خاتم الأنبیاء کا نام محمد اور احمد ہے".

نسأل القاديانية:

ألم تنته سلسلة أنبياء بني إسرائيل على عيسى عليه السلام؟

ويقول الميرزا أيضا في "عين المعرفة" صـ:٣١٨:

٣- "للمسيح الموعود أسماءٌ كثيرة في كتب الله وأحد أسمائه "خاتم الخلفاء"، أي الخليفة الذي يأتي في آخر الجميع".

النص الأردي:

"خدا کی کتابوں میں مسیح موعود کے کئی نام ہیں، من جملہ ان کے ایک نام خاتم الخلفاء ہے، یعنی ایسا خلیفہ جو سب سے آخر آنے والا ہے".

نسأل القاديانية:

ألم يحمل الميرزا "الخاتم" على "الأخير"؟

كما يقول في "إزالة الأوهام" صـ: ٧٦١:

٤- "لَمْ يُجَوِّزْ القرآن الكريم مجيء أي رسول بعد "خاتم النبيين" سواءٌ كان ذلك النبي جديدًا أم قديمًا".

نسأل القاديانية:

ألم يحمل الميرزا "الخاتم" بمعنى "الأخير" الذي ليس بعده نبي؟

استعمال "الخاتَم" عند الميرزا في المراجع المذكورة:

لقد اتضح مِن أقوال الميرزا السابقة ما يلي:

أولاً: لا تعارض بين "ختم النبوّة" ونزول المسيح ابن مريم عليه السلام، فإنَّ "خاتم النبيين" يقتضي ألاّ يُولَد بعده نبي مِن بطن الأم، والمسيح ابن مريم عليه السلام قد وُلِدَ مِن بطن أمه قبل بعثة "خاتم النبيين" ﷺ.

ثانيًا: بطل ادعاء الميرزا غلام أحمد بالنبوّة، لأنه وُلِدَ مِن بطن أمه بعد بعثة "خاتم النبيين" ﷺ.

ثالثًا: تعيَّنَ بأنَّ المسيح الموعود الذي قد أخبرت الأحاديث عن نزوله لا يولد مِن بطن أمه وقت نزوله، وإلا خالف مفهوم "خاتم النبيين"، وعلى هذا لا يمكن أْن يكون الميرزا هو المسيح الموعود إطلاقًا.

الشبهة الثانية وإزالتها:

لقد ذكر الميرزا غلام أحمد في مؤلفاته، كما تصرح القاديانية عَبْرَ منابرها الإعلامية أنَّ لفظ "الخاتم" في "خاتم النبيين" بمعنى الطابع، أي: المهر، ومفهوم "خاتم النبيين" أن يوجد أنبياء بمهره وتصديقه ﷺ.

نقول: ما ذكرته القاديانية يقتضي أن يكون محمدٌ رسول الله ﷺ صانعًا للنبوّة والنبيين لا خاتمهم، وهذا التأويل يخالف اللغة، وتفسير القرآن مِن القرآن الكريم، وتفسير هذه الآية مِن الثروة الحديثية التي قد تتجاوز المئة والخمسين حديثًا، وتفسير الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، والمفسرين.

وقد ذكر الميرزا معيارًا لتفسير القرآن الكريم في بركات الدعاء صـ: ١٤-١٥، والمدرج في الخزائن الروحانية: ١٧/٦ حيث يقول:

"بأنَّ القران يُفَسَّرُ أولاً بالقرآن، وثانيًا بالأحاديث النبوية، وثالثًا بأقوال الصحابة".

نسأل القاديانية:

هل فَسَّرَ أحدٌ مِن المجددين "خاتم النبيين" بمعنى صانع الأنبياء؟ وكيف يمكن لأهل الإيمان أن يجعلوا مَنْ جعله الله خاتمًا للنبوّة صانعًا لها؟!

كما نسأل: هل "خاتم القوم" أو "آخر القوم"، هو الذي يتكون القوم بمُهره، وخاتم المهاجرين مَن بمُهره يتكوّن المهاجرون، وخاتم الأولاد مَن بمهره وختمه يولد الأولاد؟! سبحان ربي هذا بهتان عظيم، فأي تفسير للقرآن الكريم هذا الذي يخالف اللغة والقرآن والسُّنَّة، وفهم السَّلَفِ والخَلَفِ، واستعمال العقلاء.

الشبهة الثالثة وإزالتها:

إنَّ "ال" الداخلة على "النبيين" ليست للاستغراق بل للعهد الخارجي، أو الذهني والمعهود هم الأنبياء التشريعيون، ومحمد رسول الله ﷺ هو خاتمهم، أي هو آخر الأنبياء التشريعين لا آخر النبيين مطلقًا.

نقول: إن كان الأمر كما قالت القاديانية فلا بُدَّ مِن ذكر المعهود في الكلام السابق، ولم يوجد ذكر الأنبياء التشريعين قبل خاتم النبيين ﷺ في القرآن الذي أنزله الله على "خاتم النبيين" ﷺ، فلا يمكن أن تكون "ال" للعهد الخارجي، كما لا يمكن أن تكون "ال" للعهد الذهني، وعلى هذا فإنه يكون ممكن المراد إذا أمكن إرادة الاستغراق نحو "ال" الداخلة على "الذئب" في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٤]، فلا يمكن أكل جميع الذئاب، فلا استغراق، ولم يعيَّن ذئب مخصوص في القرآن الكريم، فتعيَّن العهد الذهني بخلاف آية "خاتم النبيين" فقد صح فيها الاستغراق بلا كلفة.

مسك الختام:

اشتراك "الخاتم" في المعاني الستة وضعاً:

تعيين أحد المعاني منها بـ"المضاف إليه":

استعمال "الخاتم" مجازًا:

تعيين مدلول "خاتم النبيين" على لسان النبي الخاتم ﷺ:

إنّ لفظ "الخاتَم" مشترك بين المعاني الستة الآتية:

١- ما يُتختم به أي: يُلْبَسُ في الأصبع.

٢- فص المهر الذي يُرسم فيه الاسم وغيره.

٣- نقش المهر الذي ينطبع على الورق.

٤- نقرة القفا.

٥- وضح القوائم.

٦- الأخير.

لأنه وُضع لكل منها ابتداءًا، ولا يكون أحد منها مدلولا مجازيًا للخاتم، كما لا يدل لفظ "الخاتَم" على الجميع في وقت واحد، وإنما يدل على أحد منها الذي تعيّن حسب موقع الاستعمال.

ويتعيّن أحد معاني "الخاتَم" بالذي أُضيف إليه "الخاتَم"، نحو: أضيف "الخاتَم" إلى "ذهب"، أو "فضة"، أو "حديد"، أو إلى أي معدن آخر يُصنع منه ما يُتَختّم به، ويُلبَس في "الإصبع"، يتعيّن "الخاتَم" بمعنى ما يُتختّم به في "الإصبع"، ويكون مدلوله الحقيقي.

وإذا أُضيف "الخاتَم" إلى "ما يركب خلف ما يُلبس في الإصبع للزّينة"، كخاتَم "الفيروزة"، أو خاتَم "الماس"، تعيّن مراد "الخاتَم" بـ"الفص"، وإذا أضيف "الخاتَم" إلى "القفا"، يتعيّن مراد "الخاتَم" بـ"النقرة"، وهكذا إذا

أضيف إلى وصف ما، يتعيّن معنى "الخاتَم" بمعنى "الأخير" في ذلك الوصف، نحو قول الله تعالى في شأن محمد رسول الله ﷺ "خاتم النبيين"، تعيّن مراد "الخاتَم" بـ"الأخير" في وصف النبوة، ويكون المعنى أن محمد ﷺ آخر النبيين، ومثل قول النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاّ وحي يوحى في شأن عمّه، "أنت خاتَم المهاجرين"، أي "آخرهم"، فلا هجرة بعد هجرته، وقوله عليه السلام في مسجده "خاتَم المساجد"، أي "المسجد الأخير الذيي بناه نبي".

وإذا أضاف أحد من الخلق الذي لا يوحى إليه، "فلان خاتَم المحدثين"، و"فلان خاتَم الشعراء"، و"فلان خاتَم المفسرين"، والقائل لا يعلم "الأخير" في الوصف المذكور، لا يمكن أن يكون "الخاتَم" بمعنى "الأخير"، فإن كان جاهلاً غير مميز، يقال إن كلامه كذب، لأنه تكلم في أمر لا يعلمه، وأطلق لفظ "الخاتَم" في غير موضعه، وإن كان القائل صاحب علم وصلاح، وشخص خبير في استعمال الألفاظ في مواضعها الحقيقيةِ والمجازية، فصيانة لكلامه عن الكذب يُحمل لفظ "الخاتَم" على الإطلاق المجازي، ويقال إن القائل قصد المبالغة في الوصف المذكور لفلان، فاستعمل "الخاتَم"، وقصد "الأفضل" في هذا الوصف، وهذا شائع في استعمال الألفاظ في جميع اللغات، كاستعمال "الأسد" للرجل الشجاع مبالغةً في وصف شجاعة أحد، فلا يقول أحد من العقلاء: إن الأسد مشترك بين الأسد والرجل الشجاع، لأن الرجل الشجاع لم يوضع له لفظ "الأسد" ابتداءًا، ولكن أُستعمل له مجازًا لغرض المبالغة، ومثل ذلك لا يقول أحد من أهل العلم: إن "الخاتَم" مشترك بين "الأخير" و"الأفضل"، لأن "الأفضل" ليس من معانيه الوضعية المذكورة، بل أُستعمل فيه مجازًا على وجه المبالغة.

نقول: إن التركيب "خاتَم النبيين" قطعي الثبوت، لأنه من كلام الله

المتواتر، وهو قطعي الدلالة أيضًا، لأن القائل علاّم الغيوب، فكلامه حق وحقيقة، وليس بمجاز، وليس بكذب -عياذًا بالله-، ثم مهبط الوحي الذي أُنزل عليه هو فسّره بقوله "لا نبي بعدي"، وعليه إجماع الأمة المسلمة، فتعيّن "الخاتَم" في الآية القرآنية بـ"الأخير"، ومدلوله أن محمدًا هو آخر النبيين، كما نقول: "خاتَم النبيين" تركيب قرآني، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة.

دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية:

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل فيما عرضناه في هذا المقال، وأوضحنا من خلط زعماء القاديانية في مفهوم "الخاتم" مرةً، وبإقرار لفظ "الخاتم" بأنه مشترك بين "الأخير" و"الأفضل"، ومرةً بقياس كلام الله الحق والحقيقة على كلام الناس المجازي، وعليهم أن يتأملوا فيما أفصحنا ما هو الحق الواقع، وعدم جواز قياس كلام الله على كلام الخلق، ولا شك أنه إلحاد في آيات الله، وتشكيك في المفاهيم الدينية الثابتة، يجب الحذر منه، والتبرُّؤ ممن ارتكب ذلك، فإن السعادة لكل أحد في اختيار الحق والصواب في هذا الباب.

هذا وصلى الله وسلم على النبي الخاتم، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين.

نتيجة المبحث:

لقد تحقق من دراسة هذا المبحث ما يلي:

١- لقد ثبتت بأن "الخاتمية" في الزمن، والخاتمية في الرتبة ثابتتان لمحمد رسول النبي الخاتم ﷺ.

٢- لا يجوز قياس "خاتم النبيين"، وهو كلام الله علاّم الغيوب على كلام الناس "فلان خاتم المفسرين" وغيره، وهم لا يعلمون الغيب.

٣- حمل "الخاتم" على "الأفضل" في كلام الناس مجازاً للمبالغة، وليس هو معنى "الخاتم".

٤- قياس القاديانية "خاتم النبيين" على كلام الناس "فلان خاتم المفسرين" من أغاليطها المعروفة.

٥- "الأفضلية" بين الرسل لمن يأتي في آخرهم، كما شهدت على ذلك آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم ﷺ.

٦- غرض القاديانية من حمل "الخاتم" على "الأفضل"، إنكار "الآخرية" للنبي الخاتم.

٧- إنكار "آخرية" النبي الخاتم مستلزم لإنكار أفضليته، لأن الأفضل هو آخر النبيين.

من سلسلة "**الدين النصيحة**"

المقال التاسع عشر

تفسيرات آية "خاتم النبيين" عند المفسرين المسلمين

ملخص المبحث:

يتلخص المبحث فيما يلي:

١) سبب نزول آية "خاتم النبيين".

٢) كون آية "خاتم النبيين" قطعية الثبوت قطعية المدلول.

٣) ملخص تفسيرات المفسرين لآية "خاتم النبيين".

٤) عقيدة الأمة المسلمة حول "خاتم النبيين" وفق غرض مُنزل الكتاب.

٥) شأن نزول آية "خاتم النبيين".

٦) تفسير النبي بنفسه مفهوم "خاتم النبيين".

٧) مخالفة الميرزا لأقواله السابقة مع ذكر تصريحه.

٨) دعوتنا المخلصة لأبناء القاديانية في ذلك الشان.

تفسيرات خاتم النبيين عند المسلمين:

تعتقد الأمة المسلمة بقطعية آية "خاتم النبيين" مِن حيث النص والدلالة والمفهوم.

فتؤمن بأنَّ محمدًا رسول الله ﷺ آخر النبيين، ولا نبي بعده، هذا المفهوم هو ما ثبت بالنقل المتواتر، وهو قطعي الثبوت، كما تعتقد الأمة المسلمة بأنَّ النبي الخاتم ﷺ هو المبعوث رحمةً للعالمين، وأنه هو الذي قد أُخذ له الميثاق مِن النبيين عليهم السلام بالإيمان به ونصرته، كما تؤمن الأمة المسلمة بعموم نبوته، وشمول رسالته، فهو أفضل رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وعليه تنتهي سلسلة النبوّة، وإليه ينتهي شرف الأفضلية في باب النبوّة والرسالة، فهو خاتم الأنبياء، وأفضل الرسل عليهم الصلاة والسلام، جمع له الخاتمية في الزمن، والخاتمية في الشرف، وهما حقيقتان مسلّمتان عند الأمة، وثابتتان على وجه التواتر.

ولكل حقيقة أدلتها المستقلة، ولقد ذكرنا أدلة أفضليته ﷺ في مقالنا بعنوان "لماذا تحمل القاديانية "الخاتم" على "الأفضل"، وفي مقالنا هذا نبين أدلة خاتميته ﷺ، بمعنى أنه "آخر النبيين" ﷺ، كما نصّ عليه قول الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وبعد هذا التمهيد الموجز نذكر سبب نزول هذه الآية، ويليه تفسيراتها لدى المفسرين الإسلاميين.

سبب نزول آية خاتم النبيين:

ذكر مقاتل بن سليمان، والقرطبي والطبري والرازي وغيرهم في سبب نزول هذه الآية، بأنّ زيدَ بن حارثةَ ﷺ، كان مولى رسول الله ﷺ، ولم يكن ابنه في النسب، و كان معروفًا بين الناس بـ"زيد بن محمد"، وكانت ظاهرة التبني معروفة في العرب، كما زوَّجَه النبي ﷺ السيدة زينب ابنة عمته بنت جحش الأسدية رضي الله تعالى عنها، وحينما خطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة، امتنعت في أول الأمر، ثم أجابت، فزوَّجها النبي ﷺ، وأصدقها عشرة دنانير وستين درهمًا، وخمارًا، ومِلْحَفَةً، ودِرْعًا، وخمسين مُدًّا مِن طعام، وعشرةَ أمداد مِن تمر، فمكثت زينب رضي الله عنها عند زيد قريبًا مِن سنةٍ، أو فوقها، ثم بدأ أن وقع الخلاف بينهما، فجاء زيد يشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجعل رسول الله ﷺ يقول لزيد: أمسك عليك زوجك واتق الله، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ** ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، فأنعم الله على زيد بالإسلام ومتابعة "خاتم النبيين" ﷺ [(١)].

وأنعم الرسول ﷺ عليه بالعتق، وقد كان ﷺ كبير الشأن بين الصحابة ﷺ، حبيبًا إلى النبي ﷺ، ويقال له الحِبُّ ولابنه الحِبُّ بن الحِبِّ أي المحبوب، وقد أعلم الله نبيه ﷺ بأنَّ زينب رضي الله تعالى عنها، ستكون

---

(١) تاريخ الطبري: (٥٦٣/٢)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: (٢٢٦/٣)، الكامل في التاريخ: (٦٤/٢)، البداية والنهاية: (١٥١/٦).

مِن أزواجه، فحينما كان يأتي زيد إلى رسول الله ﷺ يشكو إليه زينب رضي الله تعالى عنها، كان النبي ﷺ يقول له كما مرّ، اتق الله وأمسك عليك زوجك، وكشف الله عزّ وجلّ عمّا كان يخفى النبي ﷺ في هذا الشأن قائلاً: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: لو كَتَمَ محمدٌ ﷺ شيئًا مما أُوحي إليه مِن كتاب الله لكتم ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] (١) فحينما أخبر الله نبيَّهُ ﷺ بأنَّ زينب ستكون مِن أمهات المؤمنين، وكانت زوجة زيد المعروف في الناس بابن محمد، وكان الذي يَهُمُّ النبي ﷺ، هو قول الناس عندما يتزوج زينب بعد فراغ زيد منها، بأنَّ محمدًا تزوج زوجة ابنه، ولكن الله عزَّ وجلَّ أراد إبطال ظاهرة التَّبَنِّي على يدي عبده ورسوله القدرة والأسوة الحسنة في طاعة الله، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، أي: لَمَّا فرغ زيد مِن زينبَ، وفارقها كان الله ولي تزويجها منه، بمعنى: أنه أوحى إليه أن يدخل عليها بلا ولي، ولا مهر، ولا عقد، ولا شهود مِن البشر.

هذا ملخص ما ذكره أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية، وقد نهى الله عزَّ وجلَّ المؤمنين مِن التَّبَنِّي حتى لا يُنْسَبُ زيدٌ إلى النبي ﷺ في البنوّة،

---

(١) انظر: تفسير الطبري: (٤٧١/١٠) رقم/١٢٢٨٠، تفسير البغوي: (٦٨/٢)، تفسير الزمخشري: (٥٤١/٣)، والحديث أخرجه: البخاري في صحيحه: (٥٢/٦) رقم/٤٦١٢، مسلم صحيحه: (١٥٩/١) رقم/١٧٧.

لأنه ليس ابنه، ولما تزوج رسول الله ﷺ زينب رضي الله عنها، قال الناس إنّ محمداً ﷺ تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله عز وجلّ هذه الآية: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

تفسيرات المفسرين لآية "خاتم النبيين":

يقول الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية (٢٠/٢٧٨):

"يقول تعالى ذِكرَه ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم الذين لم يلده محمدٌ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي خَتَم النبوّة فطبع عليها، فلا تُفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيئ من أعمالكم، ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيئ، وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل".

ويقول أيضاً:

"واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾، فقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى الحسن وعاصم، بكسر التاء من خاتِم النبيين، بمعنى: أنه ختم النبيين. ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله (وَلَكِنَّ نَبِيًّا خَتَمَ النَّبِيِّينَ)، فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى: أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ بفتح التاء، بمعنى: أنه آخر النبيين، كما قرأ (خَاتَمَهُ مِسْكٌ) بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك" [(١)].

وقال الواحدي في التفسير الوسيط:

---

(١) تفسير الطبري: (١٩/٢٢٩).

"فأنزل الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. يعني أنه ليس بأب لزيد، فتحرم عليه زوجته"، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. ولكن كان رسول الله، وخاتم النبيين آخرهم، فلا نبي بعده".

وقال أيضاً:

"وقرأ عاصم بفتح التاء، قال أبو عبيدة: الوجه الكسر لأن التأويل أنه ختمهم، فهو خاتمهم، ولأنه قال: ((أنا خاتم النبيين))" [(١)].

وقال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره:

"قوله: (وخَاتِمَ)، هو اسم الفاعل، أي ختمهم، ويجوز أن يكون الفتح والكسر لغتان، كطابق ودانق، فيكون اسماً لا فاعلاً. ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. خَتَمَ الله به النبوّة، وقرأ ابن عامر وعاصم: (خَاتَمَ) بفتح التاء على الاسم، أي آخرهم، وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل، لأنه خَتَمَ به النبيين، فهو خاتمهم".

وقال أيضاً:

"أخبرنا عبد الله بن عيد الصمد الجوزجاني أنا علي بن أحمد الخُزاعيُّ ، أنا الهيثم بن كليب الشاشي، أنا عيسى الترمذيُّ، أنا سعيد بن عبد الرحمن المخزوميُّ، وغير واحد، قالوا أنا سفيان عن الزهريِّ عن محمَّدِ بن جبر بن مطعِمٍ عن أبيه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول ((إنَّ لِي أسماءً أنا محمَّدٌ، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو

(١) التفسير الوسيط للواحدي: (٣/٤٧٤).

الله بِيَ الكُفْرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحْشَرُ الناسُ على قَدَمِي، وأنا العَاقِبُ، والعَاقِبُ الذي ليس بعده نبي))" [١].

وقال الزمخشري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره:

"﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ بالنصب، عطفاً على أبا أَحَدٍ، وبالرفع على: ولكن هو رسول الله. ولكنّ، بالتشديد على حذف الخبر، تقديره: ولكن رسول الله من عرفتموه، أي: لم يعش له ولد ذكر، وخاتَم بفتح التاء بمعنى الطابَع (مفرد لغوي أمر غير مشتق)، وبكسرها بمعنى الطابِع (مفرد لغوي مشتق فاعل من الطبع، وهو فاعل الطبع)، وفاعل الختم، وتقوّيه قراءة ابن مسعود: "ولكنّ نبياً خَتَم النبيين"، فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينـزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا يُنبأ أحد بعده، وعيسى ممن نبئ قبله، وحين ينـزل ينـزل عاملاً على شريعة محمد، مصلياً إلى قبلته، كأنه بعض أمّته [٢].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره:

"﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فيه ثلاث مسائل: الأولى:- لَمّاَ تَزَوَّجَ زينبَ، قال الناس: تزوَّج امْرأةَ ابنه، فنـزلت الآية، أي ليس هو بابنه حتّى تُحَرَّمَ عليه حليلته، ولكنّه أبو أُمَّتِه في التبجيل والتعظيم، وأنّ نساءه عليهم حرامٌ، فأذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم، وأعلم أنّ محمّداً لم يكن أبا أحد من الرجال المعاصرين له في الحقيقة، ولم يَقْصِدْ بهذه الآية أنّ النّبيّ ﷺ لم يكن له ولدٌ، فقد وُلِدَ له ذُكُوْرٌ: إبراهيمُ، والقاسمُ، والطّيّبُ،

---

(١) تفسير البغوي: (٦٤٥/٣).

(٢) الزمخشري – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: (٥٤٤/٣).

والْمُطَهَّرُ، ولكنْ لم يعش له ابنٌ، حتّى يصير رجلاً، وأمّا الحسنُ والحسينُ فكانا طفلين، ولم يكونا رجلين معاصِرَينِ له.

الثانية:- قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ قال الأخفشُ والفرّاءُ: أي ولكنْ كان رسول الله. وأجازا "ولكن رسولُ الله وخاتمُ" بالرّفع. وكذلك قرأ ابن أبي عبلة وبعض الناس "ولكن رسولُ الله"، بالرّفع، على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين، وفرأتْ فرقةٌ: "ولَكِنَّ" بتشديد النون، ونصبِ "رَسُوْلَ الله" على أنه اسم "لكن"، والخبر محذوف، "وخاتم" قرأ عاصمٌ وحده بفتح التاء، بمعى أنّهم به خُتِمُوْا، فهو كَالْخَاتِمِ، والطابع لهم، وقرأ الجمهور بكسر التاء بمعنى أنّه خَتَمَهُمْ، أي جاء آخرهم.

وقيل: الخَاتَمُ والخَاتِمُ لُغَتَانِ، مثلُ طابَعٍ، وطابِعٍ، ودانَقٍ، ودانِقٍ، وطابَقٍ من اللحم وطابِقٍ [1].

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسيره (٦/٣١٨):

"﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فهذه الآية نصٌ في أَنَّهُ لا نَبِيَّ بعده، وإذا كان لا نَبِيَّ بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى، لأنَّ مقام الرِّسالة أخصُّ من مقام النبوّة، فإنَّ كُلَّ رسولٍ نبيٌّ ولا ينعكسُ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة الصحابة رضي الله عنهم".

(١) تفسير القرطبي: (١٤/١٩٦).

القضاء على التبني، وإكمال الشريعة على النبي الخاتم:

قضى الله عزّ وجلّ على ظاهرة التبني بعمل النبي الخاتم ﷺ فَقَطْعُ نسبة زيد رضي الله عنه مِن النبي ﷺ أمرٌ ربَّاني، وورود اسم زيد في القرآن دون بقية الصحابة رضي الله عنهم أفضل تعويض لزيد رضي الله عنه، وقول أعداء الإسلام بأنَّ محمدًا تزوَّج مُطَلَّقَةَ ابنه كذب صريح، فقد كانت آية "خاتم النبيين"، ردّاً بليغاً على أولئك الطاعنين في النبي الخاتم ﷺ، أي كيف يجترئ هؤلاء الناس بالطعن في النبي الكريم ﷺ؟ فهو ليس بأبٍ لأحد مِن رجالكم، لأنه لَمْ يعش له مِن وَلَدٍ ذَكَرٍ حتى بلغ الحلم، فإنه وُلِدَ له القاسم والطيب والطاهر، وماتوا صغارًا، وَوُلِدَ له إبراهيم مِن مارية القبطية، ومات أيضًا رضيعًا، وكان له مِن خديجة رضي الله عنها أربع بنات وهنَّ: زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة رضي الله تعالى عنهن، هذا ما قاله المفسرون في تفسير: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الحكمة في اختيار الله النبي الخاتم ﷺ للقضاء على التبني:

لقد أشار الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره إلى حكمة قضاء الله التبني بعمل النبي الخاتم ﷺ قائلاً: إنّ من الحكمة إكمال شرع محمد ﷺ، وآله بتزوجه بزوجة دَعِيِّه تكميلاً للشرع، وذلك من حيث إن قول النبي ﷺ يفيد شرعاً، لكن إذا امتنع هو عنه يبقى في بعض النفوس نفرةٌ، ألاَ ترى أنه ذكر بقوله ما فُهِمَ منه حِلُّ أكلِ الضَّبِّ، ثم لمّا لَمَ يأكله بقيَ في النفوس شيء، ولَماَّ أَكَلَ لحمَ الجمل طاب أكله مع أنه في بعض الملل لا يؤكل، وكذلك

الأرْنَبُ [١].

القضاء على زعم الأعداء بأبلغ وجوه الردّ:

وحينما توفي الذكور من أولاد النبي الخاتم ﷺ قبل بلوغ مبلغ الرجال، زعمت أعداؤه بأنّه لا يبقى ذِكره، فرَدَّ اللهُ على زعمهم قائلاً: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فكون محمد ﷺ رسول الله، فأُمَّتُهُ عليه الصلاة والسلام هم أولاده، كما أن الله عزَّ وجلَّ أعلن في القرآن الكريم برفع ذكره قائلاً: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤].

ثم نصّت الآية الكريمة بأنّ ذِكره ﷺ، سيُخَلَّدُ بكل تعظيم وتكريم في الناس إلى يوم القيامة، لكونه ﷺ "خاتم النبيين".

ويعُمّ ذِكرُه في العالمين لأنَّ دعوته ورسالته تَعُمُّ الزمان والمكان والبشرية أجمعين، فعموم رسالته ﷺ يخصص مدلول "الخاتم" أيضاً، ألا! وهو "آخر النبيين"، الذي لا نبي بعده.

لأنّ غرض الآية الردُّ على مطاعن أعداء النبي الخاتم ﷺ ومزاعمهم، منها عدم بقاء ذكره، فقوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. فيه ردٌ على طعنهم، بأنّ محمداً تزوّج مطلقة ابنه، وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فيه ردٌ على زعمهم بأن ينفي ذِكرُه، فبنفي الأبوة للرجال عن النبي الخاتم ﷺ، وإثبات

---

(١) تفسير الرزاي: (١٧١/٢٥).

رسالة الله، وتخصيصه بشرف "خاتم النبيين" صار الرَّدُّ بأقوى وأبلغ الأساليب على مطاعن الأعداء ومزاعمهم، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فيه بيان ربّانيٌّ صريحٌ، بأنّ الله عزّ وجلّ قد خَصَّ محمداً ﷺ بشرف خاتمية النبوّة في الزمان، والخاتمية في الرتبة، فهو النبي الأخير والرسول الأفضل فهو من بين أنبياء الله ورسله "آخرهم وأفضلهم"، هذا بمقتضى علمه وحكمته سبحانه وتعالى.

تفسير آية "خاتم النبيين" على لسان النبي الخاتم ﷺ:

وقد فَسَّرَ النبي الخاتم ﷺ بنفسه، مفهوم قول الله تعالى: "خاتم النبيين"، روى أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدي ولا نبي) (١).

كما روى جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَثَلِي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارًا فأكملها وأحسنها إلاّ موضع لبنة فكان مَنْ دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة خُتِمَ بي الأنبياء عليهم السلام) (٢).

وما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "مَثَلِي ومثل النبيين مِن قبلي كمثل رجل بنى دارًا فأتمَّها إلا لبنة واحدةً فجئت أنا

---

(١) سنن الترمذي: (٥٣٣/٤) رقم/٢٢٧٢، مسند أحمد: (٣٢٦/٢١) رقم/١٣٨٢٤.
(٢) صحيح مسلم: (١٧٩٠/٤) رقم/٢٢٨٦، مسند أحمد: (٤٧٥/١٣) رقم/٨١١٦، مسند أبي داود الطيالسي: (٣٣٣/٣) رقم/١٨٩٤.

فأتممت تلك اللبنة) [١].

وما رواه عثمان بن عبيد الراسبي قال: سمعت أبا الطُّفَيْلِ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا نبوّة بعدي إلاّ المبشرات، قال: قيل: وما المبشرات يا رسول الله؟ قال: الرؤيا الحسنة أو قال: الرؤيا الصالحة) [٢].

وما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنَّ مَثَلِي ومثل الأنبياء مِن قبلي كمثل رجل ابتنى بيوتًا فأحسنها وأكملها وأجملها إلاّ موضع لبنة مِن زاوية مِن زواياها، فجعل الناس يطوفون، ويعجبهم البينان، ويقولون ألا وضعت ههنا لبنة فيتم بنيانك، قال رسول الله ﷺ فكنت أنا اللبنة) [٣].

وقال أيضا: إنَّ رسول الله ﷺ قال: (فُضِّلْتُ على الأنبياء بستٍ: أُعطيتُ جوامع الكلم، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ، وأُحِلَّتْ لي الغنائم، وجُعِلَتْ لي الأرض طهورًا ومسجدًا وأُرسلْتُ إلى الخلق كافَّةً، وخُتِمَ بي النبيون)[٤].

وما رواه محمد بن جبير بن مُطْعِمْ عن أبيه ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ لي أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحْشَرُ الناس على قدمي، وأنا العاقب

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: (٦/٣٢٣) رقم/٣١٧٦٩، مسند أحمد: (١٧/١٢١) رقم/ ١١٠٦٧.
(٢) مسند أحمد: (٣٩/٢١٣) رقم/٢٣٧٩٥.
(٣) صحيح البخاري: (٤/١٨٦) رقم/٣٥٣٥، صحيح مسلم: (٤/١٧٩٠) رقم/٢٢٨٦.
(٤) صحيح مسلم: (١/٣٧١) رقم/٥٢٣، شرح مشكل الآثار: (٣/٥٥) رقم/١٠٢٥.

الذي ليس بعده نبي) [١].

وعن عبد الرحمن بن جبير قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ يومًا كالمودع فقال: (أنا محمد النبي الأمي ثلاثًا، ولا نبي بعدي، أُوتيتُ فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه، وعُلِّمْتُ كم خزنة النار، وحملة العرش وتجوز بي، وعُوفيتُ وعُوفِيَتْ أُمَّتي فاسمعوا، وأطيعوا ما دمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي، فعليكم بكتاب الله أَحِلُّوا حلاله وحَرِّمُوا حرامه) تَفَرَّدَ به الإمام أحمد[٢].

وما رواه أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأُمَمِ) [٣].

وما رواه العرباض بن سارية رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إني عند الله مكتوب: خاتم النبيين وإنَّ آدم لمنجدل في طينته) [٤].

قال ابن كثير رحمه الله: فمِن رحمة الله بالعباد إرسال محمد صلوات ربي عليه إليهم، ثم مِن تشريفه له ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف [٥].

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي: (٣٨٨/١٣) رقم/٧٣٩٥، صحيح ابن حبان: (٢١٩/١٤) رقم/٦٣١٣.

(٢) مسند أحمد: (١٧٩/١١) رقم/٦٦٠٦.

(٣) سنن ابن ماجه: (١٣٥٩/٢) رقم/٤٠٧٧، الفتن لنعيم بن حماد: (٥١٧/٢) رقم/ ١٤٤٦.

(٤) تاريخ المدينة لابن شبة (٦٣٦/٢)، مسند الشاميين للطبراني (٣٤٠/٢) رقم/١٤٥٥، موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان (ص: ٥١٢) رقم ٢٠٩٣

(٥) تفسير ابن كثير (٢٤١/٣).

وقد أخبر تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه أنه (لا نبي بعده) ليعلموا أنَّ كل مَنْ ادَّعَى هذا المقام بعده، فهو كَذَّابٌ أَفَّاكٌ دَجَّالٌ ضَالٌّ مِضِلٌّ، ولو تَخَرَّقَ وشَعْبَذَ، وأتى بأنواع السِّحْرِ والطَّلاسِمِ والنَّيْرِجِيَّاتِ، فكلها مُحالٌ وضلالٌ عند أُولى الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العَنْسِي باليمن، وكذلك كل مُدَّعٍ لذلك إلى يوم القيامة، حتى يُخْتَمُوا بالمسيح الدَّجَّال، فكل واحدٍ مِن هؤلاء الكذابين يَخْلِقُ الله معه مِن الأمور ما يشهدُ العلماءُ والمؤمنون بِكَذِبِ مَنْ جاء بها، وهذا مِن تمام لطف الله تعالى بخلقه، فإنهم بضرورة الواقع يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر إلاّ على سبيل الاتفاق، أو لِمَا لهم فيه مِن المقاصد إلى غيره [١].

نقول:

هذا تفسير وحي الله تعالى "خاتم النبيين"، على لسان مَن أنزِلَ عليه هذا الوحي، وكان ﷺ أعلم الناس بما أُوحي إليه، ولم يكن ليخطئَ ثم يعتذر في فهم وحي الله، كما فعل الميرزا غلام أحمد، فإنه أَلَّفَ حسب زعمه بإلهامه، بأنَّ المسح ابن مريم عليه السلام قد رفعه الله إلى السماء، ثم ينزل، كما يعتقد بذلك المسلمون، ثم تغيَّرَ فَهْمُ الميرزا حول حياة عيسى عليه السلام، وفي رفعه ونزوله، وصرّح بأنه مات، وإنه لم يُرفع، ولن ينزل، وادّعى لنفسه أولاً أنه مثيله، ثم ادعى بأنه هو المسيح بن مريم، كما اعترف بأنَّ الذي وصل إليه تحقيقه في شأن المسيح عليه السلام، هو خلاف ما ذكره أولاً على وجه التقليد.

---

(١) المرجع السابق (٦/٤٣١).

والحق أنّ المُلْهَم الرَّبَّاني، أو مَهْبَط الوحي الإلهي لا يكون مثل الميرزا، ولا يكون أسلوبه مثل أسلوبه، كما أنه لا يُخطِئ في فهم الإلهامات، والوحي الرَّبَّاني، ولم يفعل الميرزا ذلك في باب المسيح عليه السلام فقط، بل إنه اختار سُلَّم التدريج في باب "خاتم النبيين" ﷺ، حتى اصطنع من عنده فكرة البروز أيضاً، فادّعى أولاً بأنه مُلْهَمٌ، وارتقى إلى أنه مُحَدَّثٌ، وصرّح مُدَّعِي الإلهام والمحدَّثِية، هذا بأنَّه يستحيل أن يأتي نبي بعد "خاتم النبيين" ﷺ، ويستحيل أن ينزل جبريل عليه السلام بالوحي، لأنّ نبينا هو "خاتم النبيين"، كما صَرّح بأنَّ حديث (لا نبي بعدي) حديث مشهور، لا مجال لأحد أن يتكلَّمَ فيه، كما صرّح بأنَّ القرآن الكريم الذي كل لفظ منه قطعي الثبوت، وأنَّ آية: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، تدل على أنَّ النبوّة قد خُتِمَتْ، وانقطعت على نبينا ﷺ. **وقد ورد كل هذا في (كتاب البرية صـ: ١٨٤)**.

لقد أقرَّ الميرزا أمام الناس، وفي عاصمة الهند دلهي بأنَّ هذا الحقير (أي الميرزا) غريب الوطن لا يدَّعِي النبوّة، وأنَّه يؤمن بكل ما هو داخل في عقائد المسلمين، ووفق عقيدة أهل السُّنَّةِ والجماعة، وكل ما هو مُسَلَّمُ الثبوت في الكتاب والسنة مؤمن به. وقال: أُؤمن بأنَّ كلَّ مَن يدَّعي بالنبوّة والرسالة بعد سيدنا ومولانا حضرة محمد المصطفى ﷺ، هو كاذب وكافر، وهذا يقيني بأنَّ وحي الرسالة بدأ مِن ادمَ صفي الله، وانتهى بمحمد رسول الله ﷺ.

كما أَشْهَدَ الميرزا الربَّ تبارك وتعالى، وجميع العباد والموجودين على

ذلك، وصرَّح بأنه لا يدَّعي أنه هو المسيح ابن مريم، وأنه لا يؤمن بالتناسخ (وهو معروف عند الهندوس بظهور الميت مرةً ثانيةً في صورة أي حيوان). **كما صرَّح بأنه أحد المسلمين، وكل ذلك موجود في المجلد الأول صـ:٢٣٠-٢٣١ في "مجموع الاشتهارات"**، وعند إصدار هذه التصريحات كان الميرزا حسب زعمه "المأمور مِن الله".

ويقول الميرزا في "أنجام آتهم" بالنص العربي:

"أشهد أنا نتمسك بكتاب الله القرآن، ونتَّبع أقوال رسول الله، ونقبل ما انعقد عليه الإجماع، لا نزيد عليها ولا ننقص، ومن زاد على هذه الشريعة، أو نقص منها أو كفر بعقيدة إجماعية، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وهو مقصودي ومرادي ولا أخالف قومي في الأصول الإجماعية".

نقول:

إنّ هذه المعتقدات كلها قد غَيَّرَها الميرزا، فجَوَّزَ النبوّة بعد النبي الخاتم، وفتح باب الوحي المسدود، وأنكر إجماع الصحابة رضي الله عنهم، باستمرارية النبوّة بعد نبينا ﷺ، وأنكر ما أجمع عليه المسلمون، وأنكر المسَلَّمَاتِ المتَواتِرة، وخلاف ذلك صرَّحَ بأنه هو المسيح ابن مريم عليه السلام.

نسأل القاديانية:

هل المأمور الرباني لَمْ يفهمْ حقيقةَ أمرِ الله؟ وهل الملهم الإلهي لم ينكشف عليه إلهامه؟ أو الآمر والملهِم أَنزَلَ عليه وحيَه الجديدَ؟ أو كان الآمر والملهِمُ الثاني غير الذي ألهمه أولاً؟!

موقف التأمل:

يجب على أبناء القاديانية أن يتأملو في ما صرّح الميرزا قبلُ قائلاً: بأنَّ العدول عن عقيدة أهل السنة والجماعة تجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأنَّ الذي يرتكب ذلك ليس بمؤمن.

والمجمع عليه عند العقلاء بأنَّ صاحب الوحي، يكون أوَّلَ المؤمنين به، ويكون أفهم الناس وأعلَمُهم بما يُوحى إليه، فلذا يعرفُ الجميع بأنّ الذي نُقِلَ عن النبي الخاتم ﷺ في تفسير وحيه النازل عليه، "ولكن رسول الله وخاتم النبيين" لَمْ يُغَيِّر فيه النبي الخاتم ﷺ بعد ما صدر منه التفسير المذكور، وعليه قد انعقد إجماع الصحابة ﷺ، والتابعين، ومَنْ بعدهم مِن الأئمة المجتهدين، وعلماء المسلمين مِن المحدثين والمفسرين، وبذلك صرَّحَ جميع المفسرين، وجميع المجددين المذكورة أسماؤهم في المؤلفات القاديانية.

وكان الواجب على القاديانية قبول ذلك، وتسليمه، ولا مبرر للقاديانية في الخروج مِن هذا الإجماع، كما لَمْ يتجرّأ أحد مِن المسلمين أن يعدلَ في تفسير النبي الخاتم لآية "خاتم النبيين"، ومن قوله عليه السلام، "لا نبي بعدي"، أو أن يخرج عن الإجماع المذكور، وعن الإيمان بأن محمدًا رسول الله ﷺ، هو آخر الأنبياء وأفضلهم، وقد جُمِعَ له الخاتمية في الزمن، والخاتمية في الرتبة.

دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية:

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية **أولاً**: أن يتأملوا في تفسيرات آية "خاتم النبيين"، الواردة من قِبَل المفسرين الإسلاميين، والمجددين.

ثانياً: إنّ مُدّعى النبوّة بعد النبي الخاتم ﷺ، ومؤسس القادياينة (الميرزا غلام أحمد القادياني) قد عَدَل عن تفسير النبي الخاتم ﷺ لآية "خاتم النبيين"، وأعرض عن تفسيرات المفسرين الإسلاميين، وخَرقَ إجماع جميع طبقات المسلمين، وهذا مما يجلب لعنة الله عليه، والملائكة، والناس أجمعين، كما صرّح بنفسه.

فلذا إنّ السعادة والفلاح والهداية في التمسك بإجماع الأمة في باب "عقيدة ختم النبوّة"، وما نصّت عليه هذه الآية الكريمة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ **[الأحزاب: ٤٠]**.

هذا وصلى الله وسلم على النبي الخاتم، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلّم تسلماً كثيراً كثيراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتيجة المبحث:

لقد تحقق من دراسة هذا المبحث ما يلي:

١) يقتضي سبب نزول آية "خاتم النبيين"، تخصيص "خاتم النبيين" بمعنى آخرهم.

٢) ردُّ الله على طاعني خاتم النبيين قد حتم بأن يكون "خاتم النبيين" بمعنى آخرهم.

٣) تفسيرات المفسرين الإسلاميين تحدد مفهوم "خاتم النبيين" بأنه آخر النبيين.

٤) ردّ القرآن الكريم بأقوى الأساليب على مطاعن ومزاعم أعداء النبي الخاتم ﷺ يعين "الخاتم" بمعنى "الأخير".

٥) عقيدة الأمة المسلمة في "النبي الخاتم" بأنه آخر النبيين مؤيدة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٦) لقد صرّح الميرزا، بأن الخروج عن إجماع الأمة، يجلب لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ثم خرج بنفسه عن إجماع الأمة بنفي خاتمية النبي الخاتم ﷺ بالمفهوم الإسلامي المجمع عليه.

من سلسة "**الدين النصيحة**"

المقال العشرون

بيان القرآن في "تَوَفِّي عموم البشر"
وتوفي الله عيسى ابن مريم عليه السلام

وحدات المقال:

١- الوحدة الأولى، "التوفي" منزلته في عقيدة الأمة المسلمة وأهميته لدى القاديانية.

٢- الوحدة الثانية، المفرد والمركب في اللغة ودلالات مفردات آية توفي الأنفس، آية توفي عيسى عليه السلام، ما الذي يمكن جمعه وما الذي لا يمكن جمعه من توفي الأنفس عموماً مع "توفي عيسى عليه السلام" خصوصاً.

٣- الوحدة الثالثة، مشتقات الوفاء ودلالالتها، "التوفي" ومأصدقات، أسلوبان للبيان.

٤- الوحدة الرابعة، المقارنات المفيدة لإفصاح الحق والحقيقة في توفي عيسى عليه السلام.

٥- الوحدة الخامسة، إجماع المفسرين المسلمين على حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله مع تعدد وجوه التفسير لقول الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حكم بيان توفي عموم البشر بالكناية، وتوفي عيسى عليه السلام بالصراحة.

٦- الوحدة السادسة، هكذا المقارنات تفصح لنا "أقسام "التوفي".

٧- الوحدة السابعة، دراسة "التوفي" من حيث الإسناد والمقابلات، القول الفصل بين "توفي الأموات" والنائمين" وبين "توفي المرفوع والمطهر عيسى عليه السلام".

٨- الوحدة الثامنة، بيان حدود الأشياء التي يجب على طالب العلم الاطلاع على كنهها لمعالجة إلحاد الملحدين في آيات الله، تطبيق البعض منها على "التوفي".

٩- الوحدة التاسعة، إفصاح كذب الميرزا القادياني ودجله في تحقيق لفظ "التوفي" مع إثبات ما هو الحق حسب اللغة والواقع القرآني في "التوفي".

١٠- الوحدة العاشرة، قمع قاعدة الميرزا المصطنعة في باب "التوفي" ومآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين، إثبات حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله.

١١- الوحدة الحادية العاشرة، عرض آيات التوفي في القرآن الكريم مع ذكر القرائن وتحديد المدلولات.

١٢- الوحدة الثانية عشرة، مفردات آيات التوفي وتطبيق الحدود الشائعة (أي المصطلحات العلمية على التوفي) بين أهل العلم.

١٣- الوحدة الثالثة عشرة، حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بالتوفي، أي نوع من التوفي يصلح أن يكون خصوصية.

"الوحدة الأولى"

"التوفي" منزلته في عقيدة الأمة المسلمة وأهميته لدى القاديانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم النبيين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد!..

يقول الله عزّ وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ ﴾ [الزمر: ٤٢].

تضمنت الآية الأولى ذكر نعم الله تعالى الخاصة بعيسى عليه السلام، وهي كما يلي:

أولاً: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، "التوفي".

ثانياً: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، "الرفع".

ثالثاً: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، "التطهير".

رابعًا: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ﴾ الفوقية لأتباعه إلى يوم القيامة.

تبين الآية الأولى، وهو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ٥٥] توفي عيسى عليه السلام الخاص به، ومعه رفعه وتطهيره في زمن معيّن في "الماضي"، وهو حينما مكر به اليهود لقتله وصلبه، كما يدل على ذلك بدء ذكره بكلمة القرآن الكريم "إذ" الوارد في كلام الخالق جلّ وعلا، وتصريح القرآن الكريم أثر ذلك، بماذا الله فاعل به من توفيه بقوله "متوفيك"، ورفعه بقوله "رافعك"، وتطهيره بقوله "مطهرك"، فالمخاطب لهذا التوفي هو عبد الله ورسوله عيسى عليه السلام، لا غيره من البشر.

وتمثل الآية الثانية توفي عموم البشر المذكور في القرآن الكريم في موضوع مختلفة، فهذه الآية بصيغتها تبين "توفي الله الأنفس حين الموت فالإمساك"، و"توفي الأنفس في المنام فالإرسال" وهذا هو توفي "الأنفس البشرية" على العموم، والذي يحدث ليل ونهار على وجه الاستمرار، ويدل لفظ "يتوفَّى" بصيغة المضارع الوارد في كلام الباري جل وعلا على ذلك.

ومنطلق موضوع مقالنا بعنوان "بيان القرآن في "توفي الأنفس، وتوفي عيسى ابن مريم عليه السلام" هاتان الآياتان الكريمتان.

فها نحن نبدأ بـ"تنقيح الموضوع".

تنقيح الموضوع:

يرد لفظ "التوفي" في اللغة وفي القرآن، وفي السنة، ويطلق على توفي ذي روح، وتوفي ما لا روح فيه، والذي لا يتصور فيه نفس، ولا روح، ولا حياة، ولا ممات.

وفيما يلي ندرس ذلك.

"**التوفي**" كلمة من لغة العرب، وهو اسم مشتق من مادة مخصوصة، وله معنى وضعي مخصوص.

"**التوفي**" كلمة ومشتقاتها، وردت في القرآن الكريم، وفي السنة، وفي محاورات العرب.

"**التوفي**" حينما يراد به "توفي عيسى عليه السلام"، فله منزلة كبرى من حيث عقيدة الأمة المسلمة، كما أن له مدلوله القرآني والإسلامي، ثم "التوفي" له أهمية بالغة في الأدب القادياني، وذلك لسببٍ نذكره بعد ذكر الأمور الهامة التي تليق بالتأمل لإفصاح مفهوم التوفي.

إفصاح مدلول "التوفي" يتطلب التأمل في أمور كثيرة:

إن للاطلاع على معنى "التوفي" وضعاً في اللغة العربية، وإطلاقه على أكثر من مدلول في القرآن الكريم أمر لا يمكن إنكاره، لكن لمعرفة ذلك لا بد من التأمل **في الأمور الآتية:**

أولاً: التأمل في مادة اشتقاق التوفي، ثم معناه اللغوي، ومقتضاه.

أما مادة اشتقاق "التوفي"، فهو (و ف ي)، يقال: "وفى" "يفي" "وفاءً"، ومعنى "**الوفاء**": لغةً "التمام"، أو "الكمال".

و"**التوفي**" مصدر منه باب "التفعل"، يقال: "توفى"، "يتوفى"، "توفياً".

ومعنى "**التوفي**": "أخذ الشيء وافياً"، أو "قبضه على وجه التمام"، ويرادفه "الاستيفاء".

ويقتضي وضعاً ولغةً أنه كلما ورد مشتقات "الوفا"، أو "التوفي"، لا بد فيها من تحقق "التمام" و"الإتمام" و"الإكمال" و"الاستيفاء".

ثانياً: التأمل في فاعل "التوفي"، ومفعوله.

فقد يكون فاعل "التوفي" هو الله، وقد يكون غيره، وقد يكون مفعول "التوفي" ذا روح، وقد يكون غير ذي روح.

ثالثاً: التأمل في المشتقات المختلفة لـ"الوفا"، و"التوفي" الواردة في القرآن الكريم، فقد ورد:

بـ"صيغة الماضي"، نحو: "أوفى" – "وفّى" – "وُفّيت" – "توفّت".

بـ"صيغة المضارع"، نحو: "يتوفّى" — "يتوفّون" — "توفّون" – "يوفون".

بـ"صيغة الأمر"، نحو: "أوفوا".

بـ"صيغة اسم الفاعل"، نحو: "المتوفِّي".

رابعاً: التأمل في ورود "التوفي" لغير ذي روح في القرآن الكريم، وفي اللغة، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فـ"المتوفَّى" في الآية، هي الأجور، ولا تصور للحياة والممات والروح فيها.

وفي اللغة: نحو: "**توفيتُ الثمن**": و"المتوفَّى" هو الثمن، ولا تصور للحياة أو الموت والروح هناك.

خامسًا: التأمل في ورود "التوفِّي" لذي روح، و"المتوفِّي" هو الله، أو وروده لذي روح، و"المتوفِّي" رسل الله والملائكة بأمر الله، نحو قوله تعالى:

{توفته رسلنا}، وقوله تعالى: {توفتهم الملائكة}، ونحن نعرض ما ذكرنا كله على وجه التفصيل في صورة الجدول.

سادسًا: التأمل في كون "التوفي" هو "القبض التام" في جميع الأحوال، ولا يرادف "التوفي": "الإماتة" أو "الإنامة" أو "الرفع"، لكن يصدق مفهوم التوفي عليها حسب القرينة، كما لا يعم "التوفي" كلها، وإنما يتعين مراده حسب قرينته، وحسب الموقع والمورد.

صدق "التوفي" في القرآن الكريم:

"التوفي" في القرآن الكريم يصدق على حقائق متعددة، إذًا هو "الجنس" وفق محاورات أهل العلم.

أما تعيين فرد معيّن منها، فإنما كالآتي:

يتعين مراد "التوفي" من بين أنواعه المختلفة حسب القرائن والشواهد الموجودة في سباق الكلام وسياقه، أو ما يقتضيه الحال، ويفصحه بيان مهبط الوحي، النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، الذي قد أوتِي القرآن وبيانه، وحفظه منه أصحابه، وثبته أهل التفسير، ونُقل في الأمة على سبيل التواتر، حتى أجمعت الأمة المسلمة على مدلول "التوفي"، فلذا لا بد من مراعاة اللغة، وبيان الشارع في تفسير "التوفي"، فمن فسّر "التوفي القرآني" من عنده، وخالف اللغة والنقل، فقد ألحد في آيات الله، ولم ينصح لله، ولا لرسول الله، ولا للأمة المسلمة العامة منهم والخاصة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، قيل لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم.

فمن خالف في تأويل "التوفي" اللغة، ولم يراع أسلوب بيان القرآن، ولم يلتزم النقل الوارد في تفسير "التوفي"، فقد لبّس مفهومًا قرآنياً على البشرية، وخانهم على وجه العموم، والمسلمين على وجه الخصوص.

سابعًا: دراسة "التوفي" للأنفس البشرية لوروده بعموم الصيغة، و"التوفي" لعيسى عليه السلام لوروده بالصيغة المخصوصة حتى يطلع الدارس على أنواع التوفي الثلاثة، أو مأصدقاته، **وهي:**

١- "**الإماتة**" أو ما يسمّى بـ"توفِّي الموت"، ولا يقع هذا "التوفي" إلاّ عند مجيء الأجل، سواءٌ أكان توفِّي عموم البشر، أو توفِّي عيسى عليه السلام.

٢- "**الإنامة**" أو ما يسمى بـ"توفِّي النوم"، ويقع ذلك حين المنام، سواءٌ أكان عيسى عليه السلام، أو غيره من عموم البشر.

٣- ذكرهما القرآن الكريم بخطاب عام.

٤- "الرفع" أي التوفِّي بالرفع، وهو القبض التام بالروح والجسد إلى السماء، ويسمى بـ"توفِّي الرفع"، وهذا هو توفي عيسى عليه السلام.

٥- ذكر القرآن الكريم هذا التوفي الخاص بخطاب مخصوص.

كيف يتعين نوع التوفي القرآني؟

حينما ندرس "التوفي" في القرآن الكريم في آياته المختلفة نجد بكل وضوح أنه يتعيّن نوع مخصوص منه بقرينته، فيدل "التوفي" على المعنى المراد على وجه الكناية، وإذا تعيّن مدلول التوفي يتعيّن دلالة "المتوفِّي" (اسم

الفاعل) وفقه، ودلالة "المتوفَّ" (اسم المفعول) أيضًا مثله، وفي جميع الأحوال يكون "التوفي" قبضًا تامًا، ويكون "المتوفِّي" قابضًا تامًا، ويكون "المتوفَّ" مقبوضًا على وجه التمام.

ثامنًا: "التوفِّي" لذي روح أُسند في القرآن الكريم إلى الله، وإلى الملائكة، حينما لا يُسند الإماتة إلاّ إلى الله، وكذلك الإنامة.

فمن يراعي الأمور المذكورة يطلع على مصداق "التوفي" على وجه البصيرة، ولم يختلط عليه مدلوله في أي مورد من القرآن الكريم، أو في السنة، أو في اللغة.

ومن لا يراعي ذلك فقد يلتبس عليه مفهوم "التوفي"، وخصوصًا "التوفي" الخاص بعيسى عليه السلام.

"التوفي" ولماذا خلط القاديانية فيه؟:

لقد خلطت القاديانية في باب توفي عيسى عليه السلام، ولبّست مفهوم توفيه، وذلك لسبب نذكره الآن.

لماذا فعلت القاديانية ذلك؟

كان الميرزا القادياني مقراً بحياة عيسى عليه السلام ورفعه إلى السماء، ونزوله منها إلى عمره ٥٢، أي كان يفسر توفيه وفق عقيدة الأمة المسلمة، وقد ثبتها في "البراهين الأحمدية"، لكنه حينما ادّعى المسيحية حمل "توفِّي عيسى عليه السلام" على إماتته، وأنكر حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله، وزعم أنه لو نجح في دجله في توفي عيسى عليه السلام لعلّه يجد مدخلاً لتحقيق أهدافه وأغراض من شجّعه على ادعاء المسيحية.

أهمية كلمة "التَوَفِّي" لدى القاديانية:

وللهدف المذكور أنَّ لفظ "التَوَفِّي" ومدلوله الخاص بالقاديانية من أهم المباحث التي نالت شهره بالغةً في مؤلفات القاديانية، ويتردد لفظ "التوفي" على ألسنة أبنائها الأحداث، كما يُروّج هذا المفهوم القادياني للتوفي على وسائل إعلام القاديانية الحديثة، وتَرِدُ على ألسنة محاوريها من العرب والعجم أكثر من أي مفهوم آخر.

وكان الميرزا غلام أحمد القادياني مؤسس القاديانية نفسه مهتمًا بلفظ "التوفي" غاية الاهتمام، حتى ألّف كتابًا في ذلك، ولعل الميرزا زعم أنه لو ثبت تَوَفِّي عيسى عليه السلام بالمفهوم القادياني، (أي بمعنى إماتته عند الحدث العظيم قبل ألفي عام تقريباً)، لثبتت مسيحيته ونبوته ومهدويته، فكأنَّ في الشريعة القاديانية وادعاءات شارعها تدور حول التَوَفِّي بالمفهوم القادياني، فلذا تبذل القاديانية قصارى جهدها في ترسيخ مفهوم "التَوَفِّي القادياني" في أذهان أبنائها وإجرائه على ألسنتهم، فمَن لا يعرف منهم أبجديات اللغة العربية يبدأ حديثه بـ"التَوَفِّي".

ما هو واجبنا نظرًا إلى هذه الظاهرة القاديانية؟:

إن من أهم واجبات علماء الإسلام الشرعية إفصاح مدلول "التوفي" بمفهومه الإسلامي، ونظراً إلى تأدية هذا الواجب قصدنا في مقالنا هذا إفصاح التوفي القرآني ومدلوله الإسلامي على أبسط وجه بتوفيق الله عزّ وجل.

"الوحدة الثانية"

❋ المفرد والمركب في اللغة ودلالات مفردات آية توفي الأنفس، آية توفي عيسى عليه السلام.

❋ ما الذي يمكن جمعه وما الذي لا يمكن جمعه من توفي الأنفس عموماً مع "توفي عيسى عليه السلام" خصوصاً.

التمهيد:

يدل اللفظ المفرد في جميع لغات بني آدم على معنىً مفرد، ولا يدل المفرد على معنىً مركب.

فإن للدلالة على المعنى المركب يجب أن يكون اللفظ مركباً أيضًا في اللغة العربية، وفي سائر لغات بني آدم، فـ"التوفي" لفظ مفرد، ومعناه "القبض التام" فقط، لا قبض الروح.

أما "توفي الأنفس": فهو لفظ مركب، ومعناه أيضًا مركب، وهو "قبض الأرواح على وجه التمام".

ففي ضوء هذا الواقع اللغوي في لغات البشر كلها، والمسلَّم لدى العقلاء نتأمل في مفرادات آية "الزمر" الواردة في توفي الأنفس (أي عموم الإنسان)، وآية" آل عمران" الواردة في توفي عيسى عليه السلام.

تحليل الآيتين:

ذكر الله عزّ وجل في آية "الزمر"، وفي الجزء الأول منها.

"الله يتوفى الأنفس حين موتها"، كما ذكر فيها "فيمسك التي قضى عليها الموت"، ففي هذا الجزء من الآية نتأمل في المفردات الآتية ومعانيها.

"**الله**" لفظ الجلالة علم على ذات.

"**يتوفَّى**" معناه "يقبض تمامًا".

"**الأنفس**" معناه "الأرواح"، وهو جمع، مفرده "النفس".

"**حين**" معناه "زمن".

"**الموت**": معناه "الموت".

"**يمسك**": معناه "حدوث الإمساك للروح من القابض بعد القبض".

"**ها**": أي "الأنفس المقبوضة".

ومعنى مجموع الكلام "أن الله سبحانه وتعالى يقبض الأنفس (أي الأرواح البشرية) على وجه التمام عند مجيء أجلها، ويمسكها".

فهذه المفردات تُعيّن أن "التوفي" للأنفس حين الموت مع إمساك تلك الأرواح هو إماتة أصحاب الأرواح، وهذا التوفي يشمل أفراد البشر كلهم عند الأجل، ومنهم عيسى عليه السلام، فيُميته الله أيضًا عند مجيء أجله، كما يُميت ليلَ ونهار مئات الآلاف من أفراد البشر عند مجيء آجالهم، فقد ذُكر في هذا الجزء من الآية نوع من التوفي، وهي "الإماتة"، وقد وجد في نص القرآن الكريم من المفردات الآتية، "التوفي"، و"حين الموت" و"الإمساك"، ليُحمل هذا التوفي على "الإماتة"، وهذا النوع من التوفي يسمى بـ"توفي موتٍ"، وقد ثبت دلالة "التوفي" على "الإماتة" بسبب القرائن المذكورة في القرآن الكريم.

وفي الجزء الثاني من نفس الآية عطف نوع آخر من "توفي الأنفس" "التي لم تمت في منامها"، وورد بعده "ويرسل"، أي يطلقها الله بعد توفيها، فلنتأمل في المفرادات الآتية مع معانيها:

"**يتوفى**": معناه "يقبض تمامًا"، وهذا المفرد يدل عليه حرف العطف.

"**الأنفس**": معناه "الأرواح البشرية"، وهذا المفرد يدل عليه حرف العطف أيضًا.

"**لم تمت**": أي "هي ليست بميتة".

"**منام**": معناه "وقت النوم".

"**يرسل**": أي "يطلق".

ومعنى مجموع هذا الكلام المركب "إن الله يقبض الأنفس على وجه التمام وقت نومها"، وهي ليست بميتة، ويُطلقها الله عزّ وجلّ بعد قبضها، فهذه المفردات تعين أن "التوفي" للأنفس في المنام مع إرسالها هو إنامة أصحاب الأرواح.

وهذا النوع من "التوفي" يشمل عموم البشر وقت النوم، وفيهم عيسى عليه السلام أيضاً، فالله يُنيم كلهم عند هذا التوفي، ويُنيم عيسى عليه السلام أيضًا، كما يُنيم ليل ونهار مئات الآلاف من أفراد البشر عند هذا التوفي، فقد ذكر في هذه الآية النوع الثاني لتوفي عموم البشر، ألا! وهو "الإنامة"، وقد وجد في نص القرآن الكريم من المفردات "التوفي"، "في المنام" و"الإرسال"، ليحمل هذا التوفي على "الإنامة، أو هذا النوع من التوفي يسمى بـ"توفي نوم"، وقد ثبت دلالة "التوفي" على "الإنامة" بسبب القرائن المذكورة في القرآن الكريم مع قوله تعالى "يتوفى".

نوعان (الإماتة، الإنامة لتوفي عموم الإنسان ومنهم عيسى عليه السلام:

لقد ذُكر في آية "الزمر" نوعان للتوفي مع ذكر قرائنهما، وهما: (١) توفي موت بقرينته، (٢) توفي نوم بقرينته.

ويشارك عيسى عليه السلام مع عموم البشر في "توفي موت" عند مجيء الأجل، وفي "توفي نوم" في المنام، علمًا بأن أي نوع منهما لا تثبت خصوصية لعيسى عليه السلام، لا "الإماتة" عند الأجل، ولا "الإنامة" عند النوم، بل إنهما يعمان البشر، ويشارك في هذين النوعين عيسى عليه السلام جميع أفراد بني آدم من الأنبياء، والصالحين والشهداء حتى المؤمنين وغيرهم، لكونهم البشر، لكن عند وجود قرينتيهما.

أما آية "آل عمران" فقد ورد فيه قول الله عزّ وجل: ﴿**يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ**﴾ [آل عمران: ٥٥] مخاطباً لعيسى عليه السلام على وجه الخصوص.

و ينص هذا الخطاب القرآني على ما يلي.

أولاً: أن هذا النوع من "التوفي" مخصوص بعبد الله ونبيه عيسى عليه السلام، ولا يعم البشر، ولا يشارك أحد من البشر نبي الله عيسى عليه السلام في هذا "التوفي"، بل إنه مخصوص به.

ثانياً: ورد في "توفي الله عيسى عليه السلام" قوله عزّ وجلّ "متوفيك"،

ولم يرد "يتوفاك"، و"المتوفِّي"، اسم فاعل، يدل على أن الله فاعل هذا "التوفي" بعيسى عليه السلام على وجه الخصوص، ولم يذكر الفعل المضارع الذي يدل على حدوث "التوفي" على وجه الاستمرار، كما ورد في آية "الزمر" بصيغة المضارع، وهو يدل على حدوث هذا النوع من "التوفي" على وحه الاستمرار ليل ونهار لأفراد البشر على على وجه العموم.

ثالثاً: لم يذكر في توفي عيسى عليه السلام قرينة الموت، ليُحمل توفي عيسى عليه السلام على الإماتة.

رابعاً: ولا يوجد في توفي عيسى عليه السلام قرينة النوم، ليُحمل هذا التوفي على الإنامة.

خامساً: يجب حمل توفي عيسى عليه السلام عند مكر اليهود لقتله وصلبه على حفظ الله إياه، وتخليصه من شر أعدائه، لينبه الذين مكروا به، ويوجد معه قوله تعالى: "ورافعك"، فيجب أن يُحمل هذا التوفي على رفع الله عيسى عليه السلام حماية له، وتخليصه من أعدائه، هذا هو مظهر خير الماكرين.

ملحوظة:

مَن قصد حمل توفي آية "آل عمران" (أي توفي عيسى عليه السلام) على توفي عموم البشر "الإماتة"، أو "الإنامة"، لا بد له وأن يقدر ما يكون قرينة للإماتة أو الإنامة، فلذا من فسر "متوفيك" بـ"مميتك"، قدّر لذلك أي "بعد إنزالي إياك من السماء"، فيثبت رفع عيسى عليه السلام وحياته ونزوله، ومن حمل "توفي عيسى عليه السلام" على "الإنامة"، حمله على إنامة الله إياه حالة الرفع إلى السماء، ليثبت حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله أيضًا.

ندرس الآن مفردات آية "آل عمران": الواردة في "توفي عيسى عليه السلام".

وهي كما يلي:

١- "يا عيسى" خطاب على وجه الخصوص لعيسى عليه السلام.

٢- "إني" المتكلم، هو الله عزّ وجل.

٣- "متوفٍ" معناه "قابض تمامًا".

٤- "ك": أنت "المقبوض" على وجه التمام يا عيسى، (لا روحك فقط).

٥- "رافع" ناقل من الأسفل إلى الأعلى.

٦- "ك" "المرفوع" أنت يا عيسى، (لا روحك فقط).

٧- "مطهر" هو "الله".

٨- "ك" "المطَهَّر" أنت يا عيسى، (لا روحك فقط).

ويدل مجموع الكلام على أن الله عزّ وجل قابض على وجه التمام مخاطبه عيسى عليه السلام، والمقبوض على وجه التمام هو المخاطب عيسى عليه السلام، وأن الله "رافع عيسى عليه السلام"، وأن الله مطهِّرٌ عيسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام هو الموفوع والمطهَّر، لأن عيسى عليه السلام على وجه الخصوص هو المخاطب بهذا الخطاب، فهو "المتوفَّى" أي المقبوض تماماً، وهو المرفوع، وهو المطهّر، لقد جمع الله عزّ وجلّ لعيسى عليه هذه الأمور الثلاثة، فصار عيسى عليه السلام المتوفَّى والمرفوع والمطهَّر،

فآية "آل عمران" قد نصت بظاهره على جمع الله عزّ وجل لعيسى عليه السلام بين "التوفي" و"الرفع" و"التطهير"، فنظراً إلى المفردات الواردة في هذه الآية، **نقول ما يلي:**

- لا بد وأن يُحمل "توفي عيسى عليه السلام" المذكور في خطاب مخصوص على غير ما يُحمل عليه توفي غيره من الأنام الذي ذكر بعموم الخطاب في آية "الزمر" وغيرها.
- أن يكون توفي عيسى عليه السلام" نوعاً مخصوصًا به، فتوفيه هو قبض الله إياه على وجه التمام، و"الرفع" إليه، و"التطهير" من منكريه، وهذا ما يسميه المسلمون بتوفي "رفع".
- لا يمكن حمل هذا التوفي على "الإماتة" حينما مكر اليهود بقلته وصلبه لإن الإماتة تحتاج إلى قرينة "حين الموت" و"الإمساك"، ولعدم وجود قرينة الموت لا يمكن أن يكون توفي عيسى عليه السلام "توفي موت" لدى مكر خير الماكرين، نعم! إنما يكون"توف موت" بعد نزوله من السماء عند مجيء أجله.
- لا يمكن حمل توفي عيسى عليه السلام على "الإنامة"، وهي تحتاج إلى قرينة النوم، نحو: "في منامها" و"يرسل"، ولعدم وجود قرينة "النوم"، لا يكون هذا التوفي "توف نوم".
- كما لا يمكن حمل "رفع عيسى عليه السلام" على "الرفع الروحي"، وذلك لوجهين، **أولاً**: لعدم وجود قرينة لصرف "الرفع"

إلى ذلك، **ثانيًا:** "الرفع" يتحقق على المقبوض تماماً، فلو رُفع عيسى عليه السلام روحيًا، يكون مرفوعًا جزئيًا، ولا يكون المرفوع جزئياً عيسى عليه السلام المتوفَّ، أي المقبوض تمامًا، لان الآية نصت على كون المرفوع "متوفَّ"، أي مقبوضاً على وجه التمام.

- كما لا يكون الرفع الجزئي (أي الروحي) من خواص عيسى عليه السلام، فإن أرواح الأنبياء والصالحين أجمعهم مرفوعة، فلا يبقى لهذا الخطاب القرآني الخاص أي قيمة (عياذًا بالله) بحمل "الرفع" على "الرفع الروحي".
- لا يمكن حمل تطهير عيسى عليه السلام على "التطهير الروحي" لوجهين، **أولاً:** لعدم وجود قرينة تصرف "التطهير من الأعداء" إلى "التطهير من التُهم"، **ثانيًا:** لعدم تحقق القبض التام للمطهر روحيًا، فإن المطهر روحيًا يكون "مطهّراً جزئيًا"، والمطهّر في القرآن الكريم هو المتوفَّ، (أي المقبوض تمامًا)، أما المطهّر من التهم، فلا يكون مقبوضًا على وجه التمام.
- لا يكون التطهير الجزئي خاصة عيسى عليه السلام، فإن أرواح الأنبياء مطهَّرة، فلا يبقى لهذا الخطاب الخاص أي قيمة (عياذًا بالله) بحمل التطهير على التطهير من التهم.
- وهكذا يمنع لفظ "التوفي" حمل "الرفع" على "الرفع الروحي"، كما يمنع حمل "التطهير" على "التطهير من التهم".

ما الذي لا يمكن جمعه، وما الذي يمكن جمعه من توفي "الزمر" مع توفي "آل عمران":

ذكر الله عزّ وجلّ في "توفي الأنفس" في آية "الزمر" نوعين من توفيها، وهما "الإماتة"، و"الإنامة" مع قرائنهما، أما في توفي عيسى عليه السلام في آية "آل عمران"، فلا يوجد قرينة الموت، ولا قرينة النوم، كما ذكر الله على وجه القطع بحرف العطف جمع الأمور الثلاثة، وهي: "التوفي" و"الرفع" و"التطهير" معاً.

فلننظر الآن في نوعَي التوفي "الإماتة" و"الإنامة" ما لا يمكن جمعه، وما يمكن جمعه مع التوفي العيسوي، فنجد أنه لا يصلح أن يجتمع "توفي موت" من توفي "الزمر" مع توفي عيسى عليه السلام في آية "آل عمران"، لأن عيسى عليه السلام هو "متوفَّ" و"مرفوع" و"مطهَّر"، أي صاحب ثلاث خصال وفق نص القرآن الكريم، فعيسى عليه السلام إن لم يكن حيًا، معناه مفارقة روحه جسده، ولا يكون "المتوفّى"، (أي المقبوض على وجه التمام) من رُفع روحيًا، كما لا يكون المتوفى من طُهر من التهم، فوجود لفظ "متوفٍ" في القرآن الكريم يقتضي عدم مفارقة روح عيسى عليه السلام من جسده، ليكون هو "المرفوع" و"المطهّر" والمقبوض على وجه التمام، أو لا يكذب خبر القرآن الكريم -عياذا بالله-.

فلذا نقول: إن توفي آل عمران الوارد في شأن عيسى عليه السلام، والذي جُمع فيه للمتوفَّ "الرفع" و"التطهير" مانع من وقوع موت هذا المتوفَّ عند مكر اليهود لعدم صدق القبض التام على "المرفوع الميت"، وعلى

"المطهّر" من التهم، وحاصل الكلام لا يمكن جمع "الإماتة" مع توفي عيسى عليه السلام لدى مكر اليهود حالة رفع وتطهيره، ويمكن أن يجتمع "الإنامة" مع توفي "آل عمران" من توفي "الزمر"، لأن المرفوع النائم، والمطهّر النائم يكون حيًّا، ومقبوضاً على وجه التمام بالروح والجسد، وهكذا يتحقق توفي عيسى عليه السلام مع نومه حتى يكون مرفوعًا ومطهّراً ومتوفًّى.

فنختم القول في ضوء مفردات توفي عيسى عليه السلام بأن الله عزّ وجلّ قبض عيسى عليه السلام على وجه التمام، كما يليق بشأنه، ورفعه إلى سمائه، وطهّره من أعدائه، حيث أوصله إلى مكان لا يمكن لهم الوصول إليه، وهذا هو "توفي عيسى عليه السلام" وفق بيان القرآن، وهي عقيدة الأمة المسلمة الثابتة من ظاهر مفردات القرآن الكريم.

إفصاح مخرج لمن حمل "متوفيك" على "مميتك" المتأخر أو على "منيمك" حالة الرفع:

فإذا امتنع جمع "الإماتة" مع توفي عيسى عليه السلام لدى مكر اليهود، فما المخرج لمن حمل "متوفيك" على "مميتك"؟ أي ما هو مبرّر هذا التفسير؟ وكيف صح أن "متوفيك" في "آل عمران" يكون بمعنى "مميتك" في شأن عيسى عليه السلام؟

نقول: من حمل توفي عيسى عليه السلام الوارد في "آل عمران" على "الإماتة"، يقدر قرينة الموت، ويقول "متوفيك" أي "مميتك بعد إنزالي إياك من السماء"، أي إن الله عزّ وجل قال لعيسى عليه السلام عند مكر اليهود لقتله وصلبه "إني مميتك بعد إنزالي إياك من السماء، عند مجيء

الأجل، أمّا الآن فإني رافعك إليّ"، فثبت من هذا التفسير عقيدة الأمة المسلمة في حياة عيسى عليه السلام، ورفعه، ونزوله، وصح هذا الحمل والتفسير، فلا شك أنه مخرج جيد ومخلص طيب لمن حمل "متوفيك" على "مميتك".

متى يقع موته؟

وقد صرّح القرآن بذكر زمن موته قائلاً: "وإن من أهل الكتاب إلاّ ليومنن به قبل موته"، فلذا مَن فسّر "متوفيك" بـ"مميتك"، صرّح القيد المذكور أي "بعد إنزالي إياك من السماء"، أمّا وقوع موته، فهو مقيد بـ"إيمان أهل الكتاب"، فما دام لم يحدث ذلك، لم يقع موته، وما دام لم يحدث نزول عيسى عليه السلام من السماء، لم يحدث موته، فلا شك أنه موجود حيًّا في المكان الذي رفعه الله إليه، ولم يحدث إماتة الله إيّاه حسب شرطه، فما دام لم يوجد شرط موت عيسى عليه السلام، كيف يمكن وقوع موته؟ فإن الله ليس بمخلف وعده رسله، فلذا من اختار هذا الوجه من التفسير صرّح أيضًا بأن "فيه تقديم وتأخير"، أي ذُكر مقدمًا في القرآن ما يقع مؤخرًا، وهي إماتة عيسى عليه السلام، وذكر مؤخرًا في القرآن ما وقع مقدمًا، وهو رفع عيسى عليه السلام، ففي هذا التقديم والتأخير حِكمٌ كثيرة، نشير إلى البعض منها فيما بعد.

ونقول هنا إنّ في تقديم "متوفيك" على "رافعك"، فيه تسلية لعيسى عليه السلام أيضًا، لأن فيه عدم إنجاح مكر اليهود، وإخبار من الله إياه أن أعداءك الذين أرادوا بمكرهم قتلك وصلبك، لن يستطيعوا أن يفعلوا ذلك،

بل إنني فاعل بإماتتك "بعد إنزالي إياك من السماء"، أما الآن فإني رافعك إلي، فالذي رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيًا، هو الذي ينزله منها، وهو الذي يميته عند مجيء أجله، فلذا صرّح من فسّر "متوفيك" بـ"مميتك" قائلاً بـ"واللهِ إنه لحي الآن في السماء"، فهكذا أعلن بحياته ورفعه رغم حمل "متوفيك" على "مميتك".

ومن حمل "توفي عيسى عليه السلام" على "الإنامة"، حمله مراعيًا في شأنه ما هو واقع به حالة الرفع، أي نقله من الأرض إلى السماء، فقال: "إني متوفيك"، أي "منيمك" حالة الرفع، لئلا يتأثر من مخاطر الطريق، فأنامه الله حالة الرفع، ويكون النائم حياً ومقبوضًا تمامًا، أي بالجسد والروح، ففسّر من حمل "متوفيك" على "منيمك" إن الله عزّ وجلّ أنام عيسى عليه السلام عند رفعه إلى السماء، حتى لا يشعر بالخطر حالة الصعود من الأرض إلى السماء، وأوصله الله إلى مكان لا تصل إليه أيدي أعدائه الدنسة، فهذا الحمل أيضًا يُثبت حياته ورفعه ونزوله، فإنه مخرج جيد أيضاً.

فمفردات آية "آل عمران" تدل على أنه لا يصلح أن يجتمع مع توفي عيسى عليه السلام "الإماتة" أصلاً، ويجوز أن يجتمع معه "الإنامة" من نوعي توفي "الزمر"، لأن النائم يكون حياً، والمقبوض تمامًا بالجسد والروح، والمرفوع كلياً لا جزئيًا، والمطهر كلياً لا جزئيًا، فلم يثبت موت عيسى عليه السلام بحمل "متوفيك" على "مميتك"، ولا بحمل "متوفيك" على "منيمك"، بل ثبتت عقيدة الأمة المسلمة في حياة عيسى عليه السلام

ورفعه ونزوله في الحملين، وقد ذكرنا مخرجاً لكل حمل.

كما أن المفردات القرآنية التي اختيرت عند بيان توفي عيسى عليه السلام، صريحة في قبض عيسى عليه السلام تمامًا، وفي رفعه إليه، وفي تطهيره من منكريه حيث أوصله إلى مكان الأطهار، فهكذا ثبت حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله مع مخرج الحملين المذكورين.

فلله الحمد والمنة.

"الوحدة الثالثة"

- ❖ مشتقات الوفاء ودلالالتها.
- ❖ "التوفي" ومأصدقاته.
- ❖ أسلوبان للبيان.

نحن في هذه الوحدة نذكر معاني بعض مشتقات الوفاء، كما نشير إلى أسلوبي التعبير وتأدية المعنى بهما في اللغة والقرآن ولغات البشر مرتباً، كالآتي:

١- دلالات مشتقات "الوفاء"، و"التوفي" من حيث الوضع.

٢- مأصدقات التوفي لذي روح في القرآن الكريم.

٣- نوعان للبيان، وهما: (١) تأدية المعنى على وجه الظهور (بلفظ صريح)، (٢) تأدية المعنى على وجه الاستتار (بكناية اللفظ).

مشتقات "الوفاء" ودلالاتها:

فقد ورد في اللغة، وفي القرآن، وفي السنة من مشتقات (و ف ي) ما يلي:-

"**وفى**": ومعناه "تم" و"كمل"، "وفت": ومعناه "تمت".

و"**أوفى**": أكمل.

"**يفي**" "يتم" و"يوفي": يُتِمّ، ويُكمل.

"**وفّى**": أعطى تمامًا.

"**توفّى**": أخذ تمامًا.

"**استوفى**": يرادف "توفى".

"**يتوفَّى**": يقبض تمامًا.

"**يُتَوفَّى**": يُقبَضُ تمامًا.

"**يُوفِّي**": يُعطِي تمامًا.

"**يُوفَّى**": يُعطَى تمامًا.

"**متوفٍ**": قابض تمامًا.

"**متوفِّى**": مقبوض تمامًا.

فقد وُضع "الوفاء" ومشتقاته للتمام والإتمام، والإعطاء على وجه التمام، والقبض على وجه التمام.

هذه دلالات مشتقات "الوفاء"، و"التوفي" الوضعية.

أسلوبان للبيان:

فهناك طريقان للتعبير عن المعنى، أو نوعان للبيان، وهما:

١) تعبير عن المعنى على وجه الظهور، وهو يسمى بـ"الصريح".

٢) تعبير عن مقصود المتكلم على وجه الاستتار، وهو يسمى بـ"الكناية"، ويختار هذا الأسلوب لقوته البلاغية، إذا صدق معنى اللفظ على أكثر من مأصدقٍ يتعيّن مراد ومقصود المتكلم بأمر زائد، وهو يسمى بالقرينة، ويلزم ذلك المعنى المقصود أو المراد الكنائي لفظ المتكلم، ويسمى لازم معنى اللفظ أيضاً.

والأسلوبان أي الصريح والكناية شائعان في اللغة العربية وغيرها من لغات البشر، وبين طبقات الناس كلها، المثقفة وغير المثقفة وشائعان في القرآن الكريم أيضًا.

تعريفاهما:

الصريح:

الصريح من اللفظ ما دل على معناه، كدلالة "التوفي" على "القبض التام".

الكناية:

الكناية من اللفظ ما دل على لازم معناه، كدلالة "التوفي حين الموت" على "الإماتة"، و"في المنام" على "الإنامة".

وسبب تسميته بالكناية، لأن الكناية لغة الاستتار، ويكون مراد المتكلم مستتراً في اللفظ المنطوق، ويلزمه، ولا يصرح المتكلم بمقصوده لغرض ما، بل يكني به عن لفظ آخر، ويكون ذلك اللفظ ساتراً للمعنى المراد، ويكون المراد مستوراً فيه، ولازماً للّفظ، فالحصول على مراد المتكلم في الكناية إنما يكون على طريق اللزوم ومع قرينته.

بلاغة الكناية:

يعتبر التعبير عن المعنى عن طريق الكناية أبلغ طرق البيان في جميع لغات البشر، ولكشف مراد المتكلم في هذا الأسلوب لا بد من وجود قرينة لفظية أو حالية، ويكون دور هذه القرينة، كما يلي:

أولاً: صرف اللفظ المذكور عن معناه إلى لازمه.

ثانيًا: كشف المعنى المستتر.

ثالثًا: المنع من إرادة معنى اللفظ في ذلك الموقع إلا تبعاً.

رابعًا: تعيين مراد المتكلم ومقصوده.

ونحن سنلقي الضوء أكثر على هذين الأسلوبين في وحدة الحدود -إن شاء الله-.

"الوحدة الرابعة"

المقارنات المفيدة
لإفصاح الحق والحقيقة
في توفي عيسى عليه السلام

نحن نقوم الآن في هذه الوحدة بمقارنات عديدة، وباعتبارات مختلفة لإفصاح الحق والحقيقة في باب التوفي على الوجه الآتي.

أولاً: المقارنة بين النوعين "الإماتة" و"الإنامة" في توفي عموم البشر.

ثانيًا: المقارنة بين توفي آية "الزمر" وتوفي "آل عمران".

ثالثًا: المقارنة بين وجوه تفسير آية "آل عمران".

المقارنة الأولى: بين نوعي التوفي "الإماتة" و"الإنامة":

أ- ذُكر "التوفي" بصيغة "المضارع"، وهو قوله تعالى: "يتوفَّى" وهو فعل مضارع من التوفي يدل على الحدوث والاستمرار.

ب- ذُكر نوعا التوفي على وجه الاستتار، أي بأسلوب الكناية، حيث لم يذكر الإماتة أو الإنامة بصريح اللفظ، بل كنى بهما بـ"التوفي".

ج- ذُكر قرينة "الإماتة"، وهي "حين الموت والإمساك"، وقرينة "الإنامة" وهي "في المنام والإرسال".

د- حدّدت قرينة النوع الأول مراد "التوفي"، ألا! وهو "الإماتة" على وجه الكناية، وبيانه على سبيل الاستتار، أو ذكره على وجه الكناية، ولم يُذكر "الإماتة" بصريح اللفظ، لكن يلزم "إماتة" المتوفَّى لفظ القرآن المذكور، ألا! وهو "التوفي حين الموت مع الإمساك".

هـ- حدّدت قرينة النوع الثاني مراد "التوفي"، ألا! وهو "الإنامة" على وجه الكناية، ولم يُذكر "الإنامة" بصريح اللفظ، لكن ورد نص قرآني ما يلزمه "إنامة" المتوفَّى، ألا! وهو "التوفي" حين المنام والإرسال.

و- **الفرق بين توفي الإماتة والإنامة باعتبارين:**

أولاً: الاختلاف في الظرف، فظرف الأول "حين الموت"، وظرف الثاني "حين المنام".

ثانياً: الاختلاف في الأثر، فأثر التوفي حين الموت إمساك الروح، وأثر "التوفي" في المنام إرسال الروح.

استتار مراد المتكلم في المنطوق:

يستتر مراد المتكلم في اللفظ، وتكشفه القرينة، ويثبت مراده عن طريق اللزوم، حيث يلزم "التوفي" حين الموت مع الإمساك "الإماتة"، ويلزم "التوفي" في المنام مع الإرسال "الإنامة".

المقارنة الثانية بين نوعي التوفي "الإماتة" و"الإنامة":

"التوفي" صادق على كل نوع، وتعين الأول بقرينته، والثاني بقرينته.

وظهر من إفصاحنا هذا على العامة والخاصة دور القرينة في كشف المستتر، وإفصاح مراد المتكلم، أو دور القرينة في بيان المكني عنه بذكر ما يُكنى به، وهذا ما اختاره القرآن الكريم عند بيان توفي عموم البشر.

حاصل الكلام:

وحاصل الكلام: إن الله عزّ وجلّ كَنَى بـ"التوفي حين الموت والإمساك" عن "الإماتة"، وكنى بـ"التوفي في المنام والإرسال" عن "الإنامة".

إلى هنا وقد اطلع الجميع (أي الخاصة والعامة) على أن مراد "التوفي" الأول مستتر في "حين الموت والإمساك"، وأن مراد التوفي الثاني مستتر "في المنام والإرسال"، وهذا هو دور القرينة في الكناية.

ولكشف الستار أكثر عليكم ما يلي:

أ- يستتر "الإماتة" في "التوفي حين الموت والإمساك" كما في آية "الزمر".

ب- يستتر "الإنامة" في "التوفي في المنام والإرسال" كما في آية "الزمر" أيضًا.

ج- عند بيان الله عزّ وجلّ توفي عموم البشر في القرآن الكريم: كُني بـ"التوفي حين الموت والإمساك" عن "الإماتة"، وكُنيَ بـ"التوفي في المنام" و"الإرسال" عن "الإنامة"، فهكذا كُني في توفي عموم البشر بأمر واحد عن أمر واحد آخر، فالمكنى به أو الفظ المذكور هو "التوفي حين الموت مع الإمساك"، والمكنى عنه أو المعنى المستتر "الإماتة"، هذا أولاً، والمكنى به أو اللفظ المذكور "التوفي في المنام مع الإرسال"، والمكنى عنه أو المعنى المستتر "الإنامة"، هذا ثانياً.

د- ذُكر التوفي بنوعيه بصيغة المضارع، وهو يدل على الحدوث، واستمرار وقوع هذين النوعين من التوفي، (أي الإماتة والإنامة) للأنفس البشرية ليل ونهار.

هـ- يشمل هذان النوعان للتوفي جميع أفراد البشر، ويدخل فيهم عيسى عليه السلام عند وجود القرينة أي "حين الموت والإمساك" و"في المنام والإرسال"، فيحصل إماتة عيسى بالتوفي حين الموت وإنامته بالتوفي في المنام.

المقارنة الثالثة: بين أسلوبي البيان "توفي الأنفس" و"توفي عيسى عليه السلام":

١) ذُكر في توفي عموم البشر لفظ "توفي الأنفس"، وذُكر في توفي عيسى عليه السلام اسمه الصريح، لا يشاركه أحد من البشر في هذا التوفي، لأن العام لا يدخل في الخاص.

٢) يشارك عيسى عليه السلام في توفي عموم البشر (أي في الإماتة والإنامة) عند وجود قرينتيهما لأن الخاص يدخل في العام.

٣) ذُكر التوفي في "الزمر" بصيغة المضارع "يتوفى"، وهو فعل يشمل الزمن، ويدل على الحدوث والاستمرار، وفي سورة "آل عمران" ذكر التوفي الخاص بصيغة اسم فاعل "متوف"، وهو وصف يخلو من الزمن، ولا يدل على الحدوث على وجه الاستمرار، بل إنه حادث مخصوص بشخص معين، وهو عيسى عليه السلام، ثم الحوادث

لا يجري فيها القياس، حتى يحمل على هذا التوفي على توفي "الزمر".

٤) توفي "آل عمران" خلا من قرينة الإماتة، ومن قرينة الإنامة بخلاف توفي "الزمر" وغيرها من سور القرآن، فكلما ذكر التوفي كناية عن الإماتة، أو عن الإنامة، ذكر معه القرينة لتعيين نوعه.

٥) ذُكر في "الزمر" أمر واحد، فالله عزّ وجل فاعل به على الاستمرار بـ"المتوفَّ"، وهو إماتة المتوفى حين الموت، وإنامة المتوفى في المنام، ، ولم يُجمع للمتوفَّ في هذا النوع أمر آخر بحرف العطف، بل ذكر فيه التوفي فحسب، لا غيره.

٦) لم يذكر بحرف العطف مع توفي عموم البشر، لا في "الزمر"، ولا في غيرها فعل آخر لحضرة فاعل المتوفَّ جل وعلا.

٧) جُمع في سورة "آل عمران" مع "التوفي الخاص" لعيسى عليه السلام أمران غير التوفي بحرف العطف، وهما: (١) "رافعك" (٢) و"مطهرك"، فهذا تأكيد من ذات الباري جل وعلا بأن هذا المتوفَّ حاصل على الرفع والتطهير أيضًا مع توفيه، فهذا هو النوع المخصوص للتوفي ولبشر معين.

ملحوظة: هذا الأمر أيضاً يُبطل ضابط الميرزا حيث أن الله عزّ وجلّ ليس بفاعل لعيسى عليه السلام توفيه فحسب، بل فاعل له الرفع والتطهير.

٨) توفي عموم البشر إما إماتة، وإما إنامة، أما توفي عيسى عليه السلام، فلا يمكن أن يكون "توفي إماتة" حسب بيان القرآن الكريم الصريح، أو توفي إنامة.

٩) لا يدل لفظ "آل عمران" على حدوث هذا "التوفي" الخاص على وجه الاستمرار، لكونه توفي شخص معين فقط، لا غيره، وهو عيسى عليه السلام وحده.

١٠) لا وجود لقرينة النوم، أو لقرينة الموت في "توفي عيسى عليه السلام"، ويوجد زيادة أمرين على التوفي، وهما "رافعك ومطهرك"، فاجتمعت ثلاثة أمور على وجه الصراحة في توفي عيسى عليه السلام حسب تصريح القرآن الكريم.

١١) فاعل "التوفي" هو الله جلّ وعلا، ومفعول "التوفي" هو عيسى عليه السلام، فماذا يفعل فاعل التوفِّي وهو الله بهذا المتوفَّى؟ هذا الذي قد ذكر القرآن الكريم بذكره في سورة "آل عمران" بصريح اللفظ، وهو أنه قابض هذا الشخص تمامًا، (حيث لا يترك من المقبوض شيئًا)، وأنه رافعه إليه، (أي ينقله من الأسفل إلى الأعلى)، وأنه مطهره من الذين كفروا، فالمقبوض على وجه التمام في هذا التوفي هو المرفوع إلى الله، و"المطَهَّر من أعدائه" أيضًا، هذا هو توفي عيسى عليه السلام وفق صريح بيان القرآن الذي اجتمعت فيه الأمور الثلاثة لعيسى عليه السلام، وكلها مذكورة على

وجه الصراحة ومجموعة بحرف العطف بالنص القطعي، وهي (١) قبضه تمامًا، (٢) ورفعه إلى الله، (٣) وتطهيره من الكفار.

فلم ينحصر توفي "آل عمران" على ذكر أمر واحد، كتوفي "الزمر" وغيرها لعموم البشر، وليس في توفي عيسى كناية أمر عن أمر، بل إن توفي "آل عمران" عبارة عن مجموع الأمور الثلاثة على وجه الصراحة، وهي: "القبض التام" + "الرفع إلى الله" + "التطهير من الكفار".

"الوحدة الخامسة"

* إجماع المفسرين المسلمين على حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله مع تعدد وجوه التفسير لقول الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

* حكم بيان توفي عموم البشر بالكناية، وتوفي عيسى عليه السلام بالصراحة.

المقارنة بين وجوه التفسير للمفسرين المسلمين في توفي عيسى عليه السلام:

إن وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين لقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قد أجمعت على ما هو المسلم لدى الأمة المسلمة من حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله، وإن تعددت وجوه التفسير إلى أربعة وجوه.

فقوله تعالى: "متوفيك" معناه قابضك تمامًا، قائل هذا القول هو "الله عزّ وجل"، والمخاطب لهذه المقولة هو "عيسى عليه السلام"، ولقد فعل الله بعيسى عليه السلام من "التوفي" والرفع والتطهير، وجمع له الثلاثة بـ"الواو" وهي للجمع، وخاطبه بـ"ضمير الخطاب" "الكاف"، وعبّر عن نفسه بـ"ضمير المتكلم" "إني"، وهي كلها من قبيل الخاص، أي معلوم المراد، ولا تحتاج إلى البيان، أو ذكر التوفي وغيره بصريح اللفظ لا بالكناية، وبلفظ ظاهر المراد، لا خفاء فيه، ولا إجمال، ولا إشكال، وبأسلوب لا يستلزمه التقديم والتأخير أو التقدير، ونظراً إلى ما قلنا، وصرحنا، نقول: إن الوجه الأول هو أرجح الوجوه، وفيما يلي بيان هذه الوجوه على وجه التفصيل.

الوجه الأول: وهو أرجح الوجوه:

إن الله عزّ وجل قبض عيسى عليه السلام على الوجه التمام، فالقابض

هو الله تعالى، والمقبوض هو شخص عيسى عليه السلام، قوله "رافعك إلي"، أي ناقل إياك من الأرض إلى السماء، فالرفع إلى الله يطلق في القرآن على الرفع إلى السماء، فالرافع هو الله تعالى، والمرفوع هو شخص عيسى عليه السلام، والمقبوض على وجه التمام بجسده وروحه، وقوله" مطهرك من اللذين كفروا" أي مطهر إياك من المنكرين، فهذا الشخص المقبوض على وجه التمام، والمرفوع إلى السماء، أوصله الله تعالى إلى مكان طهره من الأيدي الدنسة الذين كفروا، والذين كانوا محيطين به، ومكروا لقلته وصلبه.

نقول:

إن هذا الوجه من أرجح وجوه التفسير، وأظهرها في توفي عيسى عليه السلام، فلفظ "التوفي" يدل على معناه الوضعي أي "القبض التام" لعيسى عليه السلام، ولا يوجد قرينة موته، ولا قرينة نومه، ولفظ "الواو" قطعي في الجمع بين توفي عيسى عليه السلام ورفعه وتطهيره، فالتوفي على معناه الوضعي، وهو قبض الله عيسى عليه السلام على وجه التمام بلا موت ونوم، وهو حي يقظان، ووهكذا "الرفع" إلى الله يدل على معناه الوضعي، وهو الرفع إلى السماء، و"التطهير من الأعداء" على معناه الوضعي، أي إبعاده من مسّ أيديهم، وحصل ذلك بإيصاله إلى مكان بعيد من تناول الكفار بحيث لا يمكن لهم المساس لهذا المقبوض المرفوع الموصول إلى

السماء، هذا هو القول الأول وأرجح التفاسير.

الوجه الثاني: التوفي الجنس عينه "رافعك":

إن توفي الله عيسى عليه السلام هو "القبض على وجه التمام"، وهو جنس يحتاج إلى تعيين نوعه، هل هو إماتة؟ أو هو إنامة؟ أم هو رفع؟ وقوله تعالى: "رافعك إليّ" عيّن نوع القبض التام بأنه هو الرفع إلى السماء، فإن الرفع إلى الله يقصد به الرفع إلى السماء حسب محاورات القرآن الكريم، وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ هو تطهيره من أعدائه، فرفع الله عيسى عليه السلام، وأوصله إلى السماء بإيصاله إلى السماء، ولا يحتاج هذا الوجه من التفسير إلى القول بالتقديم والتأخير، أو التقدير، وفيه التكرير فقط.

الوجه الثالث: التوفي هي الإماتة المتأخرة الواقعة بعد النزول:

قوله "متوفيك" معناه "مميتك"، وأن يقدّر قرينة الإماتة، "أي مميتك بعد إنزالي إياك من السماء"، ويستلزمه التقديم والتأخير، أي ذكر مقدماً ما هو حاصل متأخرًا بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء عند مجيء أجله، وهو إماتة عيسى عليه السلام، وما حصل مقدّماً، أي رفع عيسى عليه السلام إلى السماء ذُكر مؤخرًا في الآية، فيحتاج هذا الوجه إلى القول

بالتقديم والتأخير، وإلى تقدير الظرف أيضًا، كما استعمل لفظ "متوفيك" كناية عن "مميتك".

الوجه الرابع: القول بالكناية في التوفي وحمل توفي عيسى عليه السلام على الإنامة:

من أهل التفسير مَن حمل "متوفيك" على "منيمك"، فالقائل يقدر قرينة الإنامة، وهي الحالية أي أنام الله عيسى عليه السلام ليتطمئن قلبه من مخاطر الطريق، أي أن الله تعالى أخبر عيسى عليه السلام بما هو فاعل به عند رفعه ليطمئن خاطره، فقال: "يا عيسى إني متوفيك" أي منيمك، "ورافعك إليّ"، أي إلى السماء، "ومطهرك من الذين كفروا"، أي بإبعادي إياك عنهم، وإيصالك إلى مكان لا يمكن لهم مسك بأيديهم النجسة، وعلى هذا التفسير يكون "متوفيك" كناية عن "منيمك"، ولا يحتاج إلى القول بالتقديم والتأخير، ولا إلى التقدير والتكرير.

لقد أجمع المفسرون على حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله، وإن تعددت وجوه التفسير، وفيما يلي جدول هذه الأوجه كلها.

جدول إجماع المفسرين على حياة عيسى عليه السلام

روفعه، وإن تعددت وجوه التفسير لقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾:

وجوه	متوفيك	و	رافعك إليّ	و	مطهّرك من الذين كفروا	مآل
١	قابض شخصك على وجه التمام صريح ظاهر المعنى	للجمع ظاهر المعنى	ناقل شخصك إلى السماء. صريح ظاهر المعنى	للجمع ظاهر المعنى	إيصال شخصك إلى مكان لا يمكن للمنكرين الوصول إليه.	لا يحتاج إلى التقديم والتأخير، ولا إلى التقدير. ولا تكرير. يدل على الحياة والرفع بظاهر اللفظ.
٢	قابض إياك على وجه التمام، (جنس) يحتاج إلى تعيين نوعه	//	عيّن نوع التوفي، الرفع إليّ.	//	// //	يحتاج إلى تعيين النوع. يدل على الحياة والرفع بظاهر اللفظ. وفيه التكرير فقط.
٣	منيمك (كناية) لئلا يخاف أثناء الرفع.	//	ناقل شخصك إلى السماء نائمًا.	//	// //	التوفي كناية عن الإنامة. يدل على الحياة والرفع.
٤	مميتك (بعد إنزالي إياك من السماء عند الأجل). مؤخر	//	// مقدم	//	// //	كناية عن الإماتة، لا تقديم، ولا تأخير. يدل على حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله.

حكم اختيار الله عزّ وجلّ أسلوب "الكناية" في توفي عموم البشر، و"الصريح" في توفي عيسى عليه السلام (وفق أرجح الأقوال):

لقد اختار الله أسلوب الكناية في بيان توفي عموم البشر، والصراحة في بيان توفي عيسى عليه السلام، فلو تأملنا في هذا الأمر لظهر علينا كثير من الحكم.

حكم بيان توفي عموم البشر على وجه الكناية:

لا شك في أن "الكناية" أبلغ من الصريح، وأقوى تأثيراً في البيان لشمولها على ذكر أمر مع دليله، واختير الأسلوب الكنائي ليثبت في أذهان الناس ما يلي:

١- التوفي لعموم البشر والتوفي لخصوص عيسى عليه السلام حقيقتان مستقلتان.

٢- التوفي عند قرينة الموت إماتة المتوفَّى، فيكون المتوفَّى ميتًا.

٣- التوفي عند قرينة النوم إنامة المتوفَّى، فيكون المتوفَّى نائماً، ليس بميت، بل إنما يكون حياً.

٤- التوفي لعموم البشر نوعان، "الإماتة"، "الإنامة".

٥- يتعيّن حتماً نوع التوفي حسب القرينة.

٦- إن لم يكن هناك أي قرينة، فلا يكون التوفي كناية عن إماتة أو إنامة، بل هو "القبض التام" فقط للمتوفَّى.

٧- ليثبت في أذهان الناس أن "توفي الإماتة" و"توفي الإنامة" بيد الله سبحانه وتعالى وحده.

ملحوظه: لقد زعم الميرزا باطلاً بوجود إماتة المتوفَّى عند عدم وجود قرينة الليل أو النوم.

حكم بيان توفي عيسى عليه السلام على وجه الصراحة:

ذكر توفي عيسى عليه السلام الذي برفقه رفعه وتطهيره بصريح اللفظ، فالصريح من اللفظ يكون ظاهر المراد وسهل المنال.

واختار الله عزّ وجلّ بيان توفي عيسى عليه السلام الخاص به هذا الأسلوب، بلا ذكر قرينتَي الموت والنوم، ليظهر على الناس بكل يسر وسهولة ما يلي:

١- إن توفي عيسى عليه السلام حقيقة مستقلة غير توفي عموم البشر.

٢- هو توفٍ خالٍ من قرينة موت أو نوم، فلا يكون المتوفَّى ميتاً أو نائماً، بل هو حيٌ مع توفيه.

٣- هو "القبض التام" للمتوفّى، ومعه رفعه إلى الله، وتطهيره من منكريه.

٤- جُمع في هذا التوفي الأمور الثلاثة بكلام قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وصُرّح بلفظ الجمع "الواو".

٥- إن توفي عيسى عليه السلام هو قبضه التام، ورفعه إلى الله، وإيصاله إلى السماء.

ومن الممكن أن يظهر من حكم كلام الله عزّ وجلّ على قارئ القرآن الكريم والمتأمل فيه غير ما ذكرناه، والله أعلم والصواب.

"الوحدة السادسة"

هكذا المقارنات تفصح لنا

"أقسام "التوفي"

في ضوء ما درسناه من مقارنات التوفي ثبت ما يلي:

ينقسم التوفي باعتبار "المتوفَّى" إلى قسمين.

١- توفي غير ذي روح.

٢- توفي ذي روح.

وينقسم توفي ذي روح إلى قسمين.

١. توفي عموم البشر.

٢. توفي الشخص المخصوص (عيسى عليه السلام).

وتوفي عموم البشر نوعان.

١) يُتوفى الإنسان حين الموت"، فيكون المتوفى ميتًا، وهذا يشمل عيسى عليه السلام، فإنه يموت عند مجيء أجله، وهو يسمى بتوفي موت.

٢) "يُتوفى الإنسان في المنام"، فيكون المتوفَّ نائمًا، لا ميتًا، ويشمل عيسى عليه السلام أيضًا، فينام عند إنامة الله إياه، وهو يسمى بتوفي نوم.

"التوفي" لشخص معين:

هو توفي عيسى عليه السلام فقط، وتوفيه مع رفعه وتطهيره، وهو ما يسمى بـ"توفي رفع"، فهكذا صارت لتوفي ذي روح أنواع ثلاثة، (١) "الإماتة"، (٢) "الإنامة"، (٣) "الرفع".

ينقسم "التوفي" لذي روح حسب البيان في القرآن إلى قسمين.

١) بيان توفي ذي روح بالاستتار، وعلى وجه الكناية، مثل توفي الإماتة وتوفي الإنامة، وهذا لعموم البشر حين الموت وعند المنام، ويشمل عيسى عليه السلام أيضاً.

٢) بيان توفي فرد من البشر على وجه الصريح حسب أرجح وجوه التفسير، كتوفي عيسى عليه السلام الخاص به، وهو التوفي الفريد، لا يشاركه أحد في هذا "التوفي" من البشر.

الجدول الشامل لـ"التوفي":

<table>
<tr><th colspan="4">"التوفي"</th></tr>
<tr><th colspan="3">ذي روح.</th><th>لغير ذي روح</th></tr>
<tr><td>شخص معين.
لا يشاركه غيره في توفيه الخاص.
وهو يشارك في توفي عموم البشر عند وجود القيد، والشرط أو القرينة.</td><td>عموم البشر لا استثناء فيه.
ويشمل الجميع.
ويشارك فيه الفرد المخصوص أيضاً.</td><td colspan="2">توفي شيء، لا يتصور فيه الحياة والموت.</td></tr>
<tr><th colspan="4">أثر التوفي على المتوفّى</th></tr>
<tr><td>١) قبض تام بالجسد والروح مع الرفع إلى الله، والتطهير من الأعداء.
٢) الرفع إلى السماء (حالة اليقظة).
٣) الرفع إلى السماء (نائمًا).</td><td>إنامة المتوفّى.
حين المنام</td><td>إماتة المتوفّى.
حين الموت.</td><td>قبض المتوفَّى بحيث لا يبقى منه شيء.</td></tr>
<tr><td>ذكر في القرآن صراحةً.
يجوز حمله على الكناية.</td><td>ذكر في القرآن على وجه الكناية.</td><td>ذكر في القرآن على وجه الكناية.</td><td>ذكر في القرآن بأسلوب صريح.</td></tr>
</table>

"التوفي" دلالته على ماذا؟ ولماذا؟

١- يدل التوفي وضعاً على "القبض التام" فحسب.
٢- لا يدل "التوفي" لغةً على الإماتة، أو الإنامة، أو الرفع، وقبض الروح.
٣- ليس اشتقاق "التوفي" من "م و ت"، فلا يدل على "الإماتة" وضعًا.
٤- ليس اشتقاقه من "ن و م"، فلا يدل على "الإنامة" وضعًا.
٥- ليس اشتقاقه من "ر ف ع"، فلا يدل على "الرفع" وضعًا.
٦- لا يدل "التوفي" على قبض الروح لكونه مفرداً.
٧- يحمل التوفي على الإماتة أو الإنامة أو الرفع حسب القرينة.
٨- يصدق مفهوم "التوفي" وهو "القبض التام" على الإماتة وعلى الإنامة وعلى الرفع حسب القرائن.

صدق مفهوم "التوفي" (أي "القبض التام") على أكثر من حقيقة:

إذا صدق المفهوم على أكثر من حقيقة، يسمى جنسًا، وما صدق عليه من الحقائق سُمّيت أنواعه، أو المفهوم المذكور يسمى بـ"الصادق"، والحقائق المختلفة تسمى بـ"المأصدقات" لهذا المفهوم.

١) ليعلم أن المفهوم الصادق على حقائق مختلفة، إنما لا يعمها، أي لا يشمل الجميع كالعام.
٢) يعيّن نوع مخصوص منها في وقت واحد.

٣) لا بد من وجود أمر يعيّن نوعه المراد.

٤) الأمر المعيّن للنوع سميت بـ"القرينة".

٥) القرينة في باب الكناية كالفصل لكل نوع في باب الجنس.

٦) وعلى هذا نقول إن "التوفي" هو القبض التام يصدق على "الإماتة"، وعلى "الإنامة"، وعلى "توفي الرفع"، وفي كل مورد يحدد نوع التوفي قرينته، وليعلم أيضًا أن اللفظ إذا استعمل للمعنى الكنائي، أو المجازي، ففي كل منهما صرف اللفظ من معناه.

٧) لا بد من صارف ومانع وهي القرينة التي تصرف اللفظ من معناه إلى مراد المتكلم، وتمتع إرادة معناه الوضعي.

إجتماع "التوفي" مع الموت والحياة والنوم والرفع، لماذا؟:

١- يجتمع "التوفي" "القبض على وجه التمام" مع "الموت" ومع "الحياة" ومع "النوم" ومع "الرفع".

٢- يغاير "التوفي" الموت والنوم والرفع لغةً ووضعاً، ولا يباينها، وإنما هو "القبض التام".

٣- إذا ورد حدوث التوفي حين الموت، اجتمع مع الموت، ويكون "المتوفى" ميتًا.

٤- إذا ورد حدوث التوفي "في المنام مع الإرسال"، اجتتمع "التوفي" مع "النوم"، ويكون "المتوفَّ" نائمًا وحيًا.

٥- إذا ورد حدوث "التوفي" لدى مكر أعداء نبي الله عليه السلام، ومعه رفع المتوفى، أو تطهيره يكون المتوفى عيسى عليه السلام

مقبوضاً تمامًا ومرفوعاً ومطهرًا، واجتمع التوفي مع "الرفع" و"التطهير".

لماذا عرضنا هذا الإفصاح؟

ما عرضنا من هذا الإفصاح غير المسبوق لمفهوم التوفي غرضنا من هذا العرض المبسوط حماية الخاصة والعامة من خلط القاديانية وأذنابها الذين شوّهوا مبحث "التوفي" على الناس، وعرضوه، فكأن التوفي موضوع للإماتة، أو "الإنامة"، والحق الواقع أن التوفي كلمة عربية، لها مادة اشتقاقها، ولها معنى وضعي، لكن خلط أهل الإلحاد مصداق التوفي ومدلوله على العامة حتى وكاد أن يغلب على أذهانهم أن "التوفي" يرادف "الإماتة"، ولا شك أن هذا من عظيم المنكرات الشرعية، وهو دليل دجل المتنبئ القادياني، وإفصاحنا مفهوم "التوفي" بهذا العرض المسبط إنما لغرض منع دجل المدعي نبوة كاذبة، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى زيادة أهل الإيمان في إيمانهم وتصديقهم للصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم الذي قد أخبر على وجه الإعجاز أن كل من يدعي النبوة بعده صلى الله عليه وسلم يكون كذاباً ودجالاً، ويثبت هذا الإفصاح -إن شاء الله- مُظهراً للحق الثابت بالقرآن، ومبطلا للباطل الذي أثاره متنبئ القاديان، ولعل الله يوفق أتباعه لاتباع هداية الرحمن.

"الوحدة السابعة"

* دراسة "التوفي" من حيث الإسناد والمقابلات.
* القول الفصل بين "توفي الأموات" والنائمين" وبين "توفي المرفوع والمطهر عيسى عليه السلام".

البون الشاسع بين "التوفي" و"الإماتة":

"التوفي" معناه "القبض التام"، و"الإماتة" مصدر "أمات، يميت"، ومعناه إيقاع الموت، فاللفظان لا يرادفان معنى، لأنهما يغايران وضعاً واشتقاقاً، ولإفصاح الفصل أكثر وبوجه أسهل وبأسلوب أوضح بين "التوفي" و"الإماتة"، نعرض في هذه الوحدة دراسة "التوفي" من خلال ظاهرتين جليتين في القرآن الكريم، **وهما:** (١) "إسناد التوفي"، و(٢) "المقابلات القرآنية"، **فنقول، وبالله التوفيق!:**

بيان الظاهرة الأولى: الإسناد:

أسند في القرآن الكريم "التوفي" إلى ذات الباري جلَّ وعلا، كما أسند إلى رسل الله وملائكته الذين يقبضون الأرواح بأمره.

نحو قول الله عزّ وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

ويقول الله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [محمد: ٢٧].

ولم يُسند في أي موضع من القرآن الكريم "الإماتة" إلى عير الله عزّ وجلّ، وهذا برهان جلي ودليل قوي على أن "التوفي" لا يرادف "الإماتة"، بل له معنى وضعي خاص، وهو "القبض التام"، وللإماتة معنى وضعي خاص، وهو إيقاع الموت، أو القضاء على حياة ذي روح.

بيان الظاهرة الثانية: المقابلات القرآنية:

لقد ورد في القرآن الكريم التقابل بين "الحياة" و"الموت"، كما ورد

التقابل بين "الإحياء" و"الإماتة" في كثير من المواضع، فهما أمران متبائنان، ولم يرد في أي موضع "التقابل" بين "التوفي" و"الإحياء"، فثبت أن التوفي والإحياء، لا تباين بهما، كما لم يرد التقابل بين "الحياة" و"الوفاء"، فثبت أنهما ليسا بأمرين متبائنين، ومثل ذلك نقول في المحي والمتوفِّي والحيّ والمتوفَّ.

فقد يكون "المتوفِّي" أي القابض تمامًا هو الله.

وقد يكون "المتوفَّ" أي القابض تمامًا غيره بأمره، ولا يكون الْمُمِيتُ غير الله، فثبت أنه لا تباين بين المتوفِّي والْمُميت.

وقد يكون "المتوفَّ" ميتًا.

وقد يكون "المتوفَّ" حيًّا نائمًا.

وقد يكون "المتوفَّ" حيًا، يقظان، ومرفوعًا ومطهراً، وكل ذلك ورد في القرآن الكريم، فثبت أنه لا تباين بين المتوفِّي والمحي، وبين "المتوفَّ" و"الحي".

هذا الذي نجده في بيان القرآن الكريم في باب "التوفي".

أما "الإماتة" فهو إيقاع الموت، والقضاء على حياة ذي روح، ولا يكون المميت إلا الله.

فثبت أنه لا ترادف بين الميت والمتوفَّ وبين المتوفِّي والْمُميت، لقد ثبت من هذا البيان الموجز أنه لا تباين بين الحياة والوفاء وبين التوفي والإحياء، وبين المتوفِّي والْمُحي، وبين المتوفَّ والحيّ.

ويجوز اجتماع الحياة والوفاء.

كما يجوز اجتماع التوفي والإحياء.

ويجوز اجتماع المتوفِّي والْمُحي.

ويجوز اجتماع المتوفَّى والميت.

و"الإحياء" إيجاد الحياة في من لا حياة فيه، فلا يكون المحي أو المميت إلاّ الله، ويكون "المتوفِّي" هو الله وغيره، وبهذا العرض السريع ظهر بون شائع بين "التوفي" والإماتة في وضع اللغة.

الأمثلة القرآنية في التقابل:

فهناك تقابل بين الحياة والموت، وبين الإحياء والإماتة، ولا تقابل بين "الإحياء" و"التوفي"، لأن "التوفي" ليس بمرادف للإماتة، ونلاحظ ذلك فيما يلي من بيان القرآن الكريم:

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: ٢].

ويقول الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠].

ويقول الله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤].

ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

ويقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

يقول الله عزّ وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ [النحل: ٧٠].

ما عرضنا إلى هنا يدل بكل وضوح على ما يلي:

أولاً: لا يدل أي من مشتقات "الوفاء" على "الموت" وضعاً، وإن دلالته على التمام، ولا يدل "التوفي" على "الإماتة" وضعًا، وإن دلالته على الإتمام، أو الأخذ على وجه التمام، أو العطاء على وجه التمام، أو القبض على وجه التمام فحسب.

ثانياً: لا ترادفَ بين "التوفي" والإماتة"، فلا يكون "المتوفَّ" إلاَّ مقبوضًا على وجه التمام وضعًا.

ثالثاً: صدق "التوفي" على أحوال ثلاث لذي روح:

لقد صدق في القرآن الكريم التوفى لذي روح على ثلاثة أحوال.

الحالة الأولى: أن يكون "التوفي" للنفس حين الموت مع إمساكها، فهذا مثال صدق "التوفي" على حالة الموت.

الحالة الثانية: أن يكون "التوفي" في المنام مع إرسالها، فهذا مثال صدق "التوفي" على حالة النوم.

الحالة الثالثة: أن يكون توفي شخص مرفوع ومطهر، لا حين الموت، ولا في المنام، فهذا مثال صدق التوفي على حالة غير الموت، والنوم حسب نص القرآن الكريم.

رابعاً: لا يجوز إسناد "الإحياء" و"الإماتة" إلى غير الله، ويسند "التوفي" إلى غير الله في الواقع القرآني.

خامسًا: يقابل "الحياةً" الموتُ، لا الوفاء، ويقابل "الإحياءَ" الإماتة، لا "التوفي"، ولم يقابل المتوفِّي المحْيي، كما لم يقابل المتوَفَّى الحيّ في القرآن الكريم وفي اللغة.

سادسًا: يتعين معنى اللفظ الوضعي حسب مادة اشتقاقه، ويختلف لفظ في معناه من لفظ آخر على ذلك، فلذا إذا استقل كل من "الحياة" و"الموت" و"الإنامة" و"والوفاء" و"التوفي" و"النوم"، و"الإنامة" و"الرفع" في الوضع ومادة الاشتقاق اختلف جميعها في معانيها الوضعية، ودلالاتها اللغوية، فلا يحق لأحد أن يخلط معنى هذا اللفظ العربي القرآني (أي التوفي) حسب هواه لإثبات عقيدته خلاف محاورات اللغة وبيان القرآن الكريم.

فمن يقصد من العباد الاطلاع على مدلول لفظ "التوفي" الوضعي، ومأصدقاته في القرآن، لا بد له أن يلاحظ في هذا الباب ما ذكرناه على وجه البسط، وإلاّ يتخبط في باب "التوفي" الوارد في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة، وفي اللغة العربية، ومدلول التوفي من أهم مسائل العقيدة، فلا بد من الحرص والاهتمام للاطلاع عليه حسب بيان القرآن الكريم.

عدم اختصاص "التوفي" بذات الأوراح:

لا يختص ورود لفظ التوفي لـ"التوفي لذي روح"، بل وقد ورد في القرآن الكريم "التوفي" لغير ذي روح أيضاً، وفي ما يلي جدول أمثلة ذلك.

جدول مشتقات "وفى" الدالة على معناه الوضعي، وهو "القبض التام" فحسب، والمتوفَّى غير ذي روح لا يتصور فيه الموت والحياة، أو النوم، أو الرفع، إنما هو المقبوض على وجه التمام بحيث لا يترك منه شيء.

الكلمة	استعمالها في القرآن الكريم	معناها
وُفِّيَتْ	﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ [آل عمران: ٢٥].	أُكملتْ
يوفِّي	﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [آل عمران: ٥٧].	يكمل
توفَّون	﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].	تكملون
يستوفون	﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ [المطففين: ٢].	يستكملون
أوفوا	﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠].	أَكملوا
أوفى	﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١].	أكمل
وُفَّتْ	في الحديث "كلّما قرصت وَفَتْ".	تمت

فمَن تأمل في هذه الكلمات القرآنية المشتقة من مادة "الوفاء"، وعلى أوزان مختلفة، يطلع على هذه الحقيقة الواقعية بأن مشتقات الوفاء والتوفي تستعمل لغير ذي روح أيضاً، ولا تصور لوجود الحياة أو وقوع الموت أو

حدوث النوم هناك، وإنّما تدل (هذه المشتقات) على "الإتمام" و"الإكمال" و"الاستيفاء"، والأخذ وافيًا، والقبض تماماً فقط، نعم! إذا كان "التوفي" لذي روح الذي يتصور فيه الحياة والموت والنوم، والرفع لا بد من وجود أمر زائد سوى التوفي، ليزداد المعنى، ويتعدى من القبض التام، ويتعين مدلول "التوفي" حسب القرينة، فيدل التوفي مع قرينة الموت على إماتة المتوفَّ، ومع قرينة النوم إنامة المتوفَّ، ومع قرينة "الرفع" رفع المتوفَّ، وهذا الجدول يشرح لنا ذلك.

الجدول المشترك لتوفي غير ذي روح، ولذي روح مع الأمثلة:

"التوفي": - قبض تام فقط للمتوفَّى، وبزيادة لفظ يزداد المعنى:			
لغير ذي روح (لا حياة ولاموت).	ولذي روح (جنس) والأنواع الثلاثة له.		
١- توفون أجوركم (القرآن). ٢- توفيت الثمن (اللغة).	توفي الأرواح حين الموت مع إمساكها.	توفي الأرواح حين المنام مع إرسالها.	توفي عيسى عليه السلام مع الرفع بدون قرينة الموت والنوم
١. أخذ المتوفَّ بتمامه.	٢.إماتة المتوفَ.	٣. إنامة المتوفَ.	٤. رفع المتوفَ.
افترق التوفي من الموت والحياة والنوم.	افترق التوفي من الحياة، واجتمع مع الموت.	افترق التوفي من الموت، واجتمع مع النوم والحياة.	اجتمع التوفي مع الحياة و الرفع، ومع النوم على وجه.
١- المتوفِي هو العامل. ٢- المتوفي هو البائع.	المتوفِي هو الله.	المتوفِي هو الله.	المتوفِي هو الله.
١- المتوفَّ "الأجور". ٢- المتوفَّ هو "الثمن".	"المتوفَّ" الميت.	"المتوفَّ" النائم.	"المتوفَ" هو شخص.

مواقع الأمثلة المذكورة في الجدول ومواردها في القرآن الكريم:

مثال توفي غير ذي روح في القرآن: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

مثال التوفي لذي روح (والمتوفى ميت) في القرآن: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

مثال "التوفي" لذي روح (والمتوفى نائم حي) في القرآن: ﴿وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢].

مثال "التوفي" لذي روح، (والمتوفى ليس بميت، ولا نائم، بل هو حيّ، ومرفوع ومطهّر) في القرآن الكريم: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥].

مسك الختام في توفي القرآن:

ذكر القرآن الكريم ثلاثة أحوال لتوفي ذي روح، وله ثلاثة أنواع، أو هي التوفيات الثلاث:

التوفي الأول: توفي الأموات، وهو توفي الأنفس حين الموت مع إمساكها.

التوفي الثاني: توفي النائمين، وهو توفي الأنفس في المنام مع إرسالها.

التوفي الثالث: توفي عيسى عليه السلام بدون ذكر حين الموت وإمساك النفس، وبدون ذكر "في المنام وإرسال النفس"، فهذا المتوفَّ حيٌ غير الميت.

"التوفي" هو الجنس، وتحليل مأصدقاته علمياً:

مفهوم التوفي (أي القبض التام) الصادق على أكثر من ماهية يسمى بـ"الجنس" في محاورات أهل العلم.

أما مأصدقات هذا الجنس، فهي حقائق مختلفة، "الإماتة"، و"الإنامة"، و"الرفع"، وتسمى أنواع التوفي، فلا بد من ملاحظة أمرين في كل ماهية منها، **وهما:**

١) الأمر الجامع (المشترك) بين الماهيات المختلفة.

٢) الأمر المميز (الفاصل) لكل ماهية، أو فصل كل حقيقة.

إذا تأملنا في ماهيات "التوفي" الثلاث المذكورة باعتبار الجزئين المذكورين نحلله كما يلي:

الأمر الأول: الأمر الجامع (المشترك) بين جميع الماهيات، وهو الجنس، فإنه "القبض التام"، وهو جزء التمام المشترك وفق محاورة أهل العلم.

الأمر الثاني: الأمر المميز (الفاصل) لكل ماهية، فهو فصل لكل ماهية به يتميز من أخرى.

فلندرس التوفيات الثلاث على الوجه المذكور.

فنقول:

١- **التوفي الأول**: في القرآن، هو توفي النفس حين الموت والإمساك، فالأمر الجامع أو جزء التمام المشترك، هو "القبض التمام"، والجزء المميز لهذا "التوفي" الذي يفصله من غيره، هو "حين الموت مع الإمساك"، هذا توفي الأموات.

٢- **التوفي الثاني**: في القرآن، هو توفي النفس في المنام والإرسال، فالأمر الجامع أو جزء التمام المشترك هو "القبض التام"، والجزء المميز الذي يفصله من غيره، هو "في المنام والإمساك"، هذا توفي النائمين.

٣- **التوفي الثالث**: هو توفي شخص معين، وهو عيسى عليه السلام، الذي ليس توفيه حين الموت، ولا في المنام، فالأمر الجامع، أو جزء التمام المشترك هو "القبض التام"، أما الجزء المميز لهذا التوفي، أو فصله المميز من توفي الأموات والنائمين، فإنه أكثر من أمر، وتفصيله كالآتي.

الفصل الأول: أنه توفي شخص معين من البشر، وهذا يميزه من توفي عموم البشر.

الفصل الثاني: أنه بلا ذكر قرينة الموت، وهذا يميزه من توفي الأموات.

الفصل الثالث: أنه بلا ذكر قرينة النوم، وهذا يميزه من توفي النائمين.

الفصل الرابع: أنه بلا ذكر أمر يدل على حدوث "التوفي" على وجه الاستمرار، وهذا يميزه من نوع "التوفي" الذي يحدث على وجه الاستمرار.

الفصل الخامس: أن المتوفَّ (أي المقبوض على وحه التمام)، ليس بميت، ولا نائم، بل إنه حيٌ يقظان، قبضه الله كما يليق بشأنه، ورفعه إلى السماء، وهذا يميزه أيضًا من توفي الأموات والنائمين من عموم البشر لوجه مستقل.

الفصل السادس: أن هذا التوفي قد جمع فيه للمتوفَ أمران آخران مسندان إلى الله تبارك وتعالى، وهما: "الرفع" و"التطهير"، وهذا يميزه أيضًا من توفي الأموات والنائمين من عموم البشر لوجه مستقل.

ونحن الآن نعرض في صورة الجدول ما ذكرناه في هذه الأسطر من وجوه "التوفي"، وحالة "المتوفَّى"، و"الجزء التمام المشترك" و"الجزء المميز" لكل نوع من التوفي.

جدول مسك الختام في توفي القرآن:

العدد	حالة المتوفى	الجزء المشترك	الجزء المميز
١	توفي الأموات	القبض التام.	حين الموت والإمساك، لم يجمع للمتوفَّ أي أمر مع توفيه.
٢	توفي النائمين	القبض التام	في المنام والإرسال، لم يجمع للمتوفَّ أي أمر مع توفيه.
٣	توفي شخص مخصوص هو عيسى عليه السلام الحي، واليقظان بلا قرينة موت وبلا قرينة نوم.	القبض التام.	١) توفي شخص معين. ٢) بلا ذكر قرينة الموت. ٣) بلا ذكر قرينة النوم. ٤) خلوه مايدل على حدوث التوفي على وجه الاستمرار. ٥) المتوفَّ حي يقظان. ٦) جمع للمتوفى الرفع والتطهير مع التوفي.

"الوحدة الثامنة"

❋ بيان حدود الأشياء التي يجب على طالب العلم الاطلاع على كنهها لمعالجة إلحاد الملحدين في آيات الله.

❋ تطبيق البعض منها على "التوفي"

أهمية هذا العنوان:

ليعلم أن هناك بعض المصطلحات الشائعة في محاورات أهل العلم، يجب على طلبة العلم الاطّلاع عليها ودرك كنهها لإفصاح المفاهيم الشرعية والمعارف الدينية الثابتة في أجمل حلتها، كما يخدمهم كثيراً في تأدية واجبهم الشرعي، ألا! وهو حماية المسلمات والردّ على أهل الإلحاد على الوجه المطلوب، وإزالة شبهات أهل الزيغ حول الثوابت الإسلامية بأساليب محكمة.

ويشارك بعض المصطلحات فيما بينها في بعض الجوانب، حينما يتميز كل مفهوم من الآخر في كنهه وحقيقة ماهيته ومأصدقه، فلنبدأ في هذه الوحدة بذكر أهمية الاطلاع على حدود المصطلحات العلمية لدى علماء الأمة.

يقول السيوطي ﷺ في "الإتقان":

"إن الاطلاع على حدود هذه المصطلحات من واجب المفسر، وإلاّ لا يطابق التفسير المفسَّر".

نقول:

إن من إحدى أسباب وقوع الناس في الخلط أو الخطأ عدم الاطلاع على حدود المصطلحات العلمية، وحسب خبرتنا في مجال التدريس وحماية المسلمات نرى أن الاطلاع على كنه هذه المفاهيم أمر ذات أهمية بالغة في فهم وتفهيم، وتلقي وإلقاء المعارف الدينية وشرح النصوص الشرعية، ثم

تطبيقها العملي على مأصدقاتها في الكتاب والسنة، له دور كبير في نشر الحق والصواب وحماية النصوص الشرعية من عبث العابثين ودجل الدجّالين، وأعددنا هذه الوحدة حول حدود بعض المصطلحات المهمة للأغراض الآتية.

أولاً: ترسيخ هذه الحدود في أذهان الطلاب لحد ما يمكن لهم من التطبيق العملي لها على المفردات اللغوية والقرآنية والحديثية التي لم تذكر في مؤلفات الفنون ذات العلاقة بالحدود.

ثانياً: عدم الاطلاع على كنه هذه المفاهيم على وجه البصيرة قد يسبب الاشتباه على الطالب، والتشابه في مدلولاتها، فإفصاحها في هذه الوحدة يجنب طلابنا من الاشتباهاه والتشابه المذكورين.

ثالثاً: حماية المسلمات والثوابت من تشويه أهل الإلحاد بحمل النصوص على غير مراد الله ورسوله وخلاف النقل واللغة والوضع.

رابعًا: يقتضي الردّ على أصحاب الضلال الرسوخ في الحدود، ثم الخبرة الكافية في تطبيقها عملياً لكي يطلع طلبة العلم على مواقع ضلال أهل الإلحاد، والتي لا يطلع عليها إلاّ الخبير المتمكن في هذا الباب، حتى يحمل نص الشارع على محمله الشرعي، ويورده إلى مورده الواقعي، ويرده إلى موقعه الصحيح وفق اصطلاحات القوم.

خامساً: تأهيل طلابنا ليقوموا بأداء واجبهم الشرعي من إفصاح الحكم الشرعي الثابت من الدليل الشرعي.

سادسًا: التيسير على طلابنا واجب الرد على أصحاب الأفكار الباطلة الذين يستعملون النصوص الشرعية لا لخدمتها وتفسيرها وشرحها، بل لإثبات أفكارهم الباطلة، لكي نوقفهم من الاستغلال اللاشرعي للنص الشرعي الغالي والعالي لتحقيق غرض أهل الباطل السافل.

ولقد نبّه الإمام السيوطي رحمه الله تعالى إلى ذلك: حينما أفصح صنيع الفرق الباطلة قائلاً:

"يسلبون لفظ القرآن مما دل عليه، وأريد به، وأنهم يحملونه على ما لم يدل عليه، ولم يرد به، وجاؤوا بتأويل، ليس لهم السلف من الصحابة والتابعين، لا في رأيهم، ولا في تفسيرهم".

ونحن حسب مطالعتنا واطلاعنا على طوائف ضالة، ووفق نظرنا في جهودهم ووجوه استدلالاتهم، وجدنا أنه لا يمكن معالجة فتنتهم، ولا دحض باطلهم بدون الرسوخ في حدود اصطلاحات العلوم.

يقول السيوطي رحمه الله تعالى أيضًا عند ذكر احتياج المفسر إلى بعض الأمور المهمة.

أولاً: التبحر في معرفة لسان العرب.

ثانياً: معرفة أنواع من العلوم.

ومن الأصول ما يدرك به حدود الأشياء، وصيغ الأمر والنهي، والخبر، والمجمل والمبين، والعموم والخصوص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه،

والظاهر والمؤول، والحقيقة والمجاز، والصريح والكناية.

النصح الخالص:

نظراً إلى أهمية شأن الاطلاع على كنه حدود المصطلحات المذكورة ننصح طلابنا أن يبذلوا قصارى جهودهم، ويحركوا أذهانهم، وينشطوا أفكارهم حول ما يلي:

أولاً: التمييز بين مصطلح فن، وبين مصطلح فن آخر.

ثانياً: أن يعرف المصطلح حسب تعبير أرباب الفن.

ثالثاً: يُحمل التعريف على المأصدق الواقعي عند أصحابه.

فالآن ونحن في هذه الوحدة نختار ما يتعلق بموضوعنا "التوفي"، وقد ذكر السيوطي التبحر لطلاب علم التفسير فيها، **وهي كما يلي:**

(١) الخاص، (٢) العام، (٣) الحقيقة والمجاز، (٤) المشترك والمؤول، (٥) الصريح والكناية.

كما نضيف إليها بعض المصطلحات الأخرى لإكمال الإفادة، وهي كما يلي:

(١) الجزئي، (٢) الكلي، (٣) الجنس، (٤) النوع، (٥) الفصل، وما يتبعها، وذلك لإتمام الاستفادة والإفادة.

نبدأ بإفصاح الحدود، ثم نطبق ما يمكن تطبيقه من الحدود على موضوعنا "التوفي"، ومفردات آيات التوفي.

الخاص:

لفظ وضع لمعنىً معلوم، أو لمسمىً لمعلوم على الانفراد.

ويقتضي هذا الحد من الاطلاع على ما يلي في "الخاص":

أ- كون الخاص متحد المعنى، لا متكثر.

ب- كون الخاص معلوم المراد لا مجهوله بحيث لا يحتاج إلى البيان لتعيين مراده.

ج- كون الخاص منفرداً عن الأفراد في وضعه، أي أنه لم يوضع للدلالة على الأفراد.

د- كون الخاص منفرداً عن معنىً آخر في وضعه، أي لم يوضع للدلالة على أكثر من معنىً.

الفرق بين الوضع والصدق:

الوضع هو تعيين اللفظ أزاء المعنى.

نحو: "عيسى عليه السلام" موضوع لشخص معيّن، وهو نبي الله عيسى عليه السلام، وهو المسمى المعلوم المنفرد عن الأفراد.

نحو: "التوفي" موضوع للقبض التام، وهو المعنى المعلوم المنفرد عن الأفراد.

الصدق:

يحمل اللفظ على مأصدقه الواقعي إذا كان الخاص موضوعا للشخص

المعين، فإنه لا يتصور فيه الصدق على الكثرة قطعاً، فهذا يسمى خاص الفرد، كمصداق اللفظ الخاص عيسى عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، ونوح عليه السلام.

وإذا كان لفظ الخاص موضوعًا لمعنىً يصدق ذلك المعنى على أكثر من فرد، نحو: "رسول"، معناه "مُرسَل"، ويصدق على عيسى عليه السلام، ومحمد صلى الله عليه وسلم، ونوح عليه السلام، فهذا الخاص يكون خاص النوع، أو خاص الجنس، وأي فرد هو المراد إنما يتعيّن ذلك بأمر زائد وهي القرينة، فإذا زيد مع الرسول "صاحب التوفي" يكون المراد من "رسول" عيسى عليه السلام.

وإذا زيد مع الرسول "الخاتم" يكون المراد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهكذا القرينة تحدد مراد اللفظ الخاص الذي يصدق معناه على الكثرة.

الصدق على الوحدة، أو الكثرة:

يجب أن يعلم بأنه ينظر في الخاص جانب الوضع فحسب، وينظر فيه إلى جانب الصدق وعدمه، فقد لا يتصور في الخاص الصدق على الكثرة، كالأعلام، فإنها وضعت للمعيّن من الأشخاص وغيرهم، ويسمى مثل هذا الخاص خاص الفرد، مثل "عيسى عليه السلام"، و"موسى عليه السلام "، و"محمد صلى الله عليه وسلم"، فكل منها خاص الفرد.

وقد يصدق معنى الخاص على الكثرة متحدة الأغراض، كرجل، يصدق على كل ذكر بالغ بني آدم، فأفراده متحدة الأغراض، وكرسول: يصدق

على من اصطفاه الله لرسالته، فأفراده متحدة الأغراض، فهذا الخاص يسمى بـ"خاص النوع".

وقد يصدق معنى الخاص على الكثرة مختلفة الأغراض، كالإنسان: معناه "الحيوان الناطق"، وهو يصدق على "رجل" و"امرأة" و"طفل"، فأفراد الإنسان الكثيرة مختلفة الأغراض، فلذا هو جنس عند أهل الأصول.

ومثله "التوفي"، ومعناه "القبض التام"، وهو يصدق على "الإماتة"، وعلى "الإنامة"، وعلى "الرفع"، فمثل هذا الخاص يسمى بـ"خاص الجنس".

فهكذا صارت للخاص ثلاثة أقسام:

(١) خاص الفرد، (٢) خاص النوع، (٣) خاص الجنس.

و"التوفي" من القسم الثالث، فهو خاص الجنس.

ملحوظة:

يجب أن لا ينسى بأن جانب الوضع هو المعتبر والملحوظ في الخاص، أما الصدق، فأمر خارج عن جانب الوضع، فهو ملحوظ في الخاص، فـ"زيد" خاص، ورجل خاص، وإنسان خاص، كل بسبب لانفراد عن الأفراد في الوضع.

حكم الخاص: أنه قطعي في معناه أي يتناول مدلوله حتماً بدون زيادة أو نقصان.

وقطعية الخاص في "التوفي" يقتضي أن يدل "التوفي" على "القبض التام"

حتمًا، لأنه "تفعّل" من مادة "الوفاء"، وهو في اللغة "الاستيفاء"، أو "الأخذ وافياً"، أو "القبض تمامًا".

ومن مقتضيات الخاص أن لا يدل "التوفي" على "قبض الروح"، لأنه يخالف قطعية "الخاص"، وهذا بسبب زيادة "الروح" ونقص التمام في المعنى، والزيادة والنقص يخالف قطعية اللفظ.

نعم! إذا وُجد مع "التوفي" أمر زائد، يزداد المعنى، مثل: توفي النفس، فمعناه قبض النفس على وجه التمام، فإذا زيد أمر آخر وهو "حين الموت"، يزداد معنى اللفظ، وهو قبض الروح وقت الموت، وإذا كان معه "الإمساك"، وهو حبس "المتوفِّي" النفس عنده، وعدم إرسالها إلى صاحبه، ويكون قبض النفس تمامًا عند الأجل، فقبض النفس حينئذ إماتة أصحابها، مثل قوله تعالى: "الله يتوفى الأنفس حين موتها" ..... فيمسك"، ومجموع اللفظ، معناه: الله يقبض الأرواح البشرية وقت موتها، فيحبسها، ويلزمه إماتة أصحاب النفوس، ودلالة اللفظ على لازم المعنى تسمى بـ"الكناية" عند أهل العلم، فلذا أن النص القرآني المذكور بلفظه كناية عن الإماتة، ومثل ذلك نقول: في الإنامة والرفع، فهكذا استفدنا من حد الخاص في موضوعنا "التوفي"، فلله الحمد والمنة.

٢) العام (ألف):

لفظ وُضع لمعنًى ينتظم جمعًا من الأفراد، وهذا الحد يقتضي في "العام" ما يلي:

أ– كون العام متحد المعنى، لا متكثره.

ب– كونه معلوم المراد، لا مجهوله.

ج– كون وضعه للأفراد، فلا انفراد في العام، وهذا يميزه من الخاص.

د– كونه مشتملاً على الأفراد، أي يعمّها كلها إذا أطلق، وهذا يميزه من المشترك الذي لا يعم معانيها.

ومثال العام في موضوعنا: "الأنفس"، "الأرواح"، "الرسل"، "مَن"، "مَا".

٢) حكم العام (ب):

هو مثل الخاص قطعي الدلالة، أي يتناول مدلوله حتمًا إلاّ أن يكون مخصوص البعض.

ملحوظة: ليس "التوفي" من العام، لأنه وضع لمعنى معين على الانفراد، أما صدقه على الكثرة، فلا يُدخله في العام، لأن جانب الصدق غير ملحوظ، والمعتبر جانب الوضع في الخاص والعام كليهما.

٣) الحقيقة والمجاز:

الحقيقة: إذا استعمل اللفظ للمعنى الموضوع له، فهو "حقيقة"، كلفظ "الأسد" للمفترس من الحيوان.

المجاز: إذا استعمل اللفظ لغير ما وضع له، فهو "مجاز"، كلفظ "الأسد" للرجل الشجاع.

ويلاحظ في المجاز ما يلي:

أ- يصرف اللفظ من المعنى الموضوع له إلى غيره، ويقع ذلك إذا استحالت الحقيقة.

ب- لا بد من وجود قرينة لفظية أو غير لفظية، صارفة ومانعة، أي تصرف اللفظ إلى المجاز، وتمنعه من إرادة الحقيقة.

ج- لا يستعمل اللفظ في الحقيقة والمجاز معًا، أو يقال لا يكون الحقيقة والمجاز مرادين معاً.

ملحوظة: ليس "التوفي" من قبيل الحقيقة والمجاز.

٤) المنقول:

لفظ وضع لمعنىً وتُرك استعماله فيه، ونُقل منه إلى معنىً آخر، واشتهر فيه، كلفظ "الصلاة"، فهو للدعاء وضعًا، لكن نقل منه إلى عبادة مخصوصة.

وينقسم "المنقول" حسب الناقل إلى ما يلي:

أ- منقول شرعي: إذا كان الناقل الشرع، كـ"الصلاة"، و"الصوم"، و"الحج"، و"الزكاة"، فلها المعاني الوضعية، وقد نقلها الشارع إلى مفاهيم شرعية مخصوصة، حتى ولا يُقصد عند الإطلاق إلاّ هي.

ب- منقول اصطلاحي: إذا كان الناقل أهل فن مخصوص، كـ"النحاة" و"الأصوليين" و"المناطق"، فعندهم مصطلحات مخصوصة، ولديهم مدلولاتها في فنونهم، كالفاعل والمفعول،

والمبتدء لها معاني وضعية ومدلولات عند النحاة، ومن لا يراعي هذا الجانب للّفظ لا يدل مدلوله حتى وقد يختلط عليه بعض الأمور الشرعية، نحو: "التوفي" وغيره.

ج- **منقول عرفي**: إذا لم يكن الناقل شرعًا، ولا اصطلاحاً، فهو منقول عرفي، كلفظ "الدابة"، أنه موضوع لكل ما تدبُّ على الأرض، لكن يفهم في العرف المركب أي "ما يركب عليه".

ملحوظة:

ليس "التوفي" من قبيل "المنقول".

٥) المشترك:

لفظ وضع لأكثر من معنىً ابتداءًا، مثل لفظ "العين" موضوع لباصرة والذهب والمنهل وغيرها.

فهذا الحد للمشترك يقتضي ما يلي:

أ- كون المشترك متكثر المعنى من حيث الوضع لا موحده.

ب- كون معانيه كلها حقيقية، فلا اشتراك بين معنيين أحدهما حقيقة، والآخر مجازٌ، كالخاتم للأخير في آية خاتم النبيين حقيقة، و"الخاتم" في كلام الناس "فلان خاتم المحدثين" بـ"الأفضل" مجازاً، فلا يصح لقائل أن يقول: "إن الخاتم مشترك بين الآخر والخاتم"، وهذا من دجل القاديانية ومحاوريها عبر وسائل إعلامها أنهم يقولون بأن "الخاتم"

مشترك بين "الأخير" و"الأفضل".

ملحوظة: الانتباه إلى هذا الأمر من أهم واجبات أهل العلم.

ج- يدل المشترك على المعنى الواحد فقط، ولا يشمل المعاني كلها، وبهذا يتميّز المشترك من العام لأنه يشمل أفراده الموضوع لهم كلها.

د- إذا تعيّن أحد معانيه مرادًا به سقط اعتبار إرادة غيره.

مثال المشترك: "الخاتم" وضع للمعاني الآتية، وهي (١) ما يتختم به أي في الإصبع، (٢) فصه، (٣) المهر، (٤) نقشه، (٥) نقرة القفا، (٦) وضح القوائم، (٧) والأخير.

ملحوظة: ليس "التوفي" من قبيل "المشترك".

٦) المؤول:

هو الذي ترجح من معاني المشترك كـ"الأخير" من معاني "الخاتم" في آية "خاتم النبيين"، ترجح بأدلة شرعية كثيرة، فإن "الخاتم" مؤول بالأخير.

فالمؤول يلاحظ فيه ما يلي:

أ- النظر في اللفظ ومعانيه الوضعية.

ب- النظر في ما يحتمله اللفظ من معانيه.

ج- دليل ما ترجح عند المتأمل من معانيه حسب الموقع.

مثال المؤول: كـ"الأخير" في آية "خاتم النبيين" ترجح بأدلة شرعية واضحة.

ملحوظة:

ليس "التوفي" من قبيل "المؤول".

٧) الظاهر:

"الظاهر" اسم لكل كلام، ظهر مراده للسامع بنفس السماع من غير تأمل، ويقابله "الخفي"، ونذكر مثاله فيما بعد.

٨) "الخفي":

"الخفي" هو ما خفي مراده.

وهذا الحد يقتضي في "الظاهر" ما يلي:

أ- أن يكون الظاهر ما تبادر من معنى اللفظ عند الإطلاق.

ب- يُجوّز العقلُ فيه احتمال غيره، لكن لا ينظر إليه إلاّ بدليل، فإنه يسقط إذا كان بلا دليل.

ج- لا يعدل الكلام عن الظاهر إلاّ بتأويل، وهو صرف اللفظ عن ظاهره لدليل.

مثل قوله تعالى: "أحل الله البيع وحرّم الربى"، فهذا ظاهر في حل البيع، وحرمة الربى، وقد علما بنفس السماع.

المقارنة بين الصريح والظاهر:

الصريح: دلالة اللفظ على معناه، ويقابله الكناية، وهو دلالة اللفظ على لازم معناه، فظهور الصريح بيّنٌ، أي تامٌّ، وقد يكون الصريح من

الحقيقة، وقد يكون من المجاز.

مثال الصريح من الحقيقة: "بعتُ" و"اشتريتُ".

ومثال الصريح من المجاز: "أكلتُ من هذه الشجرة"، أي من ثمرتها.

ما الفرق بين الظاهر والصريح:

الفرق بين الظاهر والصريح هو أن الظهور في الصريح يكون بيّنًا، أي تامًا، أما الظاهر: ففيه مجرد الظهور (بدون قيد التمام).

أمثلة الصريح:

نحو: "التوفي" صريح في "القبض التام".

و"الميت" صريح في مَن فارق روحه جسده.

و"الحي" صريح في مَن وجد روحه في جسده.

و"الرفع" صريح في النقل من الأسفل إلى الأعلى.

و"المتوفِّي" صريح في القابض على وجه التمام.

و"المتوفَّى" صريح في المقبوض على وجه التمام.

إلى هنا وقد ناقشنا "الظاهر" و"الصريح" علماً بأن "التوفي" صريح في "القبض التام".

الكناية:

الكناية لغةً: الاستتار، والكناية عند علماء البلاغة: لفظ أطلق، وأريد

به لازم معناه مع جواز إرادة معناه.

وللوصول إلى لازم المعنى لا بد من قصد المتكلم، ووجود قرينة صارفة من معنى اللفظ إلى لازمه، ومانعة من إرادة معناه.

مثل: "فلان طويل القميص"، فيلزمه طُول قامته، و"فلانٌ كثير الرماد"، يلزمه كثرة ضيافته، وكرمه، **ومثل:** "توفي الله الأنفس حين الموت"، يلزمه "إماتة المتوفَّ من الأنفس"، و"توفي الله الأنفس في المنام"، يلزمه "إنامة المتوفَّ من الأنفس"، ومثل "توفي الله عيسى عليه السلام مع رفعه وتطهيره"، يلزمه رفع عيسى عليه السلام، فهذه كلها أمثلة الكناية.

ويلاحظ في الكناية ما يلي:

أ- أن يكون معنى اللفظ غير ما يُكنى به.

ب- أن يكون المكنى به لازمًا للفظ (المنطوق).

ج- لا بد من وجود قرينة المعنى المراد الذي قصده المتكلم.

د- لا يمكن الوصول إلى المعنى الكنائي بدون القرينة اللفظية أو الحالية.

هـ- يحدد القرينة مراد اللفظ الكنائي، ومقصود المتكلم منه.

المقارنة بين الصريح والكناية:

الصريح من اللفظ ما يدل على معناه، ولا يحتاج إلى إرادة المتكلم وقصده، ولا إلى أمر زائد لتحديد المراد ومدلوله، لأن اللفظ يدل على معناه (الوضعي) بنفسه بدون قصد، وبلا نية من المتكلم، وبدون وجود

قرينة لفظية، أو غير لفظية، ولا يحتاج إلى إسناده إلى فاعل مخصوص، أو مفعول مخصوص إن كان فعلاً، كما زعمت القاديانية باطلاً في "التوفي" بأنه يدل على قبض الروح إذا كان الفاعل هو الله، والمفعول ذا روح، ولا يوجد قرينة النوم والليل.

أمّا الكناية: فهو "لازم معنى اللفظ" غير معناه الوضعي، ويُحتاج في الكناية إلى قصدٍ من المتكلم، وإلى أمر زائدٍ آخر، وهو "القرينة" لصرف اللفظ من معناه الوضعي إلى لازم المعنى الذي هو المقصود للمتكلم من لفظه، فالمراد والمقصود في الكناية يكون مستوراً، واللفظ المنطوق ساتراً له، أما في الصريح، فالمراد ظاهر وبيّن.

فإذا قال المتكلم "فلان طويل القميص"، فدلالته على طول قميص فلان صريحٌ، فإنه معنى اللفظ، أمّا إذا قصد به طول قامته، فهو لازم معنى اللفظ، فهي الكناية، تحتاج إلى قصد من المتكلم ومع القرينة.

إفصاح المجاز أكثر لغرض مهم:

"**المجاز**" **لغةً:** الطريق.

واصطلاحاً: استعمال اللفظ في معنى غير الموضوع له، لمناسبةٍ بين المعنى الأصل والمستعمل فيه، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصل، كالقرية لأهل القرية، وكالأسد للرجل الشجاع.

الاشتراك بين الكناية والمجاز:

يكون المقصود في الكناية غير المنطوق بقصدٍ من المتكلم مع وجود

قرينته، والمقصود في المجاز أيضاً غير المعنى الأصل للللفظ بقصد من المتكلم، ومع قرينته، فهما أي الكناية والمجاز، يشاركان إلى هنا.

الفصل بين الكناية والمجاز: فهو كما يلي:

يصح في الكناية إرادة معنى اللفظ أيضًا، فمَن قصد من "طول القميص" طول القامة كناية، يصح له إرادة طول القميص تبعًا، لأن المتكلم لم يقصد من اللفظ معناه (الأصل)، بل قصد (من المنطوق) لازمه.

أما المجاز: فلا يصح فيه إرادة معنى اللفظ الأصل، فمَن قصد من الأسد، "الرجل الشجاع"، وهو المعنى المجازي، لا يجوز له إرادة "الحيوان المفترس" أصلاً.

٩) المطلق:

ما دل على الحقيقة بلا قيد، مثل "التوفي" بلا قيد "حين الموت"، أو "في المنام" ليدل على "القبض التام" فحسب.

١٠) المقيد:

ما دل على الحقيقة بقيدٍ، مثل التوفي "حين الموت" دلالته على الإماتة، والتوفي "في المنام" دلالته على الإنامة.

١١) المحكم:

ما عُرِفَ المراد منه، أو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً.

١٢) المتشابه:

ما استأثر الله بعلمه، أو ما احتمل أكثر من وجه،

١٣) المجمل:

لفظ يحتمل أكثر من معنىً، لا أحد أرجح من الآخر.

١٤) المبين:

اللّفظ الدالّ على معنى بعد التبيين.

وعندما نطبق هذه الحدود على التوفي نجد أن "التوفي" هو خاص، وإنه يستعمل مطلقاً ومقيداً، كما يستعمل صريحاً ليدل على "القبض التام"، وكنايةً ليدل على "الإماتة"، أو "الإنامة"، أو "الرفع".

وليس التوفي من قبيل الحقيقة والمجاز، ثم التوفي لصدقه على حقائق مختلفة، فهو مفهوم كلي.

لماذا اختيير أسلوب الكناية في التوفي؟

إن الكناية من أقوى أساليب البيان، وأعظم مظهر من مظاهر البلاغة، والمعروف عند البلاغيين، "إنّ الكناية أبلغ من التصريح"، والسر في ذلك أن في الكناية عرض أمر يصحبه دليله، أو عرض قضية وفي طيها برهانها.

فمَن كني بـ"الحي" "العَالِم"، فقد ذكر دليل حياته، وهو العلم، ومَن كني بـ"الميت" "الجاهل"، فقد ذكر دليل موته، وهو الجهل، ومَن كني بـ"طول القميص" طول القامة، فقد ذكر دليل طول القامة، وهو طول القميص، فمَن كني بـ"كثرة الرماد" الكرم، فقد ذكر دليله، وهو كثرة الرماد، ومن قصد

من "التوفي حين الموت" الإنامة، فقد ذكر دليل "الموت"، وهو حين الموت، لأن القبض التام حين الموت دليل الإماتة، ومن قصد من "التوفي في المنام" "الإنامة"، فقد ذكر دليله، فإن القبض التام في المنام دليل الإنامة، ومن قصد من "التوفي" عند قوله جل وعلا: "رافعك إليّ" رفع عيسى عليه السلام، ذكر دليله، وهذا هو السرّ في الكناية الذي جعلها أقوى أساليب البيان، ونحن نعرض الآن بعد الأمثلة القرآنية التي لها دلالاتها الكنائية، ليظهر القوة البيانية لهذا الأسلوب.

الأمثلة القرآنية في دلالة الألفاظ على المعاني الكنائية:

يكثر وجود أسلوب الكناية في المجتمعات البشرية، وفي جميع ألسنتها، كما توجد الكناية في كلام الله عز وجل باجماع أهل العلم، والغرض من ذلك قوة التعبير للمعنى المراد بسبب شمول الكناية على أمر ودليله، أو بشمولها على قضية وبرهانها والحكم ودليله.

ولقد أشار السيوطي في "الإتقان" إلى مواقع الكناية في القرآن الكريم[1] عند بيان حكمة هذا الأسلوب، ومنها قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ**﴾ [الأعراف: ١٨٩]، قوله تعالى: ﴿**نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ**﴾ يكنى بها عن آدمَ عليه السلام، فلم يقل الله عزَّ وجلَّ هو الذي خلقكم من آدم، بل كنى عنه بـ"نفس واحدة"، ولا شك أنّه أقوى في التعبير، لبيان قدرة الله عزّ وجلّ على خلق عموم البشر، ونشرهم في الدنيا بالعدد الكثير من نفس واحدة.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: (١٥٩/٣).

كما ذكر مثالا آخر للكناية، في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]، فالغشيان كناية عن المباشرة والجماع، ولا شك أنّ الغشيان أبلغ من ذكر الجماع صراحةً، وأجملها في هذا المقام من حيث التعبير.

وذكر مثالاً آخر للكناية، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ﴾ [الزخرف: ١٨]، كنى به عن النساء، فإنّهنّ ينشأن في الترف والتزيُّنِ، ولا شك أنّ التعبير الكنائي هذا أقوى من الصريح لبيان المقصود.

فالأمور التي يجب الاطّلاع عليها في باب الكناية هي الآتية:

أولاً: يجب أن يعلم بأنّ مدلول اللفظ الكنائي في الكناية يكون هو مقصود المتكلم لا معنى اللفظ الوضعي.

ثانيًا: يكون مقصود المتكلم لازمَ معنى اللفظ، لا معنى اللفظ.

ثالثًا: معنى اللفظ أمر مستقل، ولازم معناه أمر آخر مستقل، ولا يكونان أمراً واحداً.

رابعاً: يسمى لفظ الكناية بـ"المكنى به" عند البلاغيين، كلفظة "كثير الرماد" و"طويل القميص" في المثالين المذكورين.

خامسًا: يسمى مقصود المتكلم أو المعنى الكنائي في باب الكناية، بـ"المكنى عنه"، نحو "الكرم" في كثير الرماد، و"طول القامة" في طويل القميص.

سادسًا: الأمر الذي يصرف اللفظ عن معناه إلى لازمه، يسمى

بـ"القرينة"، نحو "حين الموت والإمساك" في "توفي موت"، و"في المنام والإرسال" في "توفي نوم"، و"رافعك إليّ" في "توفي الرفع".

وقد تكون القرينة لفظية، وقد تكون غير لفظية، فحينئذٍ يشهد مورد الكلام، أو حالة المتكلم بأن مقصود المتكلم إنما هو لازم المعنى، لا معنى اللفظ، إلى هنا وانتهي بيان ما ذكر السيوطي رحمه الله من حدود المصطلحات التي يجب الاطلاع عليها لطلبة العلم في تفسير القرآن الكريم، والآن نبدأ بذكر ما أشرنا إليه من الحدود الأخرى.

الجزئي:

مفهوم يمتنع فرض صدقه على كثيرين، **مثل:** "عيسى"، و"محمد"، و"علي"، هي مفاهيم كلها جزئيات.

الكلي:

مفهوم لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين، **نحو:** رجل، إنسان، و"التوفي".

ملحوظة:

يلاحظ في بابَي الجزئي والكلي إلى صدق المفهوم، وعدم صدقه، فقد يكون المفهوم خاصاً، وهو غير موضوع للأفراد، ويكون كلياً بسبب صدقه على الكثرة، مثل: نبيٌ ورجلٌ، و"التوفي" من هذا القبيل.

المفهوم الكلي نظرًا إلى مأصدقه نوعان:

١- ما يصدق على الكثرة المختلفة الحقيقة، ويسمى بـ"الجنس"، فالواقع تحت الجنس ماهيات متعددة كلها كليات.

٢- ما يصدق على الكثرة متحدة الحقيقة، ويسمى بـ"النوع"، فالواقع تحت النوع أفراد كثيرة كلها جزئيات.

مأصدقات الجنس وتحليلها:

إذا تأملنا في مأصدقات الجنس نجد أنها ماهيات متعددة الحقائق عند المناطق، ولأغراض عند الأصوليين كما نجد أن كل ماهية منها يتركب من جزئين.

فالجزء الأول: هو أمر جامع، أو جزء مشترك بين جميع الماهيات، ويسمى هذا الجزء المشترك بـ"الجنس"، أو جزء الماهية التمام المشترك، كالحيوان، فإنه مشترك بين الإنسان والفرس والحمار.

الجزء الثاني: هو أمر مميز لكل ماهية من مشاركاتها في الجنس، ويسمى هذا الجزء المميز بـ"الفصل"، أو جزء الماهية المميز، كالناطق للإنسان، والصاهل للفرس، والناهق للحمار.

إلى هنا وقد أوردنا حدود بعض المفاهيم التي يجب الاطّلاع عليها لطلاب العلم، والآن ندرس مفهوم "التوفي" في ضوء حدود المصطلحات المذكورة.

دراسة التوفي في ضوء الحدود المذكورة:

ندرس الآن مفهوم "التوفي" في ضوء حدود المصطلحات.

فنقول، وبالله التوفيق!:

"التوفي" ومعناه في اللغة "القبض التام"، وهو مفهوم يصدق على ماهيات متعددة من القبض التام، إنه يصدق على "الإماتة"، وعلى "الإنامة"، وعلى "الرفع"، إذاً هو "الجنس".

ومثل "النبي" معناه من اختاره الله لمنصب النبوة، فكيف يتعين الفرد المراد؟ لا بد من قرينة، فالنبي الجنس، تحته نوعان، نبي تشريعي، وغير تشريعي، ثم النوع الأول نبي تشريعي تحته جزئيات، فإذا قلنا النبي صاحب "التوراة"، يتعين أنه موسى عليه السلام، وصاحب "الإنجيل" ، أو التوفي يعين أنه عيسى عليه السلام، والنبي الخاتم يعين أنه المراد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويجب أن يعلم أن الجسن التوفي الصادق على الماهيات المتعددة أن لكل ماهية صدق عليها معنى التوفي أي القبض التام جزءان، (١) جزء مشترك، (٢) جزء مميز، وكل ماهية من مأصدقات التوفي تشارك أخرى في الجزء المشترك، ألا! وهو "الجنس"، أي "القبض التام"، كما أن كل ماهية منها تتميز من أخرى بجزء مميز لها، ألا! وهو "الفصل".

إذا صدق "التوفي" الجنس في القرآن الكريم على ماهيات ثلاث، وهي: ١) "الإماتة"، ٢) و"الإنامة" ٣) و"الرفع"، فلنحلل الآن كل ماهية، ونحدد الجزء المشترك والجزء المميز لكل ماهية، ونقول:

المأصدق الأول أو الماهية الأولى للتوفي: "الإماتة":

وهي "توفي الأنفس حين الموت مع إمساكها"، وهذا المأصدق هي "الإماتة"، فالجزء الأول لها "التوفي" أي القبض التام، والجزء الثاني لها "حين الموت والإمساك"، فهذا تمام هذا ماهيته النوع الأول للتوفي، ثم الإماتة أمر كلي، وأفراده الكثيرون متحدة الحقيقة، وهم الأنفس البشرية عند توفيها حين الموت مع الإمساك، ولفظ "الأنفس" عام وُضع لينتظم جمعًا من الأفراد.

المأصدق الثاني أو الماهية الثانية: "الإنامة":

وهي "توفي الأنفس في المنام"، فإن الجزء المشترك للإنامة هو "التوفي"، أي القبض التام، والجزء المميّز لها "في المنام مع الإرسال"، هذا تمام ماهية هذا النوع، ثم "الإنامة" أمر كلي، وأفراده الكثيرون، هم الأنفس البشرية عند توفيها في المنام مع الإرسال، ولفظ "الأنفس" عام وُضع لينتظم جمعًا من الأفراد.

المأصدق الثالث أو الماهية الثالثة: "الرفع":

"الرفع" هو نقل المرفوع من الأسفل إلى الأعلى، وهو النوع الثالث للتوفي، ولا شك إن "الرفع" مفهوم كلي أيضًا، فالجزء المشترك هو "التوفي"، أي القبض التام، والجزء المميّز هو "الرفع"، أي النقل من الأسفل إلى الأعلى، فهذا تمام ماهية النوع الثالث، و"الرفع" أمر كلي، لا يمتنع فرض

صدقه على كثيرين، لكن ليس له في الوجود إلاّ فرد واحد، وهو عيسى عليه السلام.

مفاهيم كلية وأقسامه:

ليعلم أيضًا أن هناك من المفاهيم الكلية، لها عدة أقسام.

١) ما يمتنع وجوده، كشريك الباري جل وعلا.

٢) ما يمكن وجوده، ولا يوجد، كالعنقاء.

٣) يوجد له فرد واحد فقط، كالشمس.

وتوفي الرفع من هذا القبيل، ولا يخفى هذا على من لديه شيء من الإدراك لحدود المصطلحات، فالحمد لله على أننا أفصحنا هذا الأمر حتى لا يقول قائل: إن النوع الثالث أو المأصدق الثالث للتوفي ليس بأمر كلي لأن له فرد واحد في الوجود، ووجود الفرد وعدمه لا يخرج المفهوم الذي لا يمتنع فرض صدقه على كثيرين، من كونه أمراً كلياً إن لم يوجد له أي فرد، أو وجد له فرد واحد فقط، إذا العبرة في هذا الباب لفرض الصدق وهو تجويز العقل، لا للوجود.

إلى هنا وقد قمنا بدراسة "التوفي" من حيث مأصدقه أو صدقه على الكثرة المختلفة الحقيقة، ومن حيث وجود أفراده، فللّه الحمد والمنة على هذا التوفيق الغير المسبوق في البيان والإفصاح.

التحليل المزيد وتكرير بيان الجزئين المشترك والمميز:

نكرر إفصاح أنواع التوفي الثلاث، ونحدد الجزء المشترك والجزء المميز لكل نوع حتى يتثبت في أذهان الناشئين.

نوع التوفي الإماتة: فجزءه المشترك، هو "القبض التام"، والجزء المميز "حين الموت فالإمساك".

نوع التوفي الإنامة: فالجزء المشترك هو "القبض التام"، والجزء المميز "في المنام فالإرسال".

نوع التوفي الرفع: فالجزء المشترك هو "القبض التام"، والجزء المميز لهذا التوفي، و"فصله" أكثر من أمر، وهي كما يلي:

المميز الأول: أو فصله الأول، أنه توفي شخص معين.

المميز الثاني: أنه ذُكر بصيغة "اسم فاعل"، "متوفٍ" (غير حادث على وجه الاستمرار).

المميز الثالث: لم يذكر بصيغة "يتوفى" الدال على الحدوث بالاستمرار.

المميز الرابع: خلوه من ذكر قرينتي الموت والنوم.

المميز الخامس: اختير لبيانه أسلوب الصريح (على أرجح الوجوه).

المميز السادس: جمع للمتوفَّى أمران، هما "الرفع" والتطهير مع توفيه.

المميز السابع: ليس له في الوجود إلا فرد واحد، وهو عيسى عليه السلام.

محصل التحليل:

لا يجوز لأحد أن يستدل من هذا التوفي الخاص على إماتة هذا المتوفَّ، وذلك لعدم وجود قرينة الإماتة، ولا على نوم هذا المتوفَّ لعدم وجود قرينة الإنامة، كما لا يجوز لأحد أن يقيس هذا التوفي على توفي عموم البشر أي "الإماتة"، أو "الإنامة"، الحادث كل منهما ليل ونهار على عموم البشر وذلك للوجوه المذكورة، بل إنه توفي عيسى عليه السلام الخاص بقبضه بالجسد والروح حيًا، غير نائم مع رفعه إلى السماء، وتطهيره من منكريه بإيصاله إلى مكان لا يتناوله أيديهم الدنسة.

فلذا من حمل من أهل الإسلام هذا التوفي، وقوله جلّ وعلا: "متوفيك" على "مميتك" صرّح بقرينة "الإماتة"، وهو وجود توفي الإماتة بعد نزول هذا المتوفى أي عيسى عليه السلام من السماء عند مجيء أجله.

ومن حمل هذا التوفي، وقوله جلّ وعلا: "متوفيك" على منيمك صرّح بقرينة "الإنامة"، وهي حالته، أي أن حالة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء تقتضي ذلك.

ولم يحمل أحد من المسلمين "متوفيك" على الإماتة التي قد وقعت، ولا على الإنامة التي قد حصلت لشخص آخر هو غير مرفوع إلى السماء، وهو غير مطهر من الأعداء.

ومن أجل ذلك لم يحمل أحد "توفيتني" الوارد بصيغة الماضي على "أمتني"، أي على موت عيسى عليه السلام الذي حصل وقوعه في قوله

تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ {المائدة: ١١٧}، لكون {توفيتني ألخ} جواب عيسى عليه السلام عن توفيه الخاص به، وهو التوفي الثالث، أي "الرفع إلى السماء"، وعدم وجود عيسى عليه السلام في القوم بسبب ذلك التوفي الخاص، فلذا لم يفسر أحد "توفيتني" بـ"أمتني".

وبهذا الإفصاح قد قمنا باستئصال خلط القاديانية في باب التوفي.

المقارنة بين التوفيات الثلاث:

نقول: إن كلمة "الأنفس" لفظ عام، يشمل عموم أفراد البشر، فتوفي الله إياهم قد ورد في كثير من آيات القرآن، أما توفي الله عيسى عليه السلام الخاص فقد ورد في آية "آل عمران"، وفي "المائدة"، فلنبدأ الآن بالمقارنة فيما بين التوفيات الثلاث.

فنذكر أولاً: المقارنة بين توفي عموم البشر بنوعيه الإماتة والإنامة:

يشارك نوعا التوفي "الإماتة" و"الإنامة" في بعض الأمور، كما تميز كل منهما من الآخر في أمور.

الأمر المشترك الأول: كونها توفي عموم البشر.

ثانياً: اشتراكهما في صيغة بيان التوفي، وهو "يفعل"، أي "يتوفي" الفعل المضارع الدال على حدوثهما بالاستمرار.

ثالثاً: اشتراكهما في أسلوب البيان، أي ذُكر النوعان على وحه الكناية.

رابعًا: اشتراكهما بذكر قرينتيهما اللفظية، أي قرينة الموت والنوم.

خامساً: اشتراكهما في تخصيص أمر واحد للمتوفَّى، وهو توفيه فحسب لا غيره، (أي لا الرفع، ولا التطهير).

المميز لتوفي الإماتة قرينة الموت.

والمميز لتوفي الإنامة قرينة النوم.

أما التوفي الخاص: فإنه يشاركهما في أمر جامع، وهو "القبض التام"، ويفارقهما في فصوله المذكورة كلها، فللّه الحمد والمنة على هذا الأسلوب لإفصاح "التوفي" غير مسبوق الإفصاح بفضل الله.

"الوحدة التاسعة"

إفصاح كذب الميرزا القادياني

ودجله في تحقيق لفظ "التوفي"

مع إثبات ما هو الحق حسب اللغة والواقع القرآني

في "التوفي"

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الرسل وخاتم النبيين، سيدنا ونبينا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد!

يقول الله عزّ وجل: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ويقول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر: ٤٢].

عقيدة الأمة المسلمة في ضوء تحقيق لفظ "التوفي":

إن عقيدة الأمة المسلمة في توفي عيسى عليه السلام هو رفع الله عزّ وجل إياه إلى السماء، حينما كان محاطاً بين أعدائه ومنكريه، ويدل على ذلك قول الله جلّ وعلا: **﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]**، فكان مكر أعدائه سعيهم لقتله وصلبه، ومكر الله عزّ وجلّ تخليصه منهم، وإنجاءه، وإبقاءه حيا في السماء إلى مدة لا يعلمها إلاّ الله، ثم إنزاله منها إلى هذا العالَم ثانية وفق حكمته سبحانه وتعالى، وقد غلب مكر خير الماكرين العزيز الحكيم على مكر أعداء عيسى عليه السلام، وذكر القرآن الكريم مظهر مكر خير الماكرين في قوله تعالى: **﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [آل عمران: ٥٥]**، كما ذكر المفسرون المسلمون في تفسير هذه الآية، فتوفي عيسى عليه

السلام بهذا المفهوم كان معروفاً بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ومن ثم قال عمر رضي الله عنه عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، "إنما رُفع كما رُفع عيسى بن مريم"، فكان هذا ولا زال مفهوم توفي عيسى عليه السلام مسلَّماً لدى الأمة المسلمة منذ عهدها الأول، وليس توفي عيسى عليه السلام توفي موت، ولا قبض روح الذي يتحقق بالموت.

ماهو تحقيق الميرزا في التوفي وإلى مإذا وصلت القاديانية في هذا الباب؟:

يقول الميرزا في "التحفة الغولروية" المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٧/١٦٢:

"وقد سلّمت هذه القاعدة في علم النحو على الوجه الصريح بأن لفظ "التوفي" إذا كان فاعله هو الله، والمفعول به الإنسان، يكون معنى التوفي دائما في مثل هذا المقام بمعنى "الإماتة" و"قبض الروح".

النص الأردي:

"اور علم نحو میں صریح یہ قاعدہ مانا گیا ہے، کہ "توفی" کے لفظ میں جہاں خدا فاعل اور انسان مفعول بہ ہو، ہمیشہ اس جگہ "توفی" کے معنی "مارنا" اور "روح قبض کرنے کے آتے ہیں".

ويقول أيضًا في "أيام الصلح" المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٤/٣٨٤.

"هذا هو المكتوب في جميع كتب اللغة بأن الفاعل إذا كان هو الله، والمفعول به أي إنسان..... فلا يكون المراد منه إلاّ "قبض الروح" و"الإماتة".

النص الأردي:

"تمام لغت کی کتابوں میں یہی لکھا ہوا ہے کہ جب خدا تعالی فاعل ہو، اور کوئی انسان مفعول بہ ..... تو بجز روح قبض کرنے اور مارنے کے اور کوئی معنے نہیں لئے جاویں گے".

يقول الميرزا في "وفاة المسيح الناصري" صـ:

"التوفي" مصدر باب "التفعّل"، فإذا ورد أي من مشتقاته في أي موضع من القرآن الكريم، وكان الفاعل هو الله، أو الملائكة، أو كان بصيغة المجهول، ويكون الغائب المفعول إنساناً، فلا يراد من "التوفي" إلاّ "قبض الروح"، لا غيره، ويكون قبض الروح ذلك عن طريق الموت، سوى الموضع الذي وُجد فيه قرينة الليل أو النوم"، فهناك قرر "قبض الروح" النوم فحسب".

النص الأردي:

"لفظ توفی باب تفعل کا مصدر ہے، سو قرآن کریم میں جہاں کہیں بھی اس کا کوئی مشتق استعمال ہوا ہے جب اللہ تعالی یا ملائکہ اس کا فاعل ہوں یا صیغہ مجہول ہو اور غائب مفعول اس کا انسان ہو تو سوائے قبض روح کے اور کوئی معنی نہیں اور وہ قبض روح بذریعہ موت ہے، سوائے اس مقام

کے کہ جہاں لیل یا منام کا قرینہ موجود ہو تو وہاں قبض روح کو نیند ہی قرار دیا گیا ہے—بہر حال قبض جسم کسی جگہ بھی مراد نہیں".

تحدى الميرزا:

يقول الميرزا متحدياً في "إزالة الأوهام" المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ٣/٦٠٣:

"أنا مُقرٌ اقراراً شرعياً صحيحا حالفاً بالله لو اثبت احدٌ من القرآن أو من اي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو من الاشعار او القصائد العربية او من النظم والنثر العربي القديم أو الحديث بأن لفظ التوفي حال كونه فعل الله تعالى ونسبته إلى ذي الروح اطلق على معنىً غير قبض الروح أو الإماتة أمنحه مبلغ ألف روبية نقداً بعد أن أبيع جزءاً من ممتلكاتي".

النص الأردي:

"اگر کوئی شخص قرآن کریم سے یا کسی حدیث رسول صلی اللہ علیہ وسلم سے یا اشعار وقصائد و نظم ونثر قدیم وجدید عرب سے یہ ثبوت پیش کرے کہ کسی جگہ توفی کا لفظ خدائے تعالی کا فعل ہونے کی حالت میں جو ذوی الروح کی نسبت استعمال کیا گیا ہو وہ بجز قبض روح اور وفات دینے کے کسی اور معنی پر بھی اطلاق پایا گیا ہے یعنی قبض جسم کے معنوں میں بھی مستعمل ہوا ہے تو میں اللہ جل شانہ کی قسم کھا کر اقرار صحیح شرعی کرتا ہوں کہ ایسے شخص کو اپنا کوئی حصہ ملکیت کا فروخت کر کے مبلغ ہزار

روپیہ نقد دوں گا".

تفاخر القاديانية بتحقيق الميرزا:

قد ورد فی "الأحمدية باكت بك" صـ: ١٨٥:

"ولأن "التوفي" في الموضع المتنازع فيه من باب "التفعّل"، والفاعل هو الله تعالى والمفعول ذو الروح أي عيسى عليه السلام وقد عيّن حضرة المسيح الموعود جائزة ألف روبية لمن يثبت في مثل هذا الوجه كون التوفي لمعنىً سوى قبض الروح لكن لم يظهر أحد حتى اليوم كبطل في الميدان الذي يحصل هذه الجائزة".

النص الأردي:

چونکہ متنازعہ فیہ جگہ میں توفی باب تفعل سے ہے اور اللہ تعالی فاعل ہے اور ذی روح یعنی حضرت عیسی مفعول ہیں، اس لئے حضرت مسیح موعود علیہ السلام نے ایسی صورت میں توفی کے معنی سوائے قبض روح کے دکھانے والے کو ایک ہزار روپیہ انعام فرمایا ہے مگر آج تک کوئی مرد میدان نہیں بنا جو یہ انعام حاصل کرتا اور نہ ہی ہوگا".

من يشاهد وسائل الاعلام القادياني الحديثة يجد محاوريها يذكرون التحقيق المذكور بكل فخر وغرور ويقولون لم يقم احدٌ بنقض تحقيق متنبئ القاديانية حتى اليوم. أي أن هذا التحقيق الميرزائي غريبٌ وفريدٌ في نوعه لم يأت أحدٌ بمثله.

نقاشنا حول التحقيق المذكور:

قال النبي صلى الله عليه وسلم في كل من يدعي النبوة بعده أن يكون كذاباً ودجالاً نجد نحن كما يجد كل ذي عقل وشعور بأن المتنبئ القادياني يظهر كذبه ودجله في كل موقف من مواقف حياته تصديقاً لقول الصادق المصدوق النبي الخاتم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد اطلعنا على تحقيق الميرزا القادياني وتحديه، أما نقض قاعدته، فقد خصصنا الوحدة لأجل ذلك في هذا المقال، ونتكلم فيه حول هذا الموضوع على وجه التفصيل.

أما هدفنا في هذه الوحدة فإفصاح كذب الميرزا ودجله في تحقيقه المذكورة.

فنقول: إن من عادة الميرزا الكذب في إسناد مقولاته والدجل في أسلوب الاستدلال لاثباتها ،فنحن نقوم بافصاح كذب الميرزا في الإسناد لما قاله في تحقيق التوفي، ثم نفصح دجله في أسلوب استدلاله لاثبات مقولته.

عادة الميرزا الكذب في إسناد مقولاته:

أما كذب الميرزا القادياني في الإسناد، فإنه أمر معروف، فهو يسند إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقله هو. فمن أراد الاطلاع على ذلك عليه مراجعة مقالنا (اطلاع العوام على ما تعمد فيه الميرزا الكذب على خير الأنام)، فقد ذكرنا فيه ستين نموذجاً لذلك. ويعرف الجميع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الذي يتعمد الكذب عليه فليتبوأ مقعده في النار.

إفصاح كذب الميرزا في الإسناد في تحقيقه لفظ التوفي، كما يلي:

قوله: "إن التوفي إذا كان فاعله هو الله، والمفعول ذو الروح، فمعناه قبض الروح الذي يتحقق عن طريق الموت" نسب المتنبئ القادياني مقولته هذه إلى علم النحو، وهذا العلم وأهله بُراءآه من ذلك.

نسب الميرزا في موضع آخر مقولته المذكورة إلى جميع كتب اللغة، وهي وأهلها منها بُرءاة.

فلذا **نقول:** لقد كذب الميرزا **أولاً:** في إسناد مقولته إلى علم النحو، **وثانياً:** في إسنادها إلى كتب اللغة.

والآن نناقش دجله في هذا الباب صيغته في تحقيق لفظ "التوفي" سعياً فاشلا منه لاثبات فكرته الباطلة حول وفاة المسيح عليه السلام قبل أجله.

إفصاح دجل الميرزا في هذا الباب:

قام الميرزا بأنواع من التلبيسات في سعي إثبات مقولته، فلبّس في ذكر مادة اشتقاقه، كما خلط بين معنى التوفي الوضعي ومدلوله المجازي، ثم خان في ذكر بيان القرآن الكريم في لفظ التوفي، ولم ينقل القيود والشروط التي ذكرها القرآن الكريم عند ذكر أنواع التوفي "الجسن" لتعيين النوع المراد منه.

ولإيضاح هذه الامور أكثر:

نقول: اللفظ المشتق لا بد في تعيين معناه من العبرة لمادة اشتقاقه الأصلية.

فالتوفي مشتق من "و ف ي"، "وفى يفي وفاءاً"، ومعناه "الإتمام"، وهو "ضد الغدر" بإجماع أهل اللغة، وليس مشتق من "م و ت"، ولا من "ن و م"، ولا من "ر ف ع"، ليدل على الموت، أو النوم، أو الرفع وضعاً.

و"التوفي" هو "التفعّل" من "وفى"، ومعناه حسب الوضع ومادة اشتقاقه وصيغته هو "القبض التام"، أو "الأخذ وافياً" وهذا بيان علماء اللغة قاطبة وعلماء التفسير أجمعهم.

ويرادف "التوفي" الاستيفاء في اللغة والقرآن، فلذا إذا استوفى الإنسان عمره، واستكمل ما قُرّر له من أيامه وليالله في هذه الدنيا، يلزمه الموت، ومن ثم يقال للموت، والمنية "الوفاة"، ويطلق على موت الإنسان "توفي الميت" لاستيفاءه عمره، كما يقال: "تُوفِّي فلانٌ" إخباراً عن موته مجازاً للسبب المذكور، ولا يعني ذلك حتماً أن "الوفاء" معناه الموت، و"التوفي" معناه "الإماتة"، فمن قال ذلك، فجهله بيّن ودجله واضح.

من المعروف أن مشقات لفظ واحد لا بد من مراعاة المعني الوضعي في جميعها والقرآن الكريم في آيات التوفي يشمل على ذكر مفردات كثيرة كل منها له دلالة على معنىً مخصوصٍ فلا يثبت من اللفظ إلا هو، ومن نص القرآن إلاّ ما ذكر، ولا يجوز الزيادة عليها، أو النقص منه، فإنه يعتبر إلحاداً في آيات الله.

فمن لا يراعي الأمور المذكورة يتخبط في التوفي في غيره، ولا يصل إلى الحق والصواب فيه، ومن يتعمد ترك النظر في أسلوب القرآن الكريم،

ودلالات مفرداته قصد قصد الدجل والإضلال، ولم يقصد تفسير القرآن الكريم، ولا تحقيق لفظ التوفي.

ونجد أن الميرزا لم يراع في تحقيقه للتوفي مادة الاشتقاق والوضع، ولا النظر في ظاهرتي الحقيقة والمجاز، ولم يتأمل في دلالة اللفظ القرآني على معناه من حيث الأفراد والتركيب، كما لم يراع في بيان القرآن الكريم للتوفي الإنساني القيود والشروط المذكورة فيه، ولم يراع أسلوب القرآن الكريم في توفي عيسى عليه السلام الخاص به، وفسّر الميرزا القادياني التوفي حسب هواه، فزاد من عنده ما شاء، ونقص منه ما شاء.

فماذا صنع الميرزا؟

لم يذكر مادة اشتقاقه الأصل ولا معناه الوضعي، بل ذكر ما هو المعروف لدى أهل العلم واللغة من استعمال التوفي على وجه المجاز للموت، أو المنية، أو الإماتة عند القرائن، وقرّر المدلول المجازي والكنائي للتوفي، كأنه هو المعنى الوضعي له، وهذا هو تلبيسه، ودجله في باب التوفي.

و من المعروف لدى أهل العلم قاطبة أنه يشترط للاستعمال المجازي للفظ ما وجود قرينة المعنى المراد منه مجازاً، ولم يتطرق الميرزا لذكر هذا الأمر، ولم يلاحظ إطلاقاً قرينة الموت في آيات التوفي في المواقع القرآنية، دل فيها التوفي على الإماتة أو الإنامة كنايةً، ويعرف الجميع أن القول في شأن المدلول المجازي للفظ ما، أنه معنى اللفظ هو جهل، أو دجل، ومن سعى إثبات المعنى المجازي للفظ ما مطلقاً بدون قرينة لفظية أو حالية، أنه خدع

العامة، وخان الله ورسوله والمؤمنين، هذا كله قد فعله الميرزا في تحقيق لفظ "التوفي".

فقوله في توفي الإنسان، "إذا كان الفاعل هو الله".

معناه: قبض الروح، فيه نظر، والبطلان الظاهر لقوله أي أن التوفي الإنساني عند فاعلية الله بمعنى "قبض الروح الذي يتحقق بالموت"، إنه أمر لا مستند له في اللغة، ولا أصل له في بيان القرآن الكريم، ولا دلالة للمفردات القرآنية على ذلك.

فالتوفي معناه "القبض التام"، سواءٌ أكان الفاعل هو الله، أو غيره.

وتوفى الله النفس البشري هو قبضها على وجه التمام فحسب، كان هو عيسى عليه السلام أو غيره، ولا يدل قبض الله النفس على إماتتها أو وقوع موتها، إلاّ مع قرينة الموت، كما يكون قبض النفس كناية عن النوم مع قرينته، (ويعترف الميرزا بذلك)، وما ذكر الميرزا مستشهداً بآيات التوفي الإنساني في القرآن الكريم، نحو: ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ** ﴾ [الزمر: ٤٢] وغيرها، مثل: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا** ﴾ [الأنعام: ٦١]، إن التوفي الإنساني بسبب فاعلية الله تدل على الإماتة خيانة في بيان أسلوب القرآن الكريم، لأن الآيات القرآنية المذكورة في كتاب الميرزا كلها تشمل على قرائن الموت، ولم ينقل الميرزا هذا الأمر أصلاً، هذه خيانته في النقل الناقص لأسلوب القرآن في باب التوفي.

ويجب أن يعلم بأن لفظ التوفي نفسه لا يدل على "الإماتة"، لأنه لا يرادف "الإماتة"، وسنذكر أدلة المغايرة بين "التوفي" و"الإماتة"، أو وقوع الموت فيما بعد.

وقول الميرزا في "التوفي الانساني" عند قرينة النوم أو الليل هو قبض الروح المقرر للنوم".

نقول: لا شك أن التوفي الإنساني في بيان القرآن الكريم مع قرينة الليل أو النوم يكون كناية عن الإنامة، لكن لماذا لم يذكر الميرزا أن التوفي الإنساني مع ذكر قرينة الموت يكون كناية عن الإماتة، فهذا هو موضع دجله وخيانته في وضع قاعدته خلاف اللغة، وخلاف أسلوب القرآن الكريم.

فذكر الله تعالى توفي أحد حالة عدم وجود قرينتي النوم أو الإماتة في القرآن الكريم، إنه دليل حتماً على أنه لا صارف لهذا التوفي من "القبض التام" إلى الإماتة أو الإنامة، هذا هو بيان القرآن الكريم في توفي عيسى عليه السلام، لكن صرف الميرزا لفظ "التوفي" عند قرينة النوم إلى "الإنامة"، ولم يذكر أصلاً وجود قرينة الموت لصرف "التوفي" إلى "الإماتة"، بل جعل الميرزا بلا دليل من عنده كون مثل هذا "التوفي" بمعنى "الإماتة" مطلقاً، فقال إذا كان فاعل التوفي هو الله، والمفعول ذو روح، فلا يدل إلاّ على الإماتة، فهذه صناعته الباطلة، وتبتني قاعدته على خيانته مع القرآن الكريم الذي كلما ذكر توفي النفس للإماتة ذكره بقرينة الموت.

وتصريح الميرزا بأن التوفي الانساني مع قرينة النوم والليل هو قبض الروح المقرر للنوم.

يطرح أمام الجميع هذا السؤال بنفسه ما هي حجة الميرزا في تخصيص التوفي الانساني مع قرينة النوم والليل للنوم؟

لا جواب له إلاّ إنما ذلك لوجود قرينة النوم الذي صرف التوفي (أي "القبض التام" الجنس)، ليكون كناية عن الإنامة، ومثل ذلك قد قال جميع المفسرين المسلمين بأن "التوفي الإنساني" هو "قبض الروح البشري" فقط، وعند قرينة الموت يكون كناية عن الإماتة، هذا هو أسلوب القرآن في بيان التوفي، ولقد خان الميرزا في عدم إفصاح ذلك، ولم يتطرق لبيان هذا الواقع القرآني.

ويظهر دجل الميرزا أكثر حيث أنه قال عند وجود قرينة الليل والنوم بتعيين التوفي للنوم، لكنه في باب الإماتة أطلق التوفي الانساني ليدل على الإماتة مطلقاً بدون اشتراط وجود قرينة الموت، فهذا هو دجله مع العامة، ومخالفته الواقع القرآني في حصر التوفي الإنساني في الإماتة بدون شرط قرينة الموت.

الواقع القرآني:

نجد أن القرآن الكريم عند ذكر التوفي يذكر المفردات المخصوصة للمعاني المقصود بيانها فذكر في آية التوفي ﴿ **ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ** ﴾ **[الزمر: ٤٢]**، "الله" دال على فاعل التوفي، و"يتوفى" تدل على

الأخذ الوافي والقبض التام، و"الأنفس" دال على المقبوض.

فالمفردات الثلاثة: ١- **الله**. ٢- **يتوفى**. ٣- **الأنفس**، تدل على قبض الله الروح البشري فقط بدون تعيين نوع القبض من الموت أو النوم، ثم ذكر القرآن الكريم الأمر الرابع (٤)، ألا! وهو قرينة الموت، فذكر حين الموت ليدل على ظرف هذا التوفي، ثم ذكر "فيمسك" ليدل على أثر هذا التوفي، فذكر قرينة الموت يُعيّن نوع "التوفي"، وهي "الإماتة".

وقد قام الميرزا بالدجل ولم يصرح ببيان هذه الأمور كلها وقال:أن التوفي إذا كان فاعله هو الله والمفعول ذو روح يكون بمعنى قبض الروح الذي يتحقق بالموت، فلا شك أن صينع الميرزا خيانةٌ واضحة مع بيان القرآن الكريم ودجل مع عامة المسلمين والبشرية أجمعها.

ونجد القرآن الكريم عند بيان النوع الثاني للتوفي، قد ذكر أيضاً المفردات المخصوصة في قوله ﴿**وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ**﴾ **[الزمر: ٤٢]**، فصرّح بـ"واو العطف" على ذات الفاعل الله، وعلى الفعل "يتوفى" ليدل المفردات على قبض الله التام، وبـ"ها"، الضمير قصد "الأنفس" ليدل هذا المفرد على المقبوض، وذكر (في منامها) ليدل على ظرف هذا التوفي، كما ذكر (فيرسل) ليدل على أثر هذا التوفي حتى يتعيّن نوع هذا التوفي بأنه هي "الإنامة".

لكن الميرزا القادياني قد قام بالدجل، ولم يصرح ببيان هذه الأمور كلها، وقال: إن التوفي الإنساني هو قبض الروح، ويتحقق عن طريق الموت، إلاّ عند وجود قرينة النوم، أو الليل فيُقرر حينئذ قبض الروح للنوم، فماذا قاله

الميرزا؟ لا سند له في اللغة، ولا في بيان القرآن الكريم، بل إنه مخالفة صريحة لدلالة المفردات اللغوية، وإعراض واضح عن بيان الواقع القرآني في باب التوفي دجلاً منه للخلط في مفهوم التوفي.

كما يظهر دجل الميرزا في خلط معنى "التوفي" عند نقل استعمال التوفي على وجه المجاز للإماتة، **(وقال في مؤلفه وفاة المسيح الناصري) نقلاً عن "كليات أبي البقاء":**

"التوفي" الإماتة، وقبض الروح، وعليه استعمال العامة".

من المعلوم أن العبرة باستعمال الخاصة لا العامة.

التمهيد الضروري قبل الردّ على أسلوب استدلال الميرزا:

وقبل أن نردّ على أسلوب استدلال الميرزا في تحقيقه للتوفي يجدر بنا أن نذكر هذا التمهيد الضروري.

ونقول:

"التوفي" هو "التفعّل" من "الوفاء"، ففي لسان العرب "الوفاء" ضد "الغدر"، يقال: وفى بعهده، وأوفى، بمعنى "أتم"، ومنه "التوفي" وهو أخذ الشيء وافياً.

وقد فصّلنا القول في مادة الاشتقاق للتوفي ومعناه الوضعي، وهو "القبض التام" فحسب، وليس "قبض الروح"، كما زعم الميرزا القادياني.

أما ما ذُكر في كتب اللغة من دلالة لفظ التوفي على الموت، **فجوابه كما يلي:**

إن كتب اللغة تناقش معنى اللفظ الوضعي، أو الحقيقي، كما تناقش معناه المنقول إليه، والمعنى المجازي، أو الكنائي، **وتفصيل ذلك كالآتي**:

إن معنى اللفظ هو الذي قد وُضع له اللفظ ابتداءاً، ويُسمى بـ"**المعنى الحقيقي**" أيضاً، ثم اللفظ قد يوضع لمعنىً واحد، وقد يوضع لأكثر من معنىً، والتوفي منه، فالموضوع للأكثر هو "**المشترك**"، وليس التوفي.

أما الموضوع للمعنى الواحد إذا كان مفهومه يصدق على الكثرة، يسمى بـ"**الجنس**"، فالتوفي منه.

وما يصدق عليه من الحقائق المختلفة، يُسمى كل واحد منها "نوعه"، فالحيوان يصدق على "الإنسان" و"الفرس" و"الحمار"، فهي أنواعه، لصدق "الحيوان" على كل منها لكون، فلا يكون النوع بمعنى "الجنس"، بل هو أحد أفراده، وكل واحد منها ذي حياة، لا لأن لفظ "الحيوان" موضوع لجميعها.

فهكذا "التوفي" معناه "القبض التام"، وهو يصدق في اللغة وفي القرآن وفي الحديث على "الإماتة"، وعلى "الإنامة"، وعلى "الرفع"، فلا يصح أن يقال إن التوفي موضوع للموت أو الإماتة، أو للنوم أو الإنامة، أو للرفع، فإن وضعه للقبض التام "الجنس"، والثلاثة المذكورة أنواعه، وفي أي نوع يتعيّن في أي موضع، يعرف ذلك بالقرينة التي هي بمنزلة "الفصل" لكل نوع من أنواع "الجنس"، فالتوفي (أي القبض التام) يصدق على "توفي موت" عند قرينة الموت، وعلى "توفي نوم" عند قرينة النوم، على "توفي رفع" عند قرينة الرفع، هذه هي الحقيقة الثابتة في القرآن الكريم حول "التوفي"، وهذا

هو المقرّر لدى أهل العقل والنقل فيه، ويشهد بذلك أقوال المفسرين المسلمين في "التوفي القرآني".

وقد يكون اللفظ موضوعاً لمعنىً، ثم نُقل منه إلى معنىً آخر، فهو يُسمى بـ"**المنقول**"، كدابة موضوع في الأصل لكل "ما تدبّ على الأرض"، وغلب استعماله على المركب في العرف، ومثل "الصلاة" و"الصوم" و"الزكاة" و"الحج"، لها معانيها اللغوية، ولكن الشرع نقلها إلى معانيها الشرعية، وليس "التوفي" من "المنقول".

دفع الخلط وقمع الدجل:

نقول: الآن لدفع الخلط القادياني، وقمع دجله، أن التوفي موضوع للقبض التام، كان فاعله هو الله، أو رسله بأمره، وتوفي الأنفس هو قبضها التام فقط، كان الفاعل هو الله، أو رسله بأمره، ولا دلالة له على الإماتة، أو على "الإنامة"، أو على "الرفع" دون القرينة، ويصدق مفهوم التوفي الإنساني، أو "توفي الأنفس" في القرآن الكريم على إماتتها، وعلى إنامتها عند وجود قرينتيهما، ولقد صدق التوفي على "رفع المتوفَّ" المخاطب بخطاب مخصوص، وهو عيسى عليه السلام، خاطبه رب العالمين بقوله: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وفي ضوء هذا البيان القرآني في توفي عموم البشر، وتوفي عيسى عليه السلام صار لفظ التوفي جنساً، والرفع نوعه، والموت نوعه، والنوم نوعه، فلا يدل لفظ التوفي على أي واحد منها حسب الوضع، ولا بدون القيود والشروط والقرائن المذكورة، هذا هو بيان القرآن الكريم في التوفي، وهذا ما

ذكره المفسرون المسلمون في تفاسيرهم لآيات التوفي، وقد ذكرنا تفصيلها في مقالنا "تفسيرات آية التوفي"، وفي وحدة آيات القرآن في هذا المقال، ونشير إلى البعض منها على وجه موجز.

يقول "الرازي": في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾:

"التوفي" وهو جنس تحته أنواع، بعضها بالموت، وبعضها بالإصعاد إلى السماء، فلما قال بعده {ورافعك إلي} كان هذا تعييناً للنوع، ولم يكن تكراراً".

ويقول "البيضاوي" وصاحب "السراج المنير" في تفسير قوله قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ [المائدة: ١١٧]:

"توفيتني بالرفع إلى السماء لقوله تعالى ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، والتوفي "أخذ الشيء وافياً"، والموت نوع منه، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، هذا موجز دلالة لفظ التوفي.

وجوه المغايرة بين "التوفي" و"الإماتة" أو "الموت":

ولذكر المغايرة بين التوفي والموت، نقول ما يلي:

أولاً: كون الموت نوعاً من التوفي، أو قسماً منه يدل على المغايرة بينهما، كمغايرة الجنس والنوع، أو المقسم والقسم.

ثانياً: يقول الله عزّ وجل: **﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي**

﴿مَنَامِهَآ﴾ [الزمر: ٤٢]، قسمت هذه الآية "التوفي" إلى قسمين، أو ذكرت صورتين للتوفي"، **وهما:**

أ- "التوفي الإنساني" أي "قبض الأرواح البشرية" على وجه التمام مع الإمساك، وهو توفي موت.

ب- "التوفي الإنساني" هو "قبض الأرواح" على وجه التمام مع الإرسال، وهو توفي نوم، فلا بد أن يكون الموت مغايراً للتوفي، وكذلك النوم مغايراً للتوفي، وإلاّ لما صحّ هذا التقسيم لتوفي الأنفس.

ثالثاً: دلالة هذه الآية ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَآ﴾ [الزمر: ٤٢].

هذه الآية القرآنية دلّت على أمور ثلاث، وكل واحد منها حجة قاطعة على الفصل بين التوفي والموت، **وهي كما يلي:**

أحدها: وقوع التوفي على الأنفس، أي على الأرواح الإنسانية، وهي لا تموت، أي التي لا يقع عليها الموت، وقد أخبر القرآن بوقوع "التوفي" عليها، وبهذا ظهر البون البعيد، والفرق الشاسع بين التوفي والموت.

ثانيها: تنويع التوفي: أي ذكرت الآية النوعين منه، ففي النوع الأول للتوفي نصت الآية على وقوعه "حين الموت"، فلو كان التوفي قبض الروح أو الموت، لكان قيد "حين الموت" زائداً في القرآن الكريم، وهذا يخالف فصاحة كلام الله سبحانه وتعالى، وإعجازه، وهو أيضاً دليل بيّن للفرق بين التوفي والموت.

ثالثها: أثر كل نوع، فقسّمت الآية التوفي من حيث أثره على المتوفَّى إلى "الإمساك"، وإلى "الإرسال"، فلو كان التوفي بمعنى "الإماتة"، لما يمكن أن يكون صورة الإرسال قسما من التوفي، إذ أن النفس النائمة ليست بميتة حسب تصريح القرآن، وهذا أيضاً دليل قطعي على المغايرة بين التوفي والموت.

تفنيد أسلوب استدلال الميرزا:

وبعد هذا التمهيد الضروري لإفصاح دجل المتنبئ القادياني نقول: إن استدلال الميرزا من استعمال العامة للفظ التوفي على وجه المجاز على تعيين التوفي للموت أو للإماتة دجل بيّن للمتنبئ القادياني، وتصديق للصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام، بأن مدعي النبوة بعده يكون كذابا ودجالاً.

لأننا نقول:

إن ذكر كتب اللغة كون التوفي مستعملا للموت أو "المنية" و"الوفاة" و"الإماتة"، لا يثبت منه كون "التوفي" موضوعاً للموت و"المنية" أو "الإماتة"، فمأخذ التوفي ووضعه اللغوي ينكر ذلك تماماً، كما أن تصريح أهل اللغة بأن التوفي مستعمل للموت مجازاً في حد ذاته ردّ مسبق على الميرزا القادياني على لسانه، وعلى أمثاله من أهل الإلحاد بكل صراحة من قبل أئمة اللغة، وفيما يلي بعض تصريحاتهم.

ففي "تاج العروس" هذا التصريح:

"ومن المجاز أدركته الوفاة أي الموت والمنية، وتوفي فلان إذا

مات، وتوفاه الله عزّ وجل إذا قبض روحه".

وفي "أساس البلاغة" للزمخشري:

"ومن المجاز توفي فلان، وتوفاه الله، وأدركته الوفاة".

فثبت من كتابة علماء اللغة أن التوفي مستعمل للموت على وجه المجاز لا يعارض كون "التوفي" بمعنى "القبض التام"، أو "أخذ الشيء وافياً" في الأصل والحقيقة.

وهنا ننصح كل طالب الحق أن يبحث "التوفي" في كتب اللغة، فلا يجده إلاّ في مادة "و ف ي"، وهو لفظ موضوع للإتمام، و"التوفي" تفعل منه، وهو موضوع للقبض التام.

لماذا استعمال التوفي للموت أو الإماتة؟

ونقول لزيادة متعة القاري: ولإفصاح سبب استعمال التوفي للموت، وهو أن اللفظ يستعمل للمعنى المجازي للعلاقة بين المعنى الحقيقي والمجازي، كاستعمال لفظ "الأسد" للرجل الشجاع بسبب علاقة الشجاعة بينهما، فلا يقول عاقل في الدنيا إن الأسد معناه الرجل الشجاع، كما نقول في باب التوفي إن هناك علاقة بين "الوفاء" و"الموت"، وبين التوفي والإماتة، وهو أن الوفاء إتمام، والتوفي هو قبض الشيء على وجه التمام، وتوفي الميت استيفاءه عمره، فلأجل هذه العلاقة بين المعنى الحقيقي للتوفي وبين الإماتة استعمل التوفي للموت أو الإماتة مجازاً، لكن الميرزا بسبب دجله، ولهدف تشويش العامة لم يفصح هذا الأمر الذي قمنا بإفصاحه بفضل من الله وتوفيقه حمايةً لعقيدة الأمة المسلمة، ونصحاً للقاديانية وعامة البشرية.

دجل الميرزا وإفصاحه أكثر:

فقول الميرزا "إن "التوفي الإنساني" عند فاعلية الله هو "قبض الروح الذي يتحقق بالموت"، ولا يدل "التوفي" على قبض الجسم أصلاً دليل جهله وقلة فهمه، فإن توفي الموت واقع على الجسم والروح معاً، فالجسم يدفن، والروح ترفع.

أما توفي الرفع الواقع على الشخص المخاطب بخطاب الباري جلّ وعلا، وهو عيسى عليه السلام بـ"متوفيك"، لا بـ"متوف نفسك"، خير مثال لنقض قول الميرزا المذكور، فعيسى هو الجسم والروح معاً في قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فالمتوفي والمرفوع والمطهر هو الشخص المخاطب أي الروح + الجسم = عيسى عليه السلام شخصه الكامل، ولكون هذا التوفي مخصوصاً بهذا المخاطب ولا يوجد له إلا فردٌ واحدٌ، لا غيره، فطلب الميرزا النصوص من الكتاب والسنة لغير هذا النص الوارد في شأن عيسى عليه السلام استهزاءه منه بحكمة الله عزّ وجلّ، والذي قد خص عيسى عليه السلام لهذه الخصوصية من بين عباده كلهم.

نقول:

إن صنيع القاديانية في التوفي مثل صنيعها مع لفظ "الخاتم" المستعمل مجازاً للأفضل، نحو: "فلان خاتم المحدثين"، بمعنى أفضلهم، وتصارح القاديانية بأن الخاتم ليس بمعنى الأخير فحسب، وتخلط مفهومه على العامة بقولها أن "الخاتم" مشترك بين "الأخير" و"الأفضل"، وترجح "الأفضل"، مثل خلطها في باب التوفي.

محصل الكلام في تحقيق "التوفي":

❁ **نقول:** الفرق بين النوم والموت هو أن توفي الموت واقع بمجموع الإنسان، أي بدنه وروحه، بخلاف توفي النوم الذي يقع على الروح فقط، فلا شك أن التوفي لعموم البشر، إمّا توفي موت، أو توفي نوم وفق بيان القرآن الكريم، وهو يشمل عيسى عليه السلام عند الأجل، وفي المنام أيضاً.

❁ أمّا توفي عيسى عليه السلام الذي وقع عند الحدث العظيم الذي ذكره القرآن الكريم: كدليل غلبة مكر خير الماكرين، ومنة خاصة على عيسى عليه السلام بقوله: ﴿**يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [آل عمران: ٥٥]، فقد يشهد الواقع القرآني بأنه "توف رفع"، وليس بتوفي موت، لأن "رافعك" يعيّن نوع هذا التوفي"، بأنه هو "الرفع".

❁ ذكر القرآن الكريم توفي عيسى عليه السلام في قوله: ﴿**وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾**﴾ [المائدة: ١١٧]، ورد في هذه الآية في مقابل التوفي "الكون"، أي وجود عيسى عليه السلام في القوم، فلا يجوز حمل توفيه على موته، فإن غير الموجود في القوم لا يكون ميتاً.

❁ يُحمل التوفي الإنساني في جميع مواضع القرآن على "القبض التام" للإنسان، ويكون التوفي كنايةً عن الإماتة عند وجود قرينة الموت، وعن الإنامة عند وجود قرينة النوم، فهكذا لا يلزم التكرار في

القرآن الكريم، وبقي إعجاز كلام الله على حده.

إلى هنا وقد أبطلنا تحقيق الميرزا القادياني لكلمة التوفي، وأفصحنا كذبه، ودجله في ذلك، فللّه الحمد والمنة.

دعوتنا المخلصة لأبناء القاديانية:

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية بكل إخلاص أن يتأملوا فيما عرضناه في هذه الوحدة للفصل بين معنى التوفي الحقيقي وبين استعماله المجازي، وقد ذكرنا سبب استعمال "التوفي" مجازاً للموت، وذلك نقلاً من أئمة اللغة، وقد أفصحنا خلط المتنبئ القادياني ودجله في تحقيقه التوفي الإنساني، فلو تأملوا بنظر غائر في هذه الوحدة لعرفوا الحق والصواب المؤيد من الكتاب والسنة واللغة، لعلّ الله يلهمهم الرشد، ويصلوا إلى سبيل الهدى -إن شاء الله-، والله هو الهادي إلى صراط مستقيم.

وصلى الله وسلم على خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

"الوحدة العاشرة"

قمع قاعدة الميرزا المصطنعة

في باب "التوفي"

ومآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين.

إثبات حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله.

قاعدة قاديانية مصطنعة، مظهر الكذب والدجل:

لقد أخبر نبينا صلى الله عليه وسلم على وجه الإعجاز أن كل مدعي النبوة بعده يكون كذاباً ودجالاً.

ونحن الآن نناقش قاعدة مصطنعة من قبل الميرزا القادياني مدعي النبوة التي هي مظهر الكذب والدجل، ونُفصح حقيقة هذه القاعدة، وصنيع صانعها، ودجله فيها تصديقاً لحضرة الصادق المصدوق عليه السلام بأن مدعي النبوة بعده يكون كذابًا ودجالاً.

فنقول: وبالله التوفيق!

قاعدة القاديانية:

يقول الميرزا في "التحفة الغولروية" المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٧/١٦٢:

"وقد سلّمت هذه القاعدة في علم النحو على الوجه الصريح بأن لفظ "التوفي" إذا كان فاعله هو الله، والمفعول به الإنسان، يكون معنى التوفي دائما في مثل هذا المقام بمعنى "الإماتة" و"قبض الروح".

النص الأردي:

"اور علم نحو میں صریح یہ قاعدہ مانا گیا ہے، کہ "توفی" کے لفظ میں جہاں خدا فاعل اور انسان مفعول بہ ہو، ہمیشہ اس جگہ "توفی" کے معنی "مارنا" اور "روح قبض کرنے کے آتے ہیں".

ويقول أيضًا في "أيام الصلح" المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٤/٣٨٤.

"هذا هو المكتوب في جميع كتب اللغة بأن الفاعل إذا كان هو الله، والمفعول به أي إنسان..... فلا يكون المراد منه إلاّ "قبض الروح" و"الإماتة".

النص الأردي:

"تمام لغت کی کتابوں میں یہی لکھا ہوا ہے کہ جب خدا تعالیٰ فاعل ہو، اور کوئی انسان مفعول بہ ..... تو بجز روح قبض کرنے اور مارنے کے اور کوئی معنے نہیں لئے جاویں گے".

قد ورد فی "الأحمدية باكت بك" هذا التحدي القادياني، صـ: ١٨٥:

"ولأن "التوفي" في الموضع المتنازع فيه من باب "التفعّل"، والفاعل هو الله تعالى والمفعول ذو الروح أي عيسى عليه السلام وقد عيّن حضرة المسيح الموعود جائزة ألف روبية لمن يثبت في مثل هذا الوجه كون التوفي لمعنىً سوى قبض الروح لكن لم يظهر أحد حتى اليوم كبطل في الميدان الذي يحصل هذه الجائزة".

النص الأردي:

چونکہ متنازعہ فیہ جگہ میں توفی باب تفعل سے ہے اور اللہ تعالیٰ فاعل ہے

اور ذی روح یعنی حضرت عیسی مفعول ہیں، اس لئے حضرت مسیح موعود علیہ السلام نے ایسی صورت میں توفی کے معنی سوائے قبض روح کے دکھانے والے کو ایک ہزار روپیہ انعام فرمایا ہے مگر آج تک کوئی مرد میدان نہیں بنا جو یہ انعام حاصل کرتا اور نہ ہی ہوگا".

وقبل أن نناقش قاعدة الميرزا يجدر بنا أن نعرف القاعدة حتى يعلم حقيقة أمر مقولة الميرزا التي سماها "القاعدة".

تعريف القاعدة:

فالقاعدة: أمر كلي ينطبق على كثير من الجزئيات، مثل: القاعدة النحوية، "الفاعل مرفوع"، فكلما وجد في الكلام فاعل، يكون مرفوعًا.

ومثل **القاعدة الأصولية:** "الأمر للوجوب"، فكلما وجد خطاب الشارع بصيغة الأمر، فإنه يدل على "الوجوب".

أو **قاعدة بلاغية:** "الكناية أبلغ من الصريح"، فكلما عبّر عن معنى عن طريق الكناية يكون أبلغ في التعبير من الصريح، ويوجد في كلام الله عزّ وجل وفي كلام البشر كثير من الجزئيات لكل قاعدة مذكورة في مجالها.

مناقشة قاعدة الميرزا في باب "التوفي":

قول الميرزا في مقولته، إنها قاعدة معروفة في النحو، وأنها مكتوبة في جميع كتب اللغة.

فنقول أولاً: إن إسناد الميرزا قاعدته إلى النحو، وقوله: "إنها قاعدة معروفة في هذا الفن" كذب صريح، فلا وجود لهذه القاعدة في أي كتاب

من كتب النحو أصلاً، لأن القواعد النحوية تختص بأحوال الكلمة من حيث الإعراب والبناء، ولا تتعلق بدلالة اللفظ على معنىً باعتبار فاعل مخصوص، وعلى معنى آخر حسب فاعل آخر.

ثانيًا: إسناد الميرزا مقولته إلى جميع كتب اللغة كذب صريح أيضاً، لأن "التوفي" في اللغة هو"القبض التام" وفق بيان جميع أهل اللغة، أما التوفي الإنساني أي إذا كان فاعل التوفي هو الله، والمفعول هو الإنسان، فهو "قبض الله تعالى الإنسان على وجه التمام" وفق دلالات الألفاظ الواردة في التركيب، وليس معناه "قبض الروح" التي يتحقق بالموت حسب ما زعم الميرزا، لأنه لا يثبت وقوع الموت إلاّ بلفظ يخص هذا المعنى.

ثالثاً: قول الميرزا "إذا كان التوفي من باب التفعّل، وفاعله هو الله، والمفعول أي إنسان" ليست قاعدة أصلا، لأن مفاده بأن التوفي الإنساني عند فاعلية الله هو قبض الروح بمعنى "الإماتة"، هذا المجموع من الكلام لا مرجعية له في أي فن، فأين يكون قاعدة؟، كما أنه يخالف أصول الدلالة اللغوية، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في الوحدة التاسعة التي تتعلق بتحقيق الميرزا لكلمة التوفي، وموجزه أن القرآن الكريم حينما يذكر توفي الإنسان، وفاعله هو الله، أو رسله بأمره، فالمفردات الموجودة في الكلام هي: "الله" دال على فاعلية الله، و"التوفي" دال على فعله، و"الإنسان" هو الذي يقع عليه فعل التوفي دال على مفعوليته، فهذه المفردات الثلاثة تدل كمجموعها على أن الله عزّ وجل هو "القابض" على وجه التمام، والإنسان هو "المقبوض" تماماً، ولا دلالة لأي لفظ على وقوع موت المقبوض أو إماتته، فهذه هي مخالفة الميرزا لأصول الدلالة اللغوية للمفردات على معانيها المقصودة.

رابعاً: خالف الميرزا في قاعدته المذكورة أسلوب بيان القرآن الكريم للتوفي، فإن الآيات التي استشهد بها الميرزا لصناعة قاعدته تشمل على ذكر فاعلية الله، وذكر فعل التوفي، وذكر مفعوله، وذكر قرائن الموت، ليكون التوفي كناية عن الإماتة، لكن الميرزا خان في النقل، ولم يتطرق لذكر قرائن الموت فيها.

خامساً: لقد استثنى الميرزا "التوفي الإنساني"، وفاعله هو الله، والمفعول هو الإنسان من دلالته على موت المتوفَّى عند وجود قرينة الليل والنوم، فهي مانعة عنده من دلالة التوفي على الإماتة، وتعيّن التوفي للدلالة على نوم المتوفَّى، حيث صرّح الميرزا بإن "التوفي" عند وجود قرينة الليل والنوم مقرر للنوم، أما في الآيات القرآنية المستشهد بها، لقد تعمد الميرزا في شأنها تناسى ذكر قرائن الموت الموجودة فيها التي تعيّن دلالة "التوفي" على "الإماتة" بسبب وجودها في تلك الآيات، لا بسبب فاعلية الله، ومفعولية الإنسان، وبورود أي من مشتقات التوفي فيها.

سادساً: لو زعمت القاديانية أن عدم وجود قرينة الليل والنوم في التوفي، هو سبب لدلالة التوفي على الموت، نقول: لا شك أنه تأسيس قاعدة على "العدم"، وعلى "ما لم يذكر"، وتؤسس القواعد على "ما يوجد، وعلى "ما يذكر".

فهكذا قاعدة الميرزا صارت منقوضة بما يلي:

أولاً: بسبب الإسناد الكاذب.

ثانياً: بسبب مخالفتها دلالة اللغة ومفرداتها.

ثالثاً: بسبب عدم ذكر الميرزا قرائن الموت، وخيانته في نقل الواقع القرآني.

رابعاً: بسبب تأسيسها قاعدته على العدم.

خامساً: مخالفته أسلوب القرآن الكريم في بيان التوفي.

فالآيات القرآن التي تشمل ذكر التوفي لا توافق قاعدة الميرزا تماماً، فمن ثم نقضت هذه الآيات كلها آية آية قاعدةَ الميرزا.

نصيحتنا لأبناء القاديانية، وبيان هدف الميرزا من وضعه هذه القاعدة:

من المعلوم إن اسم السيوطي مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية، ونحن ننقل هنا كلامه، لعله يثبت خير ناصح لأبناء الملة القاديانية، كما يظهر عليهم غرض وضع الميرزا هذه القاعدة؟ لعل الله يوفقهم بعد التأمل فيه إلى سبيل الهدى، وأن يطلعوا على حقيقة أمر المتنبئ الميرزائي، وهدف صناعته القاعدة المذكورة.

يقول الإمام السيوطي رحمه الله عند ذكر "أخطاء الناس" في التفسير ملخصًا من قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

"إن للناس أفكارًا يسعى في إثباتها، ويستعمل ألفاظ القرآن لذلك".

وقد عرفنا أن متنبئ القاديانية كان لديه فكرة وفاة المسيح، أي موته التي قد وقعت عنده، فأراد إثباته من آية ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران:

٥٥]، فصنع هذه القاعدة، ليطبقها على الآية المذكورة سعياً منه لإثبات وفاة عيسى عليه السلام من التوفي الوارد في القرآن الكريم بدون وجود قرينة الموت خلافا للّغة وبيان القرآن، ومن ثم ينكر رفعه ونزوله، وهكذا يشوش عقيدة الأمة المسلمة في باب حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله.

لماذا ضرورة القرينة في التوفي؟

هذه حقيقة لغوية ثابتة ولا أحد من ذي شعور وعقل ينكرها بأنه إذا ذكر في الكلام ما يصدق على الكثرة، وعلى أنواعه الكثيرة، فلا بد هناك من وجود القرينة لتعيين النوع المراد في كل مورد، والتوفي أي "القبض التام" مفهوم يصدق في القرآن الكريم، وفي اللغة على الكثرة، ألا! وهي أنواعه الثلاثة، أي "الإماتة" "الإنامة"، "الرفع"، فأي نوع منها يتعين في أي موضع ليدل لفظ التوفي عليه في موارده المختلفة إنما يحدد هذا الأمر القرينة، ومن المعلوم والمتعارف لدى العقلاء في تعاملهم لأي مفهوم هو "الجسن"، أي المفهوم الصادق على أنواع متعددة، بأن وجود الفصل لا بد منه، فهو الذي يعين النوع المراد من الجنس، فهكذا القرينة في باب التوفي يعين النوع المراد منه بأنه هل هو توفي موت، أو نوم، أو رفع؟

وقد اعترف الميزرا دور القرينة هذا، فمن أجل ذلك صرح قائلاً "إن قرينة النوم والليل يقرر التوفي للنوم"، لكنه قام بالدجل في دور "قرينة الموت".

فلذا نقول:

هل الباطل كلام السلف، أو بيان القرآن "عياذاً بالله" أم صناعة الميرزا في أهمية القرينة ودورها؟

ونظراً إلى ضرورة وجود قرينة الموت لدلالة التوفي على الإماتة، نقول: من حمل من السلف في آية ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، لفظ "متوفيك" على "مميتك"، يرى ضرورة تقدير قرينة الموت لصحة حمل التوفي على الإماتة، فقال: "متوفيك" أي "مميتك"، وقدّر أي "بعد إنزالي إياك من السماء"، فإن لم يكن هناك الاحتياج إلى القرينة لدلالة التوفي على الموت، أو كان التوفي يرادف الإماتة لغةً، لدل على موت المتوفى دون قرينة الموت، وصار تقدير قرينة الموت في كلام السلف لغواً، وحاشا أن يكون في تفسيرهم وكلامهم ذلك، بل إن الباطل واللغو مقولة الميرزا التي سمّى مقولته قاعدة زاعماً باطلاً بدلالة التوفي على الموت بسبب فاعلية الله ومفعولية الإنسان، ولم يذكر شرط قرينة الموت.

كما نقول: إن لم يكن هناك ضرورة وجود قرينة الموت لدلالة التوفي على الموت، أو كان التوفي يرادف الإماتة، لصار ذكر قرائن الموت في جميع آيات التوفي لغواً وباطلاً (عياذاً بالله)، وحاشا أن يكون في كلام الله عزّ وجل ذلك، فالقرآن الكريم منزه من مثل هذا اللغو، بل إن الباطل واللغو مقولة الميرزا التي سماها قاعدته، وقال بدلالة التوفي على الموت بسبب فاعلية الله ومفعولية الإنسان، ولم يذكر شرط قرينة الموت.

كما نقول: إن لم يحتج إلى القرينة، ودلّ لفظ التوفي على الإماتة، أو التوفي يرادف الإماتة، لكانت آيات التوفي التي استشهد بها الميرزا على

صناعة مقولته خالية من ذكر قرائن الموت.

فلذا نقول: كون آية توفي عيسى عليه السلام ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ خالية من قرينة الموت، يدل على أنه توفيه، ليس توفي موتٍ لعدم وجود قرينته، بل إنه "توفي رفع" لوجود قرينته، لأنه توفي شخص معين، وهو عيسى عليه السلام، أي الروح + الجسد، توفاه الله عزّ وجل كما يليق بشأنه، فدلت الآية بصريح اللفظ على أن الله عزّ وجل قبض عيسى عليه السلام تماماً بالروح والجسد، ورفعه إليه، وذلك لوجود ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ بعد "متوفيك"، وهذا التوفي هو الفريد في نوعه، ليس له نظير ثان، فلذا مطالبة الميرزا من المسلمين أي مثال آخر لذلك استهزاء منه بحكمه الخالق الباري جل وعلا، واستخفاف بعقيدة الأمة المسلمة.

كما نقول: لقد ذكر القرآن الكريم بعد "متوفيك" قوله جل وعلا: "ورافعك إليّ" ليدل نص القرآن الكريم بصريح اللفظ ماذا حصل في شأن عيسى عليه السلام، وهو أن الله عزّ وجل قبضه الجسد والروح، ورفعه إليه، وهي عقيدة الأمة المسلمة.

إلى هنا وقد ذكرنا كون عقيدة الأمة المسلمة موافقا للحق، ومؤيدة بنص القرآن الكريم، وأبطلنا مقولة الميرزا القادياني التي تبتني على الكذب والدجل، وبذلك زاد المؤمنون إيماناً وتصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم في كل مدعي النبوة أنه كذاب ودجال.

إيضاح أكثر:

كذب الميرزا في إسناد قاعدته، إنه أمر واضح لا يحتاج إلى الإيضاح.

أما دجل مؤسس القاديانية في صناعة قاعدته، فيتضح من كونها مخالفة لأصول الدلالات اللغوية، ومعارضة لأسلوب القرآن الكريم عند بيان التوفي لعموم البشر، وخصوص توفي عيسى عليه السلام، كما يظهر دجل صانع القاعدة من إثبات موت عيسى عليه السلام من آية خالية من قرينة الموت، فخلو هذا التوفي من وجود قرينة الموت أمر في حد ذاته مانع مِن حمله على إماتة هذا المتوفَّى، (أي عيسى عليه السلام)، لكن الميرزا قام بالدجل، وبنى قاعدته على اختراعه الكاذب هذا بأن التوفي الإنساني عند فاعلية تدل على قبض الروح الذي يتحقق من طريق الموت، وقد يَبتنَى قاعدته على "العدم"، حينما يشترط عدم وجود قرينة النوم لدلالة التوفي على إماتة المتوفى، ولا تبتنى القواعد بهذا الأسلوب، نعم! إنه سعى الميرزا الفاشل لخلط مدلول التوفي.

ترتيب عوامل نقض قاعدة الميرزا:

لقد فقدت قاعدة الميرزا مصداقيتها منذ نشأتها بالأسباب التي قد أشرنا إليها لمخالفتها اللغة وأسلوب القرآن الكريم، وفي هذا الإيضاح كفاية لمن أراد الهداية، والوصول إلى الحق، وها نحن نذكر بعض الأمور، التي هي سهلة المنال حتى لعامة الناس لغرض نصح البشرية عموما، ولأبناء القاديانية خصوصاً، وهي كلها عوامل نقض قاعدة الميرزا.

فنقول:

إن قاعدة الميرزا منقوضة بأبسط الوجوه، ومنها ما يلي:

أولاً: إسناد الميرزا قاعدته إلى النحو، ولا وجود لها في هذا الفن أمر قد نقض قاعدته.

ثانياً: إسناد الميرزا قاعدته إلى جميع الكتب اللغة، ولا وجود لها في أي كتاب منه أمر آخر قد نقض قاعدته.

ثالثاً: مخالفة الميرزا في صناعة القاعدة أصول دلالة المفردات اللغوية الواردة في التوفي أمر قد نقض قاعدته.

رابعاً: مخالفة الميرزا أسلوب بيان القرآن الكريم للتوفي الإنساني أمر قد نقض قاعدته.

خامساً: ضرورة وجود قرينة الموت لدلالة التوفي على الإماتة أمر قد نقض قاعدته.

سادساً: آيات التوفي بمجموعها، وعددها ثلاثة وعشرون آية، فكل آية منها ناقضة لقاعدة الميرزا على وجه مستقل لشمولها على قرينة الموت حتى يكون التوفي كناية عن "الإماتة".

الإيضاح الأكثر لعوامل نقض قاعدة الميرزا:

نقول: قول الميرزا: "إذا كان التوفي من باب التفعل، ويكون الفاعل هو الله، والمفعول هو الإنسان، معناه قبض الروح الذي يتحقق عن طريق الموت" أمر بديهي البطلان، كما يلي:

١- فاعلية الله للتوفي دال على أن الله قابض على وجه التمام، ولا دلالة له على أن الله مميتٌ، كما زعم الميرزا، وتأبى الدلالة اللغوية ما قاله الميرزا.

٢- فعلية التوفي دال على حصول "القبض التام" للقابض، ولا دلالة له على "الإماتة"، كما زعم الميرزا، لأن التوفي لا يرادفها، وتأبى دلالة هذا اللفظ صحة قول الميرزا.

٣- مفعولية الانسان دال على أن الإنسان الذي وقع عليه التوفي، هو مقبوض على وجه التمام، ولا دلالة على أن المقبوض ميتٌ، كما زعم الميرزا، وتأبى دلالة مفعولية الإنسان ما قاله الميرزا.

ها هي قاعدة الميرزا وهي منقوضة:

إن قاعدة الميرزا لمّا خالفت أصول دلالة المفردات اللغوية، فهذا نقض لقاعدته، فمقولة الميرزا تعنى بأن المفردات اللغوية الثلاثة وهي "الله"، "التوفي"، "الإنسان" تدل على أمور أربعة، وهي "الله"، "التوفي"، "الإنسان"، "الموت"، فهذا نقض صريح لقاعدة الميرزا.

كما نقول: إن حمل الميرزا المفردات الثلاثة على المدلولات الأربعة مخالفة لغوية صريحة لأصول دلالة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنه زيادة في المعنى خلاف نص القرآن الكريم، وهو إلحاد في آيات الله، لكون المفردات من نص القرآن الكريم.

فالقاعدة التي تأسست على الوجه المذكور، وتكون منقوضة بالأدلة اللغوية والقرآنية لا تثبت أن تكون قاعدة نحوية، ولا لغوية، ولا قرآنية، بل إنها دجل محض لصانعها لتحقيق أهدافه وإثبات فكرته الباطلة.

إيضاح مخالفة قاعدة الميرزا القرآن الكريم:

إن آيات القرآن التي تشمل ذكر التوفي الإنساني بفاعلية الله، حتى يكون التوفي كناية عن الإماتة، تُفرض وجود الحقائق الأربعة الآتية:

١- ذكر فاعلية الله.

٢- ذكر فعل التوفي.

٣- ذكر مفعولية الانسان.

٤- ذكر قرائن الموت.

ولقد فصلنا القول في بيان قرائن الموت في كل آية من آيات التوفي في وحدة الآيات في هذا المقال، فليراجع هناك.

ونضرب مثلا لذلك من آية "الزمر"، مع ذكر شمولها على أمور أربعة، وإفصاحها وبيانها، وهي الأربعة الآتية:

١- الله ..... دال على فاعلية التوفي.

٢- يتوفى ..... دال على فعلية التوفي.

٣- الأنفس ..... دال على مفعولية الانسان.

٤- حين الموت ويمسك ..... دال علو وجود قرينة الموت.

وجدنا من خلال بيان القرآن الكريم وجود المفردات الأربعة للدلالة على المعاني الأربعة في آيات التوفي الدالة على إماتة المتوفى، لكن الميرزا القادياني صرّح بذكر الأمور الثلاثة فقط في قاعدته المنقوضة لدلالة التوفي على إماتة المتوفى، **وهي كالآتي:**

(١) فاعلية الله، (٢) فعل التوفي، (٣) مفعولية الإنسان.

فتناسى الميرزا ذكر الأمر الرابع، وهو "وجود قرينة الموت"، وهي خيانته الظاهرة البينة، وهو الدليل الواضح لنقض قاعدته التي تدور حول الأمور الثلاثة فقط.

فلذا نقول: لقد خدع الميرزا الأمة المسلمة وأتباعه والبشرية أجمعها، وخان الله ورسوله، وخالف اللغة وأسلوب القرآن الكريم في صنلعته، فماذا قيمة تحديده المسلمين.

نقول بقول موجز: لما كان العامل الأساسي لدلالة التوفي على الإماتة، وجود قرينة الموت، لا وجود الأمور الثلاثة فقط، وهي فاعلية الله، وفعل التوفي، ومفعولية الإنسان، فقاعدة الميرزا منقوضة بذلك، وفقدت مصداقيتها، بل إنها قاعدة باطلة لا تمثل الواقع القرآني، كما إنها تخالف واقع اللغة العربية، بل إنها صناعة تبتني على الكذب والدجل والخيانة.

مثال تحدي الميرزا المسلمين:

ما وزن قول الميرزا حينما قال متحدياً ومطالباً من المسلمين عليهم أن يثبتوا "دلالة التوفي الإنساني عند فاعلية الله أو رسله" على غير الإماتة مستشهداً بالآيات القرآنية التي تشتمل على قرائن الموت؟ لا قيمة لقول الخائن.

فنقول: إن مطالبة الميرزا في تحديه تبتني على الدجل أيضاً، لأن التوفي متعين للإماتة عند وجود قرينة الموت، وعند ذلك طلب الميرزا من المسلمين

نماذج دلالتها على غير الموت، أو الإماتة، طلب منه أن نأتي بمثال لا يدل فيه الموت على الموت، وأن نأتي بمثال لا يدل "الإماتة" فيه على "الإماتة"، لعل الميرزا تناسى عند هذا الطلب تصريحه بـ"أن التوفي عند قرينة النوم مقرر للنوم"، فمثل ذلك نقول: إن التوفي عند قرينة الموت مقرر للموت وإماتة المتوفَّى، فبعد هذا الإيضاح الوافي والعرض الكافي لم يبق قاعدة الميرزا المنقوضة من أربع جهات مفخرة للقاديانية، ولم يبق لتحديده أي وزن وقيمة.

فنعم ما قاله المحدث السيد أنور شاه الكشميري رحمه الله تعالى:

"إن الشقي يطلب منا أن نأتي بمثال، لا يدل الموت فيه على الموت".

إلى هنا وقد قمنا بنقض قاعدة الميرزا بعدة نواقض، وفصلناها بأبسط الوجوه، فللّه الحمد والمنة.

ما قيمة الإيمان بالبعض والكفر بالبعض؟ وما الغرض القادياني من ذلك؟

إن آيات التوفي الموجودة في القرآن الكريم حسب القرائن على ثلاثة أنواع، الأول: ما تشتمل على قرينة النوم، والثاني: ما تشتمل على قرينة الموت، والثالث: ما خلا من قرينتي الموت والنوم، واشتمل على قرينة الرفع، ولا شك أن لكل نوع منها حكمه بسبب ما أثبت الله عزّ وجل فيه من القرينة، ونحن نوضح لكل من الفريقين أي الأمة المسلمة والقاديانية موقفه حول هذه الأنواع الثلاثة.

فموقف الأمة المسلمة فيها إثبات ما أثبته الله، وتفسير نص القرآن الكريم حسب ذلك.

وموقف القاديانية الاعتراف بالبعض، والمماطلة والتجاهل والتناسي في البعض سعياً منها لإثبات فكرتها في توفي عيسى عليه السلام.

لقد اعترف الميرزا القادياني بقرينة النوم والليل، وجعلها مقررا لدلالة التوفي الإنساني عند فاعلية الله "للنوم"، أي لنوم المتوفَّى، لا لموته، وتناسى مؤسس القاديانية في باب قرينة الموت هذا الحكم، رغم وجودها في جميع آيات التوفي، التي جعلها دليله في صناعة قاعدته، ولا شك أن وجود قرينة الموت هو العامل في دلالة التوفي فيها على الإماتة، ولم يعترف الميرزا بذلك، فمثل صنيعه في ذلك كالإيمان بالبعض والكفر بالبعض، وهدف الميرزا من ذلك التسوية بين آيات التوفي التي وجدت فيها قرينة الموت، وبين آية توفي عيسى عليه السلام الخالية من قرينتي النوم والموت، ولا شك إنه سعي فاشل من قبل الميرزا لإثبات فكرته الباطلة، ولعله زعم أن الأمة المسلمة لا تطلع على شناعة فعله هذا.

فموقف الأمة المسلمة في ذلك واضح، وهو موافق لما هو الواجب في حق القرآن الكريم، أي الإيمان بثبوت ما أثبته الله، والإيمان بعدم ثبوت ما لم يثبته الله، والآن نحن نوضح هذا الأمر في جدول موجز لبيان موقفي الأمة المسلمة والقاديانية في تعامل آيات التوفي، وغرضنا إفصاح دجل الميرزا ونقض قاعدته، لكونها مخالفة لصريح نصوص القرآن الكريم.

{ جدول موجز }

<table>
<tr><th colspan="3">آيات "التوفي" في القرآن الكريم:</th></tr>
<tr><td>التي تشمل على قرينة النوم.</td><td>التي تشمل على قرينة الموت.</td><td>آية توفي عيسى عليه السلام: الخالية من قرينتي النوم والموت، والمشتملة على قرينة الرفع.</td></tr>
<tr><td>﴿ وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ ﴾.</td><td>﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾.</td><td>﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾.</td></tr>
<tr><td>﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ۖ ﴾.</td><td>﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ﴾.</td><td rowspan="2">لا وجود لقرينتي النوم والموت، ويوجد "رافعك" قرينة الرفع</td></tr>
<tr><td>في المنام والليل قرينتا النوم.</td><td>﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾. حين الموت، والموت، ومجيء الرسل قرائن الموت.</td></tr>
<tr><th colspan="3">موقف الفريقين حول القرينة:</th></tr>
<tr><td>اعترفها الفريقان.</td><td>اعترفتها الأمة المسلمة. وتناستها القاديانية.</td><td>اعترفتها الأمة المسلمة. وتناستها القاديانية.</td></tr>
</table>

نقاشنا حول تعامل الفريقين:

إن إقرار ما أثبته الله هو شأن المؤمن، وإنكار ما أقرّه الله من شأن المنكرين.

أقرت الأمة المسلمة بقرينة النوم وأثرها في دلالة التوفي على الإنامة عند وجود قرينة النوم.

أقرت الأمة المسلمة بقرينة الموت وأثرها في دلالة التوفي على الإماتة عند وجود قرينة الموت.

أقرت الأمة المسلمة بقرينة الرفع وأثرها في دلالة التوفي على الرفع عند وجود قرينة الرفع.

أقر الميرزا بقرينة النوم لدلالة التوفي على الإنامة، ولم يصرح بذكر قرائن الموت في آيات القرآن الكريم التي تشتمل عليها، واخترع الميرزا من عنده أمراً باطلاً يخالف أصول دلالة الألفاظ على معانيها المقصودة بها، وهو كون التوفي الإنساني عند فاعلية الله بقبض الروح الذي يتحقق عن طريق الموت، وعلى هذا الأمر الباطل بنى قاعدته المذكورة التي تخالف أصول دلالة الألفاظ وأسلوب بيان القرآن الكريم قائلاً: "إذا كان التوفي من باب "التفعل"، وكان فاعله هو الله، ومفعوله أي إنسان، لا يراد منه إلا الموت أو الإماتة"، فهناك بون شاسع بين موقف الأمة المسلمة وموقف القاديانية في تعاملهما بآيات التوفي، ويطلع كل صاحب بصيرة ونظر من ذوي الأفهام بأن موقف الأمة المسلمة هو عين الحق والصواب، بأن التوفي الإنساني هو القبض التام للقابض، وعند ذكر قرينة النوم كناية عن الإنامة، وعند ذكر

قرينة الموت كناية عن الإماتة، وعند ذكر قرينة الرفع كناية عن رفع المتوفّى، فهذا الموقف يؤيده أصول دلالة المفردات، وهو يوافق بيان القرآن الكريم.

أما موقف القاديانية بأن التوفي الإنساني عند فاعلية الله تعالى، هو إماتة المتوفى، يخالف اللغة وبيان القرآن الكريم، وبهذا البيان ظهر الحق، وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا.

مسك الختام لتبصير الأفهام:

قد يزعم البعض بسبب قلة علمه وفهمه، وضعف ثقافته، أو يوسوس إليه موسوس، أو يزرع في فكره زارع بأن عيسى عليه السلام من البشر، فحينما بيّن القرآن الكريم توفي عموم البشر بالإماتة عند الأجل، أو بالإنامة في المنام، فلماذا لا يقاس توفي عيسى عليه السلام على ذلك، لكونه من البشر، ولإزاحة هذا الوهم، ولإزالة هذه الشبهة، ولتنوير البصائر، ولتبصير الأفهام، ولتقوية الإيمان، نقول: لا شك إن عيسى عليه السلام بشر، وهو داخل في حكم توفي عموم البشر، أي الإماتة عند مجيء الأجل، والإنامة وقت النوم، لكن هناك حكمة ربانية، وتصريح قرآني حول توفي مخصوص كخصوصية عيسى عليه السلام قبل أجله، حينما أحاطه أعدءه، وتخصيص الله إياه برفعه إلى سمائه عند ذلك، ثم إنزاله إياه منها إلى الأرض، ولا يمكن لأحد نزع هذه الخصوصية منه، وهيي من منن الله ونعمه الخاصة، كما صرح القرآن الكريم، وذكّره ربه في موقف تذكير النعم، وبخطاب يخصه، فلا يتجرأ مؤمن بالله ورسوله، ومصدق بحِكَمِه أن يتجرأ بالقول بنفي ما أثبته الله.

أما القاصد لغير الحق لغرض من الأغراض أو هدف من الأهداف من أهل الضلال والإضلال فقد يتجرأ لذلك، ويلجأ إلى التأويلات الباطلة في نصوص الشرع، والتي تبعد الناس من سبيل المؤمنين.

فلتبصير الأفهام وتنوير البصائر نقول: إن التوفي العيسوي حدث مخصوص بشخص معين، وهو عيسى عليه السلام، قد أخير الشارع عنه، وآمنت الأمة المسلمة بهذه الخصوصية لنبي الله عيسى عليه السلام، مؤمنةً بأن الله عزيز حكيم، فبقدرته ومقتضى حكمته قد حصل توفى الله عيسى عليه السلام، فهو قبضه بالجسد والروح، ورفعه إلى السماء، كما أقر ذلك في القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ** ﴾ **[آل عمران: ٥٥]**، فلا استبعاد ولا استغراب للمؤمن في وقوع ذلك، فإنه من عمل العزيز الحكيم، وإنه من الخوارق، والخوارق داخلة في سنة الله وتحت قدرته، وإن كانت تخالف المعتاد، هذا هو شأن المؤمنين في هذا الباب، وبيزداد المؤمنون إيماناً بربهم، وتصديقا للصادق المصدوق النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم بتوفي رفع عيسى عليه السلام، أما الذين في قلوبهم ريب في قدرة الباري جل وعلا، ومن سلك غير مسلك المؤمنين، فإن الخوارق عنده من المستحيلات.

فيستغرب ويستبعد بمثل هذه الخوارق فيضل، ويُضلّ، ثم يؤول في نصوص الشارع الواردة في الخوارق في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ثم يرد النقل المتواتر، ويخالف الإجماع (أي إجماع المفسرين في ذلك)، والذي نشير إليه فيما بعد.

ونقول: نصحاً للقاديانية ومن على شاكلتها:

إن اسم السيوطي رحمه الله تعالى مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية، فمن قبل من القاديانية ضابط السيوطي المثبت في "الإتقان"، وموضوعه بيان أصول تفسير القرآن، رفض قاعدة الميرزا المنقوضة من كل جهة، وعرف الحق والصواب في هذا الباب.

يقول السيوطي رحمه الله تعالى في الأمور التي لا قياس فيها: "ومنها القصص فلا يقاس حدث على حدث آخر".

فلذا نقول: إن انفراد عيسى عليه السلام في توفي رفع، وكونه حدثا وحيداً، لا نظير له، ينقض قاعدة الميرزا بكل قوة، ويبطل طلبه من المسلمين بإتيان نظيره، كما يمنع القاديانية من إجراء القياس في بابه، فماذا يعم البشر كلهم من نوعي التوفي، أي الموت عند الأجل وقرينته، والنوم عند قرينته، يشارك عيسى عليه السلام البشر كلهم فيهما، (أي الإماتة عند الأجل، والإنامة في المنام)، كما يشاركهم كلهم في عدم الإماتة قبل الأجل، وهذا الذي نثبته نحن، لكن الميرزا يسعى لإماتة عيسى عليه السلام قبل الأجل خلاف سنة الله في عموم البشر، وخلاف بيان القرآن الكريم في شأنه، وخلاف النقل المتواتر، وخلاف تفسيرات المفسرين المسلمين في توفي عيسى عليه السلام، فلم يؤمن الميرزا بخصوصيته وانفراده في باب توفي الرفع، وخالف الميرزا في باب توفيه اللغة وبيان القرآن الكريم وتفسيرات المفسرين الإسلامين التي اتفقت، وأجمعت في تعيين توفي عيسى عليه السلام عندما أحاطه أعداؤه أنه توفي رفع إلى السماء، وينزل عيسى عليه السلام من

السماء ثانية، ثم يقع إماتته عند مجيء الأجل وفق سائر البشر.

ونحن نذكر الآن في جدول ما الذي يخص عيسى عليه السلام لتخصيص الله إياه به، وما الذي يشاركه فيه البشر، لكونه من البشر، وهذا الجدول من أهم عوامل نواقض قاعدة الميزا.

جدول أنواع "التوفي" مع إفصاح حالة "المتوفَّى" خصوصية المتوفَّى الخاص، واشتراكه في توفي عموم البشر:

عدد	نوع التوفي	الأمر المشترك	الأمر المميز	المتوفَّى	حالة المتوفَّى
١	الإماتة	القبض التمام	المميز قرينة الموت	الله	المتوفى ميت
٢	الإنامة	القبض التمام	المميز قرينة النوم	الله	المتوفَّ نائم
٣	الرفع	القبض التمام.	المميز وجود قرينة الرفع مع خلوه من الموت والنوم.	الله	المتوفَّ حي يقظان، وهو عيسى عليه السلام المرفوع عند الحدث، ويكون ميتا عند الأجل مثل عامة البشر.

ونحن الآن نذكر لنقض قاعدة الميرزا وإبطال فكرته الباطلة وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين، لأنه توفي عيسى عليه السلام، ونعرف خلال ذلك أن مآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين لآية توفي عيسى عليه السلام إثبات عقيدة الأمة المسلمة وإبطال دجل القاديانية، ونقض قاعدة الميرزا.

مآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين:

أجمع المفسرون المسلمون على أمور ثلاثة في توفي عيسى عليه السلام، (١) حياة عيسى عليه السلام، (٢) رفع عيسى عليه السلام إلى السماء حيًا بجسده وروحه، (٣) بقاء شخصه حيًا هناك، ونزوله منها قرب الساعة.

تعددت وجوه تفسيرهم لآية توفي عيسى عليه السلام، وتلك الوجوه كلها تثبت عقيدة الأمة المسلمة في باب عيسى عليه السلام.

ونحن الآن نعرض هذه الوجوه كلها دفعاً لخلط القاديانية في توفي عيسى عليه السلام، التي خانت بالنقل الناقص من أقوال أهل التفسير لغرض تشويه ما هو من المسلمات الدينية وما أجمع عليه الأمة المسلمة؟.

الوجه الأول:

الوجه الأول في النص الوارد في توفي عيسى عليه السلام أن اللفظ ظاهر الدلالة، **وذلك على النحو الآتي:**

١) "متوفيك" أي قابضك تمامًا، والقبض التام للشخص المخاطب عيسى عليه السلام، هو قبض الله إياه بجسده وروحه.

٢) ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي أن الله رافع الشخص المخاطب، وهو عيسى عليه السلام بالروح والجسد إلى السماء، فإن الرفع إلى الله في القرآن الكريم هو "الرفع إلى السماء".

٣) "مطهرك من الذين كفروا" أي أن الله مطهر الشخص المخاطب المقبوض تمامًا، والمرفوع إليه بإيصاله إلى مكان لا يمكن لمنكريه الوصول إليه.

لقد وقعت الأمور الثلاثة، وهي "التوفي" و"الرفع" و"التطهير" لشخص عيسى عليه السلام الكامل، ويدل النص القرآني بمفرداته على وجه الظهور التام حيث ذكرت الأمور الثلاثة بظاهر اللفظ، لا عن طريق الكناية، فثبت حياة عيسى عليه السلام، ونقله إلى السماء بالروح والجسد، وإيصاله إلى السماء، وهو حيٌ موجود هناك إلى أن ينزله الله إلى الأرض، ولا وجود لذكر وقوع موت عيسى عليه السلام، لا على وجه الصراحة، ولا على وجه الكناية، ولا يلزم لهذا التفسير تقديم ولا تأخير، ولا يحتاج هذا الوجه من التفسير إلى التقدير، ولا تكرير فيه، فلذا نقول: إن هذا الوجه من أرجح التفاسير، وأوفق للنص.

الوجه الثاني:

إن الأمر الأول: "متوفيك" معناه قابضك تمامًا، ويصدق القبض التمام في القرآن الكريم على أكثر من نوع على الإماتة، وعلى الإنامة، وعلى الرفع، وصار "التوفي" جنس، يحتاج إلى تعيين أحد أنواعه من الأنواع المذكورة.

الأمر الثاني: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي ناقلك إلى السماء، قد عيّن نوع القبض التام، وهو رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، فهذا هو التكرير.

الأمر الثالث: "مطهرك من الذين كفروا"، أي بإيصالك إلى مكان لا يمكن لأعداءك الوصول إليه.

وعلى هذا التأويل "متوفيك" جنس، أي قبض تام يعيّن نوعه "رافعك"، فصار هذا "التوفي" كناية عن "الرفع" بقرينته "ورافعك إليّ"، بيّنَ ما كان مكينا في "متوفيك"، فهكذا صار "متوفيك" كناية عن "الرفع"، والنص "مطهرك" شاهد آخر لرفع عيسى عليه السلام إلى السماء"، ولا يلزم لهذا الوجه أي تقديم وتأخير في اللفظ، وثبت حياة عيسى عليه السلام ورفعه حيا إلى السماء، ولا ذكر لموته إطلاقًا.

الوجه الثالث:

إن الأمر الأول: "متوفيك" يُحمل على "منيمك"، فصار "متوفيك" كناية عن الإنامة.

والأمر الثاني: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ معناه ناقل إياك إلى السماء، فإن الرفع إلى الله في القرآن، هو الرفع إلى السماء، فهكذا يدل هذا النص على رفع عيسى عليه السلام إلى السماء.

والأمر الثالث: "ومطهرك من الذين كفروا"، معناه "التطهير من المنكرين"، وإنما هو حاصل بإيصال الله عيسى عليه السلام إلى السماء، حيث لا

يمكن لأعدائه الوصول إليه.

فدل لفظ "متوفيك" على وجه الكناية على إنامة عيسى عليه السلام، وثبت بصريح النص رفعه حيًا إلى السماء، فـ"متوفيك" كناية عن الإنامة والرفع ظاهر الدلالة على معناه، ومثله "التطهير" ظاهر على معناه.

وعلى هذا التفسير ثبت حياة عيسى عليه السلام، ورفعه حيًا إلى السماء، ولا يوجد ذكر موته أصلاً.

الوجه الرابع:

الأمر الأول: "**متوفيك**" يُحمل على "**مميتك**"، ويقدر هنا قرينة الموت "أي بعد إنزالي إياك من السماء"، ولم يقع هذا الأمر حتى الآن، وذكر الموت على وجه الكناية عند وجود قرينته مقدّم في الذكر، ويكون وقوعه مؤخّراً بعد نزوله من السماء إلى الأرض وعند مجيء أجله.

الأمر الثاني: ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ أي رافعك الآن إلى السماء، فاللفظ دال على ظاهر المعنى، وذكره مؤخرٌ ووقوعه مقدم.

الأمر الثالث: ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [آل عمران: ٥٥]، أي حصل التطهير بإيصال عيسى عليه السلام إلى السماء حيًا، وهو موجود هناك إلى أن ينزله الله إلى الأرض، ويحصل في العالَم ما هو مقدر من الله عزّ وجلّ إتمامه على يديه -إن شاء الله- من رفع شأن الإسلام، ودفع الظلم، وإقامة العدل، وغلبة الإسلام على سائر الأديان.

وعلى هذا الوجه صار "التوفي" كناية عن "الإماتة" المتأخرة المقيدة بنزول عيسى عليه السلام إلى الأرض من السماء ثانيةً، ومجيء أجله عليه السلام، وعلى هذا الوجه يلزم تقدير قيد "الإماتة" وقرينته، ويلزم التقديم والتأخير، أي ما يحصل مؤخرًا من إماتة عيسى بعد نزوله من السماء ذكر مقدماً، وما حصل من رفعه وتطهيره مقدمًا أُخِّر ذكره من "متوفيك"، كما يلزمه تقدير قرينة الإماتة.

وعلى هذا التفسير كُنِيَ بالتوفي عن الإماتة بقرينتها، وهذا يدل على عدم وقوع موته إلاّ بعد إكماله عمره الأرضي، ومجيء أجله.

وعلى هذا الوجه لا وجود لذكر موت عيسى عليه السلام الذي قد وقع، كما زعمت القاديانية، بل وقد صُرّح في القرآن الكريم لرفعه عليه الصلاة والسلام حيًا إلى السماء، حيث قال: "بل رفعه الله إليه"، وقد وقع الرفع والتطهير قبل وقوع توفيه أي توفي موته.

فهكذا أجمع وجوه التفسير كلها على حياة عيسى عليه السلام، ورفعه حيًا إلى السماء، وإن تعددت إلى أربعة وجوه، وفيما يلي جدول هذه الوجوه الأربعة.

جدول تفسيرات المفسرين:

الأول	الثاني	الثالث	الرابع
نصت الآية بظاهرها. التوفي: (القبض التام) للشخص المخاطب بالروح والجسد حيًا. الرفع إلى الله: نقله من الأسفل إلى الأعلى. التطهير: إيصاله إلى السماء.	الأمر الأول: التوفي: هو الجنس. الأمر الثاني: الرفع: قرينة تعيين نوعه بالرفع، قضية التكرير. الأمر الثالث: التطهير: إيصاله إلى السماء. (بحيث يكون مطهراً من أيدي أعدائه).	الأمر الأول: متوفيك: كناية عن الإنامة. الأمر الثاني: رافعك إليّ: نقله من الأسفل إلى الأعلى. الأمرا لثالث: التطهير: من المنكرين إيصاله إلى السماء.	الأمر الأول: متوفيك: كناية عن الإماتة بقرينة مقدرة. الأمر الثاني: رافعك إليّ: نقله من الأسفل إلى الأعلى. الأمرا لثالث: التطهير: إيصاله إلى السماء.
لا التكرير، ولا التقديم والتأخير، ولا التقدير.	ولا التقديم والتأخير، ولا التقدير. وفيه التكرير.	الكناية حالية. لا التكرير، ولا التقديم والتأخير ولا التقدير.	الكناية مع تقدير القرينة. لا التكرير، ولا التقديم والتأخير.
ثبت حياة عيسى، ورفعه إلى السماء بالروح والجسد.	ثبت حياة عيسى، ورفعه إلى السماء بالروح والجسد.	ثبت حياة عيسى، ورفعه إلى السماء بالروح والجسد.	ثبت حياة عيسى، ورفعه بالروح والجسد ونزوله.

محصل هذه الوجوه:

أجمع المفسرون المسلمون على حياة عيسى عليه السلام، ورفعه بجسده وروحه إلى السماء، ونزوله منها.

لم يقل أحد من المفسرين المسلمين يحمل "متوفيك" على "مميتك" عند ذلك الحدث، أي عند مكر اليهود بعيسى عليه السلام، أو بعد "٨٤" عاماً إثر ذلك الحدث، وقبل نزوله من السماء.

لم يؤول أحد من المفسرين رفع عيسى عليه السلام بحمله على الرفع الروحي، أو على رفع الدجات.

- من جعل النص صريحًا في مدلوله أثبت القبض على وجه التمام للشخص المخاطب بالروح والجسد، ورفعه كذلك، وإيصاله إلى السماء كذلك.
- من قال "متوفيك" جنس، عيّن نوعه بقوله تعالى "رافعك" بالرفع، فصار توفيه كناية عن الرفع.
- من حمل "التوفي" على "الإنامة"، جعل "الرفع" على ظاهره.
- من حمل "التوفي" على "الإماتة"، قيّده بـ"بعد إنزالي إياك من السماء، ومجيء الأجل"، وصرح بعدم وقوع الموت وصرّح بوقوع الرفع والتطهير.

فلذا نقول: أجمع المفسرون المسلمون في آية "توفي عيسى عليه السلام" على حياته، ورفعه إلى السماء، ونزوله منها، كما أجمعوا على عدم وقوع

موته إثر مكر اليهود، وقبل نزوله من السماء، وصرّح القرآن الكريم بـ"إن موته مقيد بإيمان أهل الكتاب أجمعهم، نحو قوله تعالى: "وإن من أهل الكتاب إلاّ ليؤمنن به قبل موته".

ما هو المجمع عليه عند المفسرين المسلمين؟:

لا يخالف أي وجه من وجوه التفسير المذكورة عقيدة الأمة المسلمة حول حياة عيسى عليه السلام، ورفعه ونزوله، بل جميع الوجوه مثبتة لها.

فمن قال إن الأمور الثلاثة مذكورة بأسلوب الصراحة، صرّح بأن التوفي هو قبضه تمامًا حيًا بالروح والجسد، ورفعه إلى السماء كذلك، ولم يذكر موته إطلاقاً.

ومن جعل "متوفيك" أي "قابضك تمامًا" كناية عن "الرفع"، صرّح بحياته، ورفعه إلى السماء، ولم يذكر موته إطلاقاً.

من جعل "متوفيك" كناية عن "الإنامة"، صرّح بحياته، ورفعه إلى السماء، ولم يذكر موته إطلاقاً.

من جعل "متوفيك" كناية عن "الإماتة" بعد إنزال الله إياه من السماء، صرّح بحياته، ورفعه إلى السماء ونزوله، لأن موته الذي يقع في المستقبل مشروط بنزوله من السماء عند مجيء الأجل.

فمآل تفسيرات المفسرين المسلمين نقض لما سمّاه الميرزا "القاعدة"، فكونها مخالفة لأهل التفسير أجمعهم هو ناقض مستقل لقاعدة الميرزا في حد ذاته.

قاعدة الميرزا عقيمة التطبيق:

قلنا في تعريف القاعدة إنها أمر كلي ينطبق على جزئياته الكثيرة، ولكننا نجد أن قاعدة الميرزا عقيمة في هذا المجال، فلا فرد لها في الوجود ما ينطبق عليه هذه القاعدة، وذلك لتحليلنا على الوجه الآتي لآيات التوفي الموجودة في القرآن الكريم، وهي على ثلاثة أنواع.

١- آيات التوفي التي فيها ذكر قرينة النوم والليل، فهذه القرينة قررت أن يكون التوفي كناية عن نوم المتوفَّى، ولم يعين التوفي لدلالته على نوم المتوفّى، هذا اللفظ نفسه، ولا فاعلية الله، أو مفعولية الإنسان، بل الذي صرف التوفي من معناه الوضعي (القبض التام) الجنس، وعينه للنوم هي قرينة النوم لا غيرها، وصرح بذلك متنبئ القاديانية أيضاً، فلا يوجد أي آية من هذه الآيات، وأي جزء ينطبق عليها قاعدة الميرزا، وهو دلالة التوفي على إماتة المتوفى بسبب فاعلية الله، ومفعولية الإنسان منع ذلك قرينة النوم.

٢- آيات التوفي التي تشتمل على قرينة الموت، والذي تقرر أن يكون التوفي كناية عن موت المتوفَّى هي قرينة الموت، ولم يعين لفظ التوفي لذلك، ولا فاعلية الله، ولا مفولية الإنسان، وقرينة الموت في هذه الآيات كدور قرينة النوم والليل في النوع الأول، فلا يوجد أي فرد في هذه الآيات ينطبق عليه قاعدة الميرزا.

٣- آيتا توفي عيسى عليه السلام لا يوجد فيها قرينة الليل والنوم، فلو سعى الميرزا تطبيق قاعدته عليها بسبب عدم وجود قرينة النوم والليل.

نقول لنقض ذلك ما يلي:

أولاً: هذا تأسيس القاعدة على "العدم"، وعلى "ما لم يذكر"، والقاعدة تبتني على "الوجود"، وعلى "ما يذكر".

ثانياً: هناك مانع قوي من حمل هذا التوفي على موت المتوفى، (أي عيسى عليه السلام)، وهو عدم وجود قرينة الموت التي تقرر "التوفي" لدلالته على إماتة "المتوفَّى"، فنص آيتي توفي عيسى عليه السلام حجة قاطعة على أن قاعدة الميرزا لا فرد لها في الوجود في هذا النوع من التوفي، وهو توفي عيسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ **[آل عمران: ٥٥]**، أو في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ **[المائدة: ١١٧]**.

ثالثاً: إن وجود قول الله عزّ وجل: "ورافعك" بعد قوله جل وعلا "متوفيك" دليل على كون هذا التوفي "توفي رفع" لا "توفي موت".

فهكذا تلاشت قاعدة الميرزا التي لا فرد لها في الوجود في آيات القرآن الكريم كلها، وهي دلالة التوفي على إماتة المتوفى بسبب فاعلية الله، ومفعولية الإنسان.

فآيات توفي النائمين: قرّرت فيها قرينة النوم، ليكون التوفي كناية عن نوم المتوفَّى.

وآيات توفي الأموت: قرّرت فيها قرينة الموت، ليكون التوفي كناية عن موت المتوفَّ.

وآية توفي عيسى عليه السلام: قرّرت فيها قرينة الرفع، ليكون التوفي كناية عن رفع المتوفَّ.

كما منع عدم وجود قرينة النوم حمله على نوم المتوفّ.

ومنع عدم وجود قرينة الموت حمله على موت المتوفى، (أي عيسى عليه السلام). ولا فرد لها في كتب النحو، ولا فرد لها في كتب اللغة، فهي عقيمة التطبيق، وهذا آخر ما قصدناه لنقض قاعدة الميرزا.

إلى هنا وقد وفقنا لإتمام ما قصدنا في هذه الوحدة من نقض قاعدة الميرزا وبيان مآل تفسيرات المفسرين في حياة عيسى عليه السلام.

"الوحدة الحادية عشرة"

عرض آيات التوفي في القرآن الكريم
مع ذكر القرائن وتحديد المدلولات

وفي هذه الوحدة نحن نعرض آيات "التوفي" في القرآن الكريم مع ذكر القرائن التي تحدّد مدلولات "التوفي".

جدول آيات "التوفي" في القرآن الكريم:

الكلمة	القرآن الكريم	القرينة	المدلول
يُتَوَفَّوْنَ	﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة: ٢٣٤].	ترك الأرامل وذكر العدة والوصية	التوفي كناية عن الإماتة بسبب قرينة الموت
يَتَوَفَّى	﴿ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ ﴾ [النساء: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [السجدة :١١].	لفظ الموت وملك الموت وبشارات الجنة.	//
تَوَفَّى	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].	حضور الملائكة ومسألتهم	//
يَتَوَفَّوْنَ	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٣٧].	حضور الملائكة لهذا القبض	//
يَتَوَفَّى	﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [الأنفال: ٥٠].	//	//
تَوَفَّتْ	﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴾ [محمد:٢٧].	//	//

يَتَوَفَّى	﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السجدة: ١١].	ذكر الملائكة	//
نَتَوَفَّى	﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [يونس: ٤٦].	ورد "توفى": في مقابلة "نرين" كناية عن الفناء	//
يَتَوَفَّى	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ ﴾ [الحج: ٥].	ذكر مراحل الحياة	//
تَوَفَّ	﴿ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣].	قرينة الأجل	//
توف	﴿ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠١].	//	//
يَتَوَفَّى	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ [الأنعام: ٦٠].	الليل قرينة النوم	التوفي كناية عن الإنامة.
يَتَوَفَّى	﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢].	حين الموت، قرينة الموت	"التوفي" كناية عن الإماتة بسبب قرينة الموت.

كل من يقرأ هذه الآيات القرآنية الواردة في باب "التوفي"، يجد بكل وضوح أن "التوفي" مع قرينة الموت كناية عن إماتة "المتوفَّ"، وعند قرينة النوم كناية عن إنامة "المتوفَّ"، وبدون قرينتي الموت والنوم هو القبض التام فقط للمتوفَّ، وحينما ذكر مع التوفي رفع المتوفَّ وتطهيره، فهذا يدل على حياة المتوفَّ، وهو توفي عيسى عليه السلام، أي قبضه الله على وجه التمام، ورفعه إليه، وأوصله إلى سمائه، وهذه هي عقيدة الأمة المسلمة وفق بيان القرآن الكريم الصريح في توفي عيسى عليه السلام.

"الوحدة الثانية عشرة"

مفردات آيات التوفي
وتطبيق الحدود الشائعة
(أي المصطلحات العلمية على التوفي)
بين أهل العلم

نحن في هذه الوحدة ندرس مفردات آيات التوفي وفق حدود الأشياء التي يجب الاطلاع عليها لكل من يخوض في تفسير القرآن الكريم، ويجب أن يتوفر في طالب العلم صلاحية تطبيقها على مفردات القرآن الكريم والسنة واللغة، أينما وردت، لكي يوصل إلى المدلول الصحيح للتوفي، ولكي يردّ أهل العلم على زيغ المبطلين وإلحاد الملحدين بكل بصيرة، ويحمي الثوابت الدينية والمسلمات الإسلامية، وهذه وظيفة ورثة الأنبياء.

وها هي مفردات آيات التوفي، كما يلي:

١) التوفي.

٢) الأنفس.

٣) عيسى عليه السلام.

٤) كاف الخطاب.

٥) كم.

٦) الذين.

٧) اللاتي.

١ - التوفي:

لفظ وضع "للقبض التام"، وهو معنى معلوم بمعزل عن الأفراد.

أي موحد المعنى، معلوم المراد، غير موضوع للأفراد.

وحكم الخاص: أنه يتناول المخصوص قطعاً أي يحمل على مراده بدون زيادة أو نقصان حتماً.

و"**التوفي**" اللفظ الخاص "مفرد"، وليس بمركب، فلا بد أن يكون معناه مفردًا أيضًا، **فالتوفي** معناه المفرد "القبض على وجه التمام"، فمن فسره بقبض الروح، فقد أخطأ، لأنه زاد في مدلول اللفظ الخاص قطعي الدلالة، فتفسير "التوفي" بقبض الروح تفسير باطل، لأنه حمل اللفظ المفرد على المعنى المركب، فهذه مخالفة صريحة اللغة والحدود، والقرآن، ومعارضة لحدود الأشياء.

صدق مفهوم التوفي:

"**التوفي**" هو "القبض التام"، وهو مفهوم يصدق على الكثرة، إذا هو أمر كلي.

والكثرة مختلفة الحقيقة، فهو جنس، لأن القبض التام حين الموت مع إمساك الشخص كناية عن إماتة المتوفَّى، و"القبض التام" في المنام مع الإرسال كناية عن إنامة "المتوفَّى"، و"التوفي" مع قرينة الرفع هو رفع "المتوفَّى"، وهذه الماهيات "الإماتة" و"الإنامة" و"الرفع" مختلفة الحقيقة.

- وليس التوفي من العام لعدم وضعه للأفراد، أما صدق معنى التوفي على الكثرة، فلا يخرجه من الخاص، لأن جانب الصدق غير ملحوظ في الخاص، وإنما الملحوظ فيه الوضع للمعنى الواحد.
- وليس التوفي من المشترك، لأنه لم يوضع للمتعدد من المعاني.
- وليس التوفي من المنقول، فلا ناقل له.

❋ وليس التوفي من قبيل الحقيقة والمجاز، فإنه لا يستعمل مجازاً لأي معنى، وإنما يستعمل كناية عن الإماتة، وعن الإنامة، وعن الرفع وفق القرينة الموجودة.

كما يستعمل التوفي في اللغة والقرآن كالصريح للقبض التام، نحو توفي عيسى عليه السلام بدون قرينة الموت أو النوم، ويستعمل كالكناية عن "الإماتة" كتوفي الأنفس حين الموت.

وعن الإنامة كتوفي الأنفس حين المنام.

وعن "الرفع" كتوفي عيسى عليه السلام مع "الرفع" و"التطهير".

فـ"القبض التام" هو الظاهر عند إطلاق لفظ التوفي خالية من أية قرينة.

التوفي كالكناية:

إذا وجد مع "التوفي" أمر آخر هي قرينة تُصرف التوفي إلى مدلوله وفق القرينة، فيكون التوفي كناية عن معنى يطابق قرينته، فالتوفي مع قرينة الموت كناية عن إماتة المتوفَّى، ومع قرينة النوم كناية عن إنامة المتوفَّى، وبدون قرينة الموت والنوم، "التوفي" هو الظاهر في "القبض التام" للمتوفَّى فحسب.

وليعلم أن التوفي عند وجود قرينة الرفع كناية عن رفع المتوفَّى حتماً، هذا من مقتضيات مفردات آيات "التوفي".

٢ - الأنفس:

"الأنفس" جمع، مفرده النفس، ومعناه الأرواح، وهو لفظ موضوع للمعنى الواحد الذي ينتظم جمعا من الأفراد فهو عام.

وحكمه: أنه مثل الخاص قطعي في تناول مدلوله الوضعي، فيعم أرواح جميع البشر، سواء أكان "توفي الأنفس" حين الموت، أو "توفي الأنفس" في المنام، ويشمل عيسى عليه السلام أيضًا، فتوفيه عند أجله إماتته، وتوفيه في المنام إنامته، عند رفع الله إياه إليه رفعه عليه السلام.

٣ - عيسى عليه السلام:

لفظ وضع لمسمىً معلوم، فهو خاص الفرد، فحينما ذكر خطاب توفيه الخاص به يكون المراد عيسى عليه السلام، وهو المخصوص بهذا التوفي لا غيره، ولا يوجد لهذا النوع من التوفي إلاّ فرد واحد، فعند ذكر توفي الأنفس حين الموت، أي عند الأجل يدخل فيهم عيسى عليه السلام، وكذلك عند ذكر توفي الأنفس في المنام يدخل فيهم عيسى عليه السلام أيضًا، لأن الخاص يدخل في العام، ولا عكس.

أما توفي عيسى عليه السلام، والذي معه رفعه وتطهيره وفق تصريح القرآن الكريم الخاص به، لا يكون لغيره، وقد ذكره في القرآن الكريم بدون قرينة الموت وبدون قرينة النوم، فلا يكون هذا التوفي إماتة، ولا إنامة، وحينما صرّح القرآن مع توفي عيسى عليه السلام رفعه تعيّن أنه "توف رفع"، لأن القرآن الكريم قد أعلن بوقوع رفعه حتمًا في قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨]، كما صرح بشرط وقوع موته، قائلاً: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [النساء: ١٥٩]، فلا يقع موته

قبل تحقق هذا الشرط، ودخول كافة أهل الكتاب في دائرة الإسلام والإيمان.

٤ - كاف الخطاب في "متوفيك":

لفظ وضع للمعنى المعلوم، وهو المفرد المذكر المخاطب، وهو ضمير، مرجعه عيسى عليه السلام، والنص القرآني في هذا هو قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [آل عمران: ٥٥]، فالكاف في التوفي وفي الرفع وفي التطهير مخصوص بعيسى عليه السلام، فهذا التوفي هو قبض الله تعالى الشخص المخاطب بالكاف على وجه التمام دون الإماتة والإنامة، والذي قد جُمع له مع توفيه رفعه وتطهيره.

٥ - "الذين" في قوله "والذين يتوفون منكم":

لقد ورد في القرآن الكريم عند ذكر التوفي لعموم البشر لفظ "الذين" مفرده "الذي"، وهو لفظ موضوع لمعنىً معلوم، ألا! وهو جماعة العقلاء، يشمل جمعًا من الأفراد، فهو عام، فتوفيهم حين يذرون الأزواج يُحمل على إماتتهم بسبب وجود قرينة الموت، لا لأن التوفي يدل على قبض الروح.

٦ - "كم" في قوله تعالى: {يتوفون منكم}:

وهو لفظ موضوع لمعنى معلوم، ألا! وهو جماعة المخاطبين، أي أنه لفظ يشمل جمعاً من الأفراد، فهو عام.

٧ - "اللآتي" في قوله تعالى: "واللآتي يأتين الفاحشة من نسائكم" إلى آخره "حتى يتوفاهن الموت":

"اللآتي" مفرده التي، وهو لفظ موضوع لمعنىً معلوم، ألا! وهو جماعة العقلاء من النساء، يشمل جمعًا من الأفراد، فهو عام، "فتوفيهن" كناية عن موتهن بسبب ذكر قرينته، وهو إسناد "التوفي" إلى "الموت" لا لأن التوفي يدل على قبض الروح، كما أن أسناد "التوفي" إلى الموت دليل على أن التوفي لا يرادف الموت، وإلاّ لما صحّ هذا الإسناد لكون المغايرة بين المسند والمسند إليه.

محصل هذا التحليل:

هذا تحليل مفردات آيات التوفي وفق الحدود الشائعة بين أهل العلم، فوجدنا في بيان القرآن أنه لا يوجد دلالة لفظ "التوفي" على إماتة المتوفّى بدون قرينة الموت، ولا على إنامة المتوفَّى بدون قرينة النوم أو الليل، فلذا من حمل توفي أحد دون قرينة الموت على إماتة المتوفى، أو حمل توفي أحد بعدم وجود قرينة النوم أو الليل على إماتة المتوفّى، فإنه خالف اللغة، وألحد في آيات الله، وتأويله باطل من حيث اللغة، ومن حيث بيان القرآن الكريم، وفي ضوء الحدود العلمية أيضاً، ويأبى ذلك العقل والنقل، ويرفضه بيان القرآن الكريم في "توفي الأنفس"، و"توفي عيسى عليه السلام" في القرآن الكريم.

جدول تطبيق الحدود الفنية في باب "التوفي":

التوفي لفظ خاص، ومعناه "القبض التام"، وهو مفهوم يصدق على الكثرة المختلفة، فجنس، وقد ورد في القرآن الكريم مطلقاً ومقيداً وصريحاً وكنايةً، وفيما يلي جدول ذلك.

حيثيات	التوفي دراسة	
من حيث الوضع.	خاص	لوضعه للمعنى المعلوم (وهو القبض التام) بمعزل عن الأفراد في الوضع.
من حيث الصدق.	كلي	لصدق مفهومه على الكثرة.
//	جسن	لكون الكثرة متعددة الماهية.
//	أنواعه	١- "الإماتة"، ٢- "الإنامة"، ٣- "الرفع".
//	أفراد الإماتة وحالة المتوفى	الأنفس البشرية عند الأجل كثيرون في الوجود، وهم أموات.
//	أفراد الإنامة وحالة المتوفى	الأنفس البشرية في المنام، أفراده كثيرون، وهم نائمون.
//	أفراد الرفع وحالة المتوفى	في والوجود فرد واحد، وهو عيسى عليه السلام، وهو مرفوع حياً.
من حيث الاستعمال	مطلق	بدون ذكر أي قيد يدل على وجه الصراحة على "القبض التام" للمتوفَّ.
//	مقيد	بذكر قيد "حين الموت"، أو بتقديره كناية عن إماتة المتوفَّ.
//	//	بذكر قيد "في المنام"، أو بتقديره كناية عن إنامة المتوفَّ.

"الوحدة الثالثة عشرة"

تعامل الميرزا الباطل
بتوفي عيسى عليه السلام
وإبطاله

تعامل الميرزا القادياني مع آية توفي عيسى عليه السلام:

فسر الميرزا غلام أحمد القادياني توفي عيسى عليه السلام المذكور في قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، كالآتي:

النص الأردي:

یعنی اے عیسی میں تجھے وفات دینے والا ہوں، اور پھر عزّت کے ساتھ اپنی طرف اٹھانے والا، اور کافروں کی تہمتوں سے پاک کرنے والا ہوں".

وتعريب كلام الميرزا ما يلي:

"أي يا عيسى إني مميتك، وثم رافعك إليّ بالعزّ، ومطهرك من تهم الكفار".

النقاش الإيماني حول الإلحاد القادياني:

نقول: من يدرس "التوفي" في القرآن الكريم، سواءٌ أكان "التوفي العام" لعموم البشر، أو "التوفي" الخاص لعيسى عليه السلام، يشهد بعد أدنى تأمل بأن تفسير الميرزا ليس إلاّ إلحاد صريح في آيات الله، وبعدة وجوه:

أولاً: حمل الميرزا "متوفيك" على "مميتك" بدون تقدير قرينة الموت، كما صرّح بذلك كل من حمل "متوفيك" على "مميتك" قائلاً أي "بعد إنزالي إياك من السماء، وعند مجيء الأجل"، فهذه خيانة من قبل الميرزا في النقل، واستخدام النص القرآني لتأييد فكرته الباطلة حول حياة عيسى عليه السلام، فتفسير الميرزا "متوفيك" بـ"مميتك" بدون أي تقدير خلاف بيان القرآن

الكريم ولفظه المذكور، وخلاف مفردات الآية.

ثانيًا: فيه خروج من سبيل المؤمنين وتفسيرات المفسرين الإسلاميين.

ثالثاً: حمل الميرزا ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ على رفع عيسى عليه السلام إلى الله بالعز أمر يخالف نص القرآن الكريم الصريح، فالرفع ظاهر في النقل من الأسفل إلى الأعلى، ولا وجود لكلمة "العز" في نص القرآن الكريم، فإنه زيادة الميرزا من عنده ما ليس في القرآن الكريم، فهذا نموذج صريح لحمل النص القرآني على غير مراد الله مع الإضافة فيها.

رابعًا: حمل الميرزا ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على "تطهير عيسى من تهم الأعداء"، وهذا أيضًا يخالف نص القرآن الكريم، كما فيه زيادة لفظ "التهم" من عنده بدون وحود أي لفظ دال عليه.

فلذا نقول: إن تعامل الميرزا مع آية "توفي عيسى عليه السلام" يتضمن ما يلي:

أولاً: صرف الميرزا "متوفيك" من معناه الوضعي، وهو قابضك تمامًا إلى "مميتك" بدون أي قيد أو تقدير، أو بدون قرينة الموت، فلا شك أنه إلحاد في آيات الله.

ثانيًا: فيه انحراف من سبيل المؤمنين، حيث انضم لم يفسروا "متوفيك" بـ"مميتك" إلاّ مقيداً.

ثالثاً: صرف الميرزا "رافعك" من معناه الوضعي، وهو النقل من الأسفل إلى الأعلى بدون أي قرينة صارفة لفظية، وهذا يخالف اللغة، كما أنه يخالف بيان القرآن الكريم الذي كلما ذكر "الرفع" لرفع الدرجات ذكره

بدليل وهو قرينة صارفة، فلذا صنيع الميرزا يخالف نظم القرآن الكريم.

رابعاً: أنه يخالف العقل أيضاً، فإن عيسى عليه السلام حينما كان محاطاً بين أعدائه، فكان يحتاج إلى حماية نفسه، فوجوده في الوضع الذي كان فيه يقتضي رفعه بجسده، ليكون مطهّراً من أيدي أعدائه.

خامساً: إن كل نبي هو مرفوع الدرجات في جميع الأحوال، حتى ولو استشهد، فلم يكن عيسى عليه السلام بحاجة إلى رفع الدرجة في ذلك الوقت.

سادساً: أن عيسى عليه السلام كان بحاجة إلى إبعاده من أعدائه، كما فعل الله العزيز الحكيم بقدرته برفعه إلى السماء، وقد ذكر القرآن الكريم مكر أعداء عيسى عليه السلام آنذاك بقتله وصلبه، فمكر الله عزّ وجلّ لحفظه، يرفعه بالجسد والروح، وهو خير الماكرين، فغلب مكره على مكر أعداء عيسى عليه السلام بحفظه إياه، ورفعه بالروح والجسد، وإيصاله إلى مكان الأطهار في السماء، فهذا الموقف العيسوي يقتضي رفعه بجسده إلى السماء.

سابعاً: صرف الميرزا قوله تعالى: ﴿**وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ **[آل عمران: ٥٥]**، من تطهير الله جسده من أيدي أعدائه بإيصاله إلى مكان لا يمكن لهم الوصول إليه (صرفه) إلى تطهيره من تهم الأعداء، فهكذا صرف الميرزا المفردات القرآنية الواردة في آية توفي عيسى عليه السلام من معانيها الوضعية إلى غيرها، فليس تعامل الميرزا المذكور ما يُسمى بتفسير للقرآن الكريم، بل إنه محاولة فاشلة لإثبات عقيدته الباطله، وهذا هو صنيع كل من يستعمل نصوص القرآن لتأييد أفكاره الباطلة.

"الوحدة الثالثة عشرة"

❖ حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بالتوفي

❖ أي نوع من التوفي يصلح أن يكون خصوصية

حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بذلك:

ذكر العلماء حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بالتوفي والرفع والنزول دون غيره من الأنبياء عليهم السلام، وملخصه كما يلي.

- تكذيب اليهود في زعمهم الباطل (إنا قتلنا عيسى ابن مريم) أي أنهم قتلوه، فردّ اللهُ تعالى عليهم قائلاً: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، أي إخبارا الله تعالى بأنهم لم يقدروا على قتله وصلبه.
- ذكر النبي ﷺ بأن عيسى عليه السلام هو الذي يقتلهم بعد نزوله من السماء.
- يكون نزوله عليه الصلاة والسلام من السماء، عند دنو أجله، حتى يدفن في الأرض بعد موته، فإنَّه قد خلق من التراب، كسائر البشر، فيموت، ويدفن فيه.
- قيل إنه عليه الصلاة والسلام لما اطَّلَع على صفة محمد ﷺ وأُمَّتَهُ، دعا الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعله منهم، فاستجاب الله دعاءه، وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان، فيدخل في أُمَّةِ خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، ويجدد الله على يديه أمر الإسلام.
- يوافق نزوله عليه الصلاة والسلام خروج الدَّجال، فيقتله فإنَّ عيسى عليه السلام هو المسيح الحق ومسيح الهداية، والدَّجالُ هو مسيح الضلالة، فحينما جاء إلى الدنيا مسيح الهداية لم يتبعه

اليهود، بل أرادوا قتله، وصلبه، ولما يأتي مسيح الضلالة، (أي الدجال) يتبعه اليهود، فقدَّر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إهلاكهم على أيدي مسيح الهداية.

- ينزل عيسى عليه الصلاة والسلام من حيث رُفِعَ، فيقتلُ الدَّجَّال، ويستأصل اليهود الذين أرادوا قتله وصلبه.
- عند نزول عيسى عليه السلام يعرفه المسلمون، وهم الذين قد آمنوا في شأنه ما هو الحق المنزل من الله تعالى في القرآن الكريم، ومبيّن على لسان رسول الله الأمين ﷺ، ولما ينزل عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض حَكَمًا عدْلاً، ويدعو الناس إلى الحق والصواب، كما أخبر الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ليؤمن به مَنْ بقي من أهل الكتاب عند نزوله، كما أخبر عن ذلك في القرآن الكريم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٩].

أي نوع من التوفي يصلح أن يكون خصوصيةً لعيسى عليه السلام:

لقد اتضح لنا من بياننا المذكور من "توفي الأنفس" و"توفي عيسى عليه السلام" أنواع توفي ذات الأرواح الثلاثة الآتية:

١- توفِّي الأنفس حين الموت، ويعقبه الإمساك، وهو كناية عن الإماتة، أو هو "توفي الموت".

٢- توفِّي الأنفس حين المنام، ويعقبه الإرسال، وهو كناية عن الإنامة، أو هو "توفي النوم".

٣- توفي شخص معين وهو القبض التام بالروح والجسد، ومعه "الرفع" و"التطهير"، أو هو "توفي الرفع".

ولا يصلح أن يكون توفي الإماتة، أو توفي الإنامة خصوصية لعيسى عليه السلام لعموم وقوعهما لسائر البشر.

أما "**توفي الرفع**": وهو "القبض التام" لشخص معين بالروح والجسد مع الرفع والتطهير، فهذا التوفي فقط يصلح أن يكون خصوصيةً لعيسى عليه السلام بحيث لا يشاركه أحد من البشر في ذلك، وهذا هو "المفهوم الإسلامي" و"القرآني" لتوفي عيسى عليه السلام، وهذه هي النعمة الربانية الخاصة بعيسى عليه السلام التي تليق بالذكر، أي أن "توفي الرفع" يصلح أن يكون من النعم التي أنعم الله بها على عيسى عليه السلام على وجه الخصوص، وورود "التوفي" في باب عيسى عليه السلام بدون أي قرينة صارفة له إلى المعنى الكنائي، يوجب عدم القول في توفيه بإماتته، ولا يوجد في باب عيسى عليه السلام ما يدل على أنَّ الله فرَّقَ بين روح عيسى عليه السلام وجسده، فأمات جسده، ورفع روحه، أو فعل الله تعالى بالعكس، كما لا يوجد قرينة أخرى، تصرفه إلى غير القبض التام بالروح والجسد، بل هناك شواهد أخرى كثيرة تمنع من صرف التوفي إلى غير هذا المعنى.

شواهد أخرى التي تُعين في فهم مدلول "توفي عيسى عليه السلام"، والوصول إلى الحق والصواب في هذا الباب:

نقول:

إن هناك شواهد أخرى كثيرة تقرر مفهوم توفي عيسى عليه السلام، وهو "قبض الله إيّاه على وجه التمام بالروح والجسد"، وتطهير جسده من مسّ أعدائه ما يفرض على كل عاقل أن يحمل توفي عيسى عليه السلام على "المفهوم الإسلامي"، **وهي كما يلي:**

أولاً: مورد هذا الكلام: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ هو كون عيسى عليه السلام محاطًا بين أعدائه الذين عزموا على قتله، فمكروا لإنجاح خطتهم، ومكر اللهُ لإنجاء نبيه عليه السلام، فتوفاه الله، أي قبضه على وجه التمام، ورفعه إليه، وأوصله إلى السماء، وهو عزيز حكيم، وغالب على أمره، وهو خير الماكرين، وقد صرّح القرآن الكريم بذكر هذه الصفات عند ذكر توفي عيسى عليه السلام، فلا مَخْلَصَ إلاّ وأن يحمل تَوَفِّي عيسى عليه السلام على المفهوم الإسلامي المذكور، (أي على قبض الله إياه بالروح والجسد، ورفعه إلى السماء حيًا).

نعم! لو قُدِّرَ مع "متوفيك" قيد "بعد إنزالي إياك من السماء" يكون المعنى أنَّ الله متوفيك عند مجيء أجلك، أي لا يستطيع أعداءك أن يقتلوك الآن)، فيكون ذلك القبض عند الأجل كناية عن الإماتة، والتي لم تقع، بل

إنها إماتة تتحقق في المستقبل بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء، كما صرح بهذا التقدير كل من فسَّرَ "متوفيك" بـ"مميتك" من أهل العلم، فحينما ينزل عيسى عليه السلام من السماء إلى الأرض مرة ثانية، ويستوفي أيام وليالي عمره، ويُكمل وظيفته التي من أجلها، قد رفعه الله، وأبقاه حيًّا، يقع موته، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن ذلك قائلاً: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ** ﴾ [النساء: ١٥٩]، فبعد تحقق هذه الأمور كلها يميته الله عزَّ وجلَّ، ولم يقدر اليهود في ذلك الوقت على إماتته قتلاً أو صلباً، كما صرّح به القرآن الكريم قائلاً: ﴿ **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾** ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، فهذا هو الْمَخْلَصُ الحسن أيضا في "متوفيك" بمعنى "مميتك".

ثانيًا: تأييد ما هو المنقول للمفسرين الإسلامين، وقد جمعناها في مقالنا **"تفسيرات آية التوفي"**.

ثالثًا: ورود الأحاديث المتواترة في تأييد هذه العقيدة.

رابعًا: إجماع الأمة المسلمة على مفهوم التوفي الإسلامي المذكور.

فهذه كلها شواهد مؤيد لعقيدة الأمة المسلمة في توفي عيسى عليه السلام.

مجمل القول في "التوفي" الذي يجب حفظه للعاملين في هذا المجال:

ومما يجب على كل من يعمل في هذا المجال أن يحفظ ما يلي:

أولاً: أن الله تعالى ذكّر عيسى عليه السلام نعمة "التوفي" في الموضعين في القرآن الكريم.

الموضع الأول: في سورة "آل عمران" بقوله تعالي: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ **[آل عمران: ٥٥]**، بدون ذكر أي قرينة صارفة للتوفي عن أصل المعنى أي "قابضك" تماماً.

الموضع الثاني: عند نقل القرآن الكريم اعتراف عيسى عليه السلام بتلك النعمة في سورة "المائدة" بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ **[المائدة: ١١٧]** بدون ذكر أي قرينة الموت، أو النوم، فيكون التَوَفِّي في الموضعين بمعنى "القبض على وجه التمام"، وقد صرّح بذكر "الرفع" و"التطهير" في "آل عمران"، وهما يعينان لتعيين مفهوم التوفي في هذا المقام.

ثانياً: ما ورد في القرآن الكريم من لفظ التَوَفِّي، ومشتقاته لعموم البشر، هي ظاهرة مستقلة بصيغته وأسلوب بيانه ومدلوله، كما ذكر توفي عيسى عليه السلام الخاص بصيغته وأسلوب بيانه، وهي ظاهرة مستقلة أخرى، فلا يجوز قياس إحدى الحقيقتين أو الظاهرتين على الأخرى.

ولكن الميرزا سعى أن يقيس توفي عيسى عليه السلام الخاص على توفي إماتة عموم البشر، أو إنامة عموم البشر، فلا شك أنه قياس مع الفارق، لكون

"التوفي" ومشتقاته في آيات توفي عموم البشر مقرونةٌ بقرائن التي تحدد مدلول "التوفي" ومشتقاته بأن تكون كنايةً عن الإماتة، إذا وجدت قرينة الموت، او تكون كناية عن الإنامة، إذا كانت مقرونة بقرينة النوم بخلاف خطاب الله عزّ وجل لعيسى عليه السلام، مذكرًا نعمه الخاصة به في آية "آل عمران": ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]، فلا يجوز حمل هذا "التوفي" على إماتته، ولا على إنامته لعدم ذكر قرينتيهما، نعم! يُحمل هذا "التوفي" على الرفع إلى الله، والتطهير الجسدي من الأعداء، وقد حصل بإصعاده الله إلى السماء، وكل ذلك مذكور بصريح لفظ القرآن، وليس ﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾ في "المائدة" إلاّ حكاية نفس "التوفي" المذكور في "آل عمران".

ثالثاً: لم يثبت ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ نعمة الله دون قيد الأجل في باب عيسى عليه السلام، وأن يكون وقوعه بعد نزوله من السماء حين مجيء الأجل، لا حين إحاطته أعداءه، فلذا يدل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على معناه، وهو "القبض التام"، ومعه "الرفع" و"التطهير"، هذا هو "توفي الرفع" الذي قد حصل، ووقع في باب عيسى عليه السلام قبل ما يزيد على ألفي عام عند حدوث ذلك الحدث العظيم المعروف بتوفي الله عيسى عليه السلام.

أما حمل ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ في "آل عمران: ٥٥"، مع قيد الإنزال من السماء، ومجيء الأجل، كما فسّر البعض ليكون كنايةً عن الإماتة، فهذه الإماتة ليست بواقعة عند ذلك الحدث، أي حينما مكر اليهود لقتله وصلبه، بل

يحصل ويقع بعد نزوله من السماء، فهذا التوفي بمعنى الإماتة المتأخرة من النزول أيضا تثبت نعمة الله الخاصة بعيسى عليه السلام، لأنَّ فيه بشارة الله لعيسي عليه السلام بإنجائه مِن بطش أعدائه في ذلك الوقت، حينما كان محاطاً بهم قبل رفعه إلى السماء، فقوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي "مميتك"، أي أنا الذي مميتك بعد إنزالي أياك من السماء، وهؤلاء الأعداء لا يقدرون على إماتتك، ففيه ضمان رباني لحياة عيسي عليه السلام، وبشرى رحماني لتخليصه من أعداءه، فعلى تفسيرين لـ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ يثبت حياة عيسى عليه السلام وفق عقيدة الأمة المسلمة.

هذا هو الذي قاله السلف، والخلف مِن مُفَسِّرِي المسلمين من الصحابة رضي الله عنهم، والتابعين، ومجددي الأمة، وعلى ذلك وقع إجماع الصحابة رضي الله عنهم في باب حياة عيسى عليه السلام، واستمرت حال المؤمنين.

وهكذا تحركت عجلة الأمة بالتسلسل في باب توفي عيسى عليه السلام إلى أن ظهر في الهند الميرزا غلام أحمد القادياني، والذي كان بنفسه على هذه العقيدة إلى الاثنين والخمسين من عمره، كما سجّل نفس العقيدة في مؤلفه "البراهين الأحمدية"، وكان عند تأليفه ذلك مُدَّعِيًا بأنَّهُ مُلْهَمٌ، وأنَّ كتابه كالنجم القطبي، وصرّح بأنَّ محتويات كتابه مستدلةٌ بنصوص الكتاب والسنة، وما عليه إجماع الصحابة رضي الله عنهم، وعامة الأمة، لكن حينما تدرَّجَ في ادعاءاته، وصرّح بأنَّه مثيل المسيح، ثم أنه هو المسيح ابن مريم عليه السلام، وأخيراً

أنه هو المسيح الموعود، هذا في باب المسيحية غيّر تلك العقيدة حتى وقد ألّف كتاباً مستقلاً في التوفي جمع فيه آيات التوفي الواردة في القرآن الكريم، وعرض على الناس مفهوم "التوفي العيسوي" على غير مراد الله ورسوله، وفعل ذلك لخلط مفهوم التوفي على عامة الأمة.

ومثل ذلك فعل في باب النبوة ادّعى أولاً أنه نبي بالقوة، لا بالفعل، ثم ادعى أنه نبي أُمَّتِيٌّ، ثم أنه نبي غير تشريعي، ثم صرّح بأنَّه نبي تشريعي، بل وأنَّه بروز المصطفى، وفعل ذلك ليخلط على العامة مفهوم خاتم النبيين، ومن الغريب أن الميرزا عدل عن الحق وأدلته من الكتاب والسنة، ومن وحي المصطفى صلى الله عليه وسلم، واستدلّ في ادعاءاته في باب المسيحية والنبوة من إلهاماته الخاصة ووحيه نفسه مخالفاً للوحي المحمدي، والنصوص القطعية القرآنية، والأحاديث النبوية المتواترة، وإجماع الأمة، وخلط مبحث "التوفي على الوجه الذي أشرنا إليه، هذا هو مجمل القول الذي يجب على العاملين في مجال الرد على خلط القاديانية، ودجلها حفظه، فلو حفظ العاملون في هذا المجال هذه النكات بفضل الله عزّ وجل استطاعوا حماية المسلمات حق الحماية، ولو تأمل فيها أبناء الملة القاديانية لعرفوا الحق والصواب، وهدوا إلى سبيل الرشاد إن شاء الله عزّ وجل.

مسك الختام لجميع الأنام في توفي الله عيسى ابن مريم عليه السلام:

وها نحن نجمع بعض النكات المهمة مرقمةً للإفصاح والبيان، وسميناها "مسك الختام" لجميع الأنام في توفي الله الأنفس، وتوفي عيسى عليه السلام.

١/ مقابل الحياة هو الموت، ومقابل المحيي هو المميت، ومقابل الحي هو الميت في القرآن، والسُّنَّةِ، ولغة العرب.

٢/ الإحياء والإماتة وصفان من صفات الخالق، وليسا من صفات المخلوقين، فلا محيي إلاّ الله، ولا مميت إلاّ الله.

٣/ التَوَفِّي هو أخذ الشيء وافيًا، ولا يدل لفظ التَوَفِّي المفرد إلاّ على المعنى المفرد.

٤/ قد يكون التَوَفِّي في القرآن الكريم، واللغة، ومحاورات العرب، ومعه لفظ زائد ما يدل على أنه كناية عن الإماتة، وهو قبض الأرواح حين الموت، وانقضاء الأجل لدى استيفاء أصحاب الأرواح أعمارهم، وهذا القبض للأنفس يعقبه إمساكها، ويكون المتوفِّي أي قابض الأرواح، وممسكها هو الله سبحانه وتعالى، أو بأمره مَلَك الموت، وأمر ذلك بيد الله سبحانه وتعالى وحده، لا يملك ذلك غيره سبحانه وتعالى، ويُنسبُ "التَوَفِّي" إلى الملائكة، لكونهم مُنَفِّذِينَ أمر الرب تبارك وتعالى.

٥/ قد يكون التَوَفِّي في القرآن والسنة وفي محاورات العرب، ومعه لفظ زائد، ليكون (أي "التوفي") كناية عن الإنامة مع قرينة النوم، وهو قبض الأنفس غير الميتة عند المنام، ويعقبه إرسالها، وهذا وارد في القرآن الكريم، واللغة العربية، ويكون المتوفي (أي قابض الأرواح ومرسلها) هو الله سبحانه وتعالى، لا غير، لأن إنامة الأرواح (أي قبضها عند المنام) بيده سبحانه وتعالى خاصة، لا في يد غيره، حتى وليس في يد النائم نفسه، ولا في يد غيره من الملائكة وغيرهم دون الرحمن سبحانه وتعالى.

٦/ لا يكون "التَوَفِّي" إماتةً وضعًا، ولا شرعًا، ولا حقيقةً، ولا مجازًا، إلاّ أنه "القبض على وجه التمام" للمقبوض، بحيث لا يترك منه شيء، ولا يكون التوفي إماتة قبل إكمال العمر بأي وجه، ولا بذكر خالياً من قرينة الموت، إلاّ للمتوفَّى غير الميت، نعم! إذا كان المقبوض ذا روح، فاستكمل عمره، وكان القابض هو اللهُ، وملائكته بأمره، يكون هذا القبض كناية عن موت المتَوَفَّى، ويكون بيان ذلك مقرونًا بقرائن الموت، كتوفي عامة الناس في هذا العالم، وذكر في القرآن الكريم بـ"يتوفى"، لأنه يقع ليل ونهار لعموم البشر، ولا يمكن أن يكون هذا التوفي خصوصية لعيسى عليه السلام، وإذا كان المقبوض ذا روح، وكان القابض هو الله سبحانه وتعالى، ولم يستوف المقبوض عمره، وذكر في القرآن الكريم بـ"يتوفى"، ومعه قرينة النوم، أو الليل، يكون هذا التَّوَفِّي كناية عن نوم المتوفَّى، ومثل هذا التَّوَفِّي واقع على جميع الناس، ولا يكون خصوصية عيسى

عليه السلام، وإذا كان التَوَفِّي لذي روح، وكان المتَوَفِّي هو اللهُ عزَّ وجلَّ، وذكر أن هذا "التَوَفِّي" خصوصية لشخص معين من أفراد بني آدم، وذلك الشخص هو عيسى عليه السلام، فلا يكون توفيه إماتته، لكونها لا تثبت خاصة له، ولا يكون إنامته، لكونها لا تثبت خاصة له أيضًا، بل الخاصة هيي أن يكون "التَوَفِّي" على وجه الخصوص، بحيث لم يحصل، ولا يحصل، ولن يحصل لغيره، وأن يكون فيه إظهار قدرة الله تعالى، وحكمته، فيجتمع في هذا "التوفي" ثلاثة أمور: (١) إظهار قدرة الله، (٢) إظهار حكمته (٣) يكون خصوصية للمقبوض والمتوفَّى، هذا هو تَوَفِّي عيسى عليه السلام، الذي ليست إماتته لعدم وجود قرينة الموت، ولا إنامته، لعدم وجود قرينة النوم، بل هو "التَوَفِّي" الخاص بعيسى عليه السلام، وفَسَّرَهُ القرآن الكريم، باجتماع الأمور الثلاثة، وبَيَّنَهُ رسول الله ﷺ، وفَهِمَهُ الصحابة رضي الله عنهم، وأجمع عليه الأمة المسلمة، وهو أنَّ اللهَ قبضه بتمامه، ورفعه إليه بروحه وجسده، وأخذه من بين الأشخاص، وأوصله إلى مقام الأطهار، فهذه الخوارق قد وقعت، كما فَسَّرَهُ المفسرون المسلمون، وذكره الله في القرآن الكريم، ومثل ذلك الخارق قد حصل لسيد الرسل وخاتم النبيين ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وقد أخبر عيسى عليه السلام ليلة المعراج صاحب المعراج ﷺ أيضًا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال للنبي الخاتم ﷺ ورفعني وطهرني من الذين كفروا [١].

(١) مسند البزار " البحر الزخار" (٧/١٧).

هذه هي الأمور التي يجب مراعاتها في تَوَفِّي الله عيسى عليه السلام:

١/ أنَّهُ من خواصه عليه السلام، لا يشاركه فيه أحد، حيث خاطب الله تعالى عيسى عليه السلام بقول: ﴿**يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ **[آل عمران: ٥٥]**.

٢/ أَنَّهُ غير مقرون بذكر قرينة الموت، فلا يكون إماتة.

٣/ أَنَّهُ غير مقرون بذكر قرينة النوم، فلا يكون إنامة.

٤/ عَبَّر عيسى عليه السلام عنه بنفسه قائلاً: ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ **[المائدة: ١١٧]**، ولم يُعَبِّر عنه قائلاً: {أَمَتَّنِي}.

٥/ عَبَّرَ عنه عيسى عليه السلام بنفسه بقوله، كما ورد في الحديث "ورفعني وطهرني من الذين كفروا، لا بـ"أماتني".

٦/ لم يصرح القرآن الكريم ولا السنة في الثروة الحديثية العظيمة أنّ عيسى عليه السلام قد مات.

٧/ أورد عيسى عليه السلام "مقابلين" في إجابته، كما ذكر القرآن الكريم، وهما: (**١**): ﴿**مَا دُمْتُ فِيهِمْ**﴾ **[المائدة: ١١٧]**، أي مدة وجودي فيهم، (**٢**): ﴿**فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي**﴾ **[المائدة: ١١٧]**. أي حصل لي توفيك، فورد في القرآن الكريم وجوده في القوم مقابل توفي الله إياه، وهو عدم وجوده في القوم بسبب رفع الله إياه إلى السماء، لا بسبب إماتة الله إيّاه، لأنه لم تقع ذلك، ولو وقعت، لقال عيسى عليه السلام:

﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا أَمَتَّنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، ولم يذكر عيسى عليه السلام وقوع موته، بل ذكر وقوع توفيه مقابل وجوده في القوم، وهو عدم وجوده بينهم بسبب رفع الله إياّه إلى السماء، فلم يورد عيسى عليه السلام لفظ موته مقابل وجوده في القوم، لأنه يعرف تمامًا بأنه لم يقع موته، ولن يقع موته قبل نزوله من السماء، فالمقابلان في باب عيسى عليه السلام هما: الوجود في القوم، وعدم الوجود في القوم، إذًا توفيه هو قبض الله إياّه تماماً، ورفعه إلى السماء، لا إماتته، بل ولم يقع موته حتى الآن، ويقع في المستقبل بعد نزوله من السماء، الذي عبر عنه القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام بقوله: ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾ [مريم: ٣٣]، كما نبّه القرآن الكريم عن وقوع موته بقوله: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ١٥٩].

٨/ ذُكِرَ تَوَفِّي عيسى عليه السلام مقابل مكر اليهود، ليكون توفي عيسى عليه السلام مظهر قدرة خبر الماكرين، ومظهر حكمته، فلا يكون ذلك بالإماتة، بل بالمعنى التوفي الإسلامي فحسب، فكان مكر اليهود سعيهم لإماتته، ومكر الله بإنجاءه، والله غالب على أمره.

٩/ يكون مدلول التَوَفِّي نعمة الله الخاصة به، ولا يمكن أن يكون موته آنذاك النعمة الخاصة، بل هي تخليص عيسى عليه السلام بقبض روحه وجسده، ورفعه إلى مكان بعيد عن أيدي الأعداء حيث لا يمكن لهم الوصول إليه.

١٠/ فأيُّ مفهوم لِتَوَفِّي عيسى عليه السلام، يخالف كون "التوفي" خصوصية لعيسى عليه السلام، أو يخالف كون "التوفي" نعمة، أو يخالف كون "التوفي" مظهرًا لقدرة الله تعالى، أو لا يثبت منه تخليص عيسى عليه السلام من أعدائه يكون مرفوضا تمامًا، ويعتبر من أشد المنكرات الشرعية، ومن أعظم التحريفات في نصوص الشارع، ومن أعظم الالحادات في آيات الله سبحانه وتعالى.

البيان القادياني الغريب، ظاهر البطلان:

لقد ورد قوله تعالى "متوفيك" بعد ذكر مكر اليهود، وذكر مكر خير الماكرين، وهو يعيّن زمن التوفي وموقع وقوعه، أما الزمن فهو زمن مكر اليهود، أما الموقع، فهو موطن عيسى عليه السلام، وهي أرض "فلسطين"، فالزمن والموقع واضحان كل الوضوح على جميع أهل العقول، وأصحاب النقول.

فالقاديانية من غرائب أمرها في هذا الباب **أولاً**: أنها حملت "توفي عيسى عليه السلام" على "إماتته "، حينما أراد الله حياته وإنجاءه، وتخليصه، **ثانياً**: إن زمن الموت الذي ذكرته القاديانية هو بعد ٨٤ عاماً، فهكذا فصلت القاديانية بين زمن المكر وبين زمن وقوع الموت.

ثالثاً: الغريب أن القصة حدثت في أرض "فلسطين" موقع مكر اليهود، فهناك حصل توفي الله إياه إلى السماء، لكن القاديانية جعلت موقع وقوع موت عيسى عليه السلام أرض "كشمير"، ودفنه بمدينة "سرينجر" التي تبعد آلاف الأميال من موقع القصة، فهذه الغرابة القاديانية في حد ذاتها دليل

واضح على بطلان عقيدتها في باب التوفي.

أجمل البيان في ذكر أسلوب القرآن في عرض بعض الأمثلة للكلمات التي تصدق على أكثر من معنىً:

لقد ورد في القرآن الكريم ألفاظ كثيرة يصح حملها على أكثر من معنى، فاللفظ الواحد يحمل في موقع على معنىً، وفي موقع آخر يحمل على معنىً آخر، ويتعيّن مدلوله بالقرينة وحسب مورده وموقعه، كما نقول إن أهل العلم الصادقين يميزون بين استعمال وآخر للفظ، وبين جهة دلالته، وأخرى منها مع مراعاة معنى اللفظ الحقيقي، أو المجازي والكنائي، ويجب ملاحظة ذلك بدون الخلط بين وجوه الدلالة، حتى لا يحصل الخلط والتلبيس على عامة المسلمين، كما فعلت القاديانية في لفظ "التوفي"، فخلطت بين المدلول الوضعي، والكنائي لكلمة "التوفي"، هذا أمر يؤخذ حذره، ويجب التحذير منه للخاصة والعامة.

وها نحن نذكر على سبيل المثال الكلمات الخمسة الآتية:

١. "**أصحاب النار**". وردت في كل موضع من القرآن الكريم لأهل جهنّم من الكفار والفسقة الفجار، مثل قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾ [البقرة: ٣٩].

ووردت كلمة "**أصحاب النار**" في سورة "المدثر" لتصدق على الملائكة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً**﴾

[المدثر: ٣١]، فأصحاب النار في هذا الموقع أُطلقت على الملائكة المؤكلين بالنار، وهم ليسوا بالكفرة الفجرة (عياذاً بالله)، بل إنّ الله عز وجل يقول في شأنهم: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

٢. (**بعلٌ**) وردت هذه الكلمة في سورتي البقرة والنساء بمعنى "الزوج"، مثل قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]، وقد أُطلق لفظ "بعل" في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصفات: ١٢٥]، على الصنم الخاص.

٣. "**عاد، يعود، عوداً**" ورد في القرآن الكريم لتكرار الفعل، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وقد وردت كلمة "**يعودون**" بمعنى التوبة والندامة، في سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا﴾ [المجادلة: ٣].

٤. "**ريب**" وردت في كل موضع من القرآن الكريم بمعنى الشك، مثل قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقد

وردت كلمة "**ريب**" في سورة الطور بمعنى حوادث الزمان، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴾ [الطور: ٣٠].

٥. "**بروج**" وردت في كل موضع من القرآن الكريم بمعنى الكواكب، أما في سورة النساء، فقد وردت بمعنى القصور المحكمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

وهكذا كلمة "التوفي" وضعت في اللغة للدلالة على "القبض على وجه التمام". ويصدق "القبض التام":

على الإماتة على وجه الكناية مع قرينة الموت.

وعلى الإنامة على وجه الكناية مع قرينة النوم.

وعلى "الرفع" على وجه الكناية مع قرينته.

فلا بد من مراعاة موقع اللفظ وموردِه للوصول على مدلوله الصحيح مع مراعاة جهة الدلالة من حيث الوضع، أو من حيث الاستعمال من المجاز والكناية، وغيرها، فمَن لم يلاحظ وجوه الدلالة لا يمكن له الوصول إلى الحق والصواب في مدلول ألفاظ القرآن الكريم، هذا هو أجمل البيان في أسلوب القرآن الكريم للوصول إلى مدلول كلمة، لها دلالة على أكثر من معنىً، أو يصدق مفهومه على أكثر من مأصدق.

ونحن الآن نعرض، جدولاً مختصراً يوضح مفهوم التَوَفِّي.

جدول مدلول "التَّوَفّي" المختصر:

تـوفي الله عيسى عليه السلام	تـوفي الله عموم البشر	
قبض الله عيسى تمامًا بالروح والجسد، ومعه الرفع والتطهير.	**كناية عن إماتة "المتوفَّى".**	**كناية عن إنامة "المتوفَّى".**
أخذ المقبوض عل وجه التمام، ورفعه، وتطهيره، وغير مذكور معه قرينة الموت، أو النوم، وهو مخصوص بفرد واحد من بني آدم، وذلك الفرد هو عيسى ابن مريم عليه السلام، وهذا "التوفي" خلاف العادة مظهر قدرة الله الغريبة مع حكمته، ونعمة الله الخاصة بعيسى عليه السلام، تليق بالتذكير، مذكورٌ في قوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥].	أخذ المقبوض على وجه التمام عند انقضاء الأجل، ويعقبه إمساك النفس، ويُذكر معه قرينة الموت، فيلزمه موت المتوفي، وهذا "التوفي" كناية عن الإماتة، يعم البشرية كلها، وفيهم عيسى عليه السلام، وليس من خصوصية عيسى عليه السلام، مذكورٌ في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر: ٤٢]، وغيرها.	أخذ المقبوض على وجه التمام عند المنام، ويعقبه إرسال النفس، ويذكر معه قرينة النوم، ويلزمه نوم المتوفي، فهو كناية عن الإنامة، يعم البشر حتى عيسى عليه السلام، وليس من خصوصية عيسى عليه السلام. ومذكورٌ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وغيرها.

التَوَفِّي القرآني، ومدلوله القادياني، والتناقض الغريب القادياني:

نقول: مكرراً بأن الميرزا غلام أحمد مؤسس القاديانية كان يعتقد في باب عيسى عليه السلام من حياته ورفعه ونزوله مثل ما يراه أهل الإسلام، وقد نقل تلك العقيدة في "البراهين الأحمدية"، وصرّح أن كتابه هذا قطعي، أي محكم كالنجم القطبي، وماذا في الكتاب هو مؤيد بالكتاب والسنة، ثم غيَّر، وبدّل هذه العقيدة، فأنكر حماية الله عيسى عليه السلام بتوفيه ورفعه وتطهيره وتخليصه من أيدي الكفار، فأثبت له الصلب خلاف نفي القرآن الكريم لذلك، كما أنكر رفعه إلى السماء، وأنكر أيضاً حياة عيسى عليه السلام ونزوله رغم ورود تصريحات الشارع فيها، وفعل كل ذلك لِيُحِلّ شخصيته محل هذا الوجيه الرّبّاني عيسى ابن مريم عليه السلام، فَمن أراد الاطّلاع على عقيدة الميرزا القديمة، عليه مراجعة البراهين الأحمدية، هذا التناقض موجود في مؤسس القاديانية من جانب.

ومن جانب آخر هناك تناقض معروف وموجود في الأدب القادياني ما يفرض على أبناء هذه الملة رفعه، لكنهم لن يستطيعوا ذلك، وهذا التناقض يوجد بين المعتقد القادياني المبدّل وبين ما هو المحرر في "**عسل مصفى**": (١/١٧٥) في تفسير: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾. **حيث يقول المؤلف في تفسير:**

"﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، **على التقديم والتأخير وقد يكون الوفاة قبضا ليس بموت**".

ونص آخر في "عسل مصفى": (٢٦٣/١) الوارد في تفسير

﴿تَوَفَّيْتَنِي﴾. في قوله تعالى:

"﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

يقول المؤلف: التَوَفِّي هو أخذ الشيء وافيًا، والموت نوع منه".

وغرضنا من إيراد التناقضين إبراز اعتراف القاديانية بمفهوم التوفي القرآني والإسلامي وفق تفسير المسلمين، ثم الإصرار على خلاف ذلك عناداً، وتعصّباً، وتقليداً أعمى، فلله الحمد والمنة على هذا الإفصاح والإبراز.

الإلحاد والإرهاب الفكري معاً:

ما تعاملت به القاديانية، ومؤسسها بكلمة "التَوَفِّي"، وتوفي عيسى عليه السلام، ومفهومه القرآني، والإسلامي، والإجماعي يعتبر.

أوّلاً: تحريفًا لمدلول التَوَفِّي المعَيَّنِ لغة، وشرعًا.

ثانياً: أنه إرهاب فكري، وتلاعب بأذهان عامة الناس، وأفكارهم في مباحث علمية ليس من شأن العامة النقاش فيها.

ثالثاً: أنّه خلط المباحث الشرعية، والمفاهيم الدينية العلمية على عامة الناس.

رابعاً: أنه تلبيس الحق بالباطل وخصوصاً على العوام الذين لا يدركون كنه المصطلحات العلمية، والأساليب البيانية، ولا يفرقون بين معاني الألفاظ الوضعية، والكنائية، ومفاهيمها الشرعية واستعمالاتها البلاغية مِن حيث الكناية والصريح، ولا يطلعون على المصطلحات الأصولية، كالخاص، والعام، والمشترك، والمؤول وغيرها.

خامساً: أنّ سعى القاديانية لأجل جعل المدلول الكنائي لكلمة "التوفي" معناه الأصل خيانة علمية، وخلط بين المعاني الأصلية والكنائية، وليس بين معاني الألفاظ وبين لوازمها، ولا شك أنه هو الدَّجَلُ للمدعي النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ، والالحاد في آيات الله، ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما أشار إلى أوصاف مَنْ يَدَّعِي النبوة بعده ﷺ، فقال في وصفهم إنهم كذَّابون دجَّالون(١)، فلقد أثبتنا من خلال أسلوب القاديانية، وتعاملها مع لفظ "التَوَفِّي" كذب المتنبئ القادياني وأفصحنا دجله، وهذا من مظاهر إعجاز كلام النبي ﷺ، وصدق رسول الله ﷺ، وهو الصادق المصدوق، عليه صلوات الله وسلامه في قوله: "من يدعي النبوة بعده أنه كذاب ودجال.

دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية للتأمل:

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية عمومًا إلى مطالعة ما عرضناه في باب "التوفي" ببسط وتفصيل، كما ننصح العقلاء منهم أن يفكروا، ويتأملوا في هذا المبحث، وأن يقرؤواه مراراً، وأن يُقِرُّوا بمرجعية النصوص الشرعية، وماذا قاله المفسرون والمجددون الإسلاميون في باب توفي عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله وحياته وغيرها، وأن لا يخرجوا عن إجماع الأمة في كل ذلك، ولقد صرّحَ مؤسس جماعتهم بأنّ الخروج عن إجماع الأمة المحمدية، يجلب لعنة الله والملائكة، والناس أجمعين، ونحن نؤكد عليهم بأن عقيدة توفي عيسى عليه السلام،

---

(١) شرح مشكل الآثار للطحاوي: (٣٩٨/٧).

والاطّلاع على المدلول الإسلامي للتوفي ليس من المسائل التي لا يمكن للإنسان أن يصل فيها إلى الحق والصواب، فإنَّ القاديانية معترفة بمجددية بعض المفسرين. فعليهم أن يعتمدوا على تفسيراتهم في باب توفي عيسى عليه السلام، وقد جمعنا الكثير منها في مقالنا **"تفسيرات آية التوفي"**، فعليهم أن يدرسوها، لعل الله يبلغهم إلى الرشد، ويهديهم إلى سواء السبيل.

كما ندعو الله عزَّ وجلَّ أن يُوَفِّقَنَا للمزيد من إفصاح الحق، وتَبْيِينه في هذا الباب، وفي غيرها من الأبواب العلمية الأخرى، وأنَّ يرشد البشرية إلى الحق، والصدق، والصواب، وأن يكشف على أبناء القاديانية مدلولات التَّوَفِّي والرَّفْعِ، وحياة عيسى عليه السلام، وغيرها من مسائل أخرى، كما كشف الله عزَّ وجَلَّ على الأُمَّة المسلمة، التي أجمعت على أنَّ تَوَفِّي عيسى عليه السلام، هو "أخذه تماماً بالروح والجسد"، وأنَّ رفعه هو رفعه بالروح والجسد إلى السماء، وأنَّ عيسى عليه السلام لا زال حيًّا هناك، وأنَّهُ سينزل في آخر الزمان.

هذا وصلى الله على محمد، وعلى آله، وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نتيجة المبحث:

١- اهتمّ الميرزا بكلمة "التوفي"، وحرص في نشر مفهومه القادياني، بل وجعله أساس ديانته.

٢- للاطلاع على مصداق "التوفي" لا بد من الرجوع إلى مادة اشتقاق الكلمة ووضعها اللغوية.

٣- ورد في القرآن الكريم: الموت، والحياة، والمحي، والمميت، كالمتقابلات، ولا تقابل بين "التوفي" و"الإحياء".

٤- ذكر القرآن الكريم توفي عيسى عليه عليه السلام، كنعمة الله الخاصة به، وذكر أيضاً اعتراف عيسى عليه السلام بذلك.

٥- لا يكون مدلول "التوفي" إلاّ ما يثبت خصوصية عيسى عليه السلام.

٦- ذكر القرآن الكريم "التوفي"، ومشتقاته، وهي تدل على "القبض التمام"، ولا يتصور فيه "الإماتة والإنامة" دون القرينة.

٧- ذكر القرآن الكريم "توفي الأنفس حين الموت" ليدل التوفي على إماتتها على وجه الكناية مع قرينة الموت، كما ذكر القرآن الكريم "توفي الأنفس في المنام" ليدل "التوفي" على "الإنامة" على وجه الكناية مع قرينة النوم (مع التصريح بأنها "لم تمت").

٨- لقد أقرّ القرآن الكريم في بيانه أن توفي عيسى عليه عليه السلام من نعمه الخاصة عليه مع النعم الأخرى، ليكون دليلاً على حياة عيسى عليه عليه السلام، لا دليل موته عليه عليه السلام.

٩- خدعت القاديانية العامة بآيات القرآن الكريم التي ذُكر فيها لفظ "التوفي" مع قرائن الموت أو النوم ليدل على الإماتة أو الإنامة، وغرضها اللبس على العامة.

١٠- دعوتنا لأبناء الملة القاديانية للتأمل والتدبر، وترك التقليد الأعمى لزعمائها للوصول إلى سبيل الهدى، والاطّلاع على الصواب، والتمسك بما هو الحق في هذا الباب.

المقال الواحد والعشرون

من سلسلة "الدين النصيحة".

بعنوان:

اللمحات الفكرية الناصحة

و

لأبناء الملة القاديانية النافعة

ملخص المقال الحادي والعشرون:

١. **اللمحة اللفكرية الأولى:** سيرة النبي الحق والمتنبئ.
٢. **اللمحة الفكرية الثانية:** التناقض القادياني بين المعتقد (ما في القلب)، وما المظهر (ما على اللسان).
٣. **اللمحة الفكرية الثالثة:** التباين بين المدعى وبين الواقع العالمي.
٤. **اللمحة الفكرية الرابعة:** صنيع الميرزا خلاف سنة أنبياء الله.
٥. **اللمحة الفكرية الخامسة:** التدريج في باب النبوة والأطوار اللاشرعية.
٦. **اللمحة الفكرية السادسة:** التناقض في بابي النبوة والمسيحية، أولاً: التناقض في باب النبوة.
٧. **اللمحة الفكرية السابعة:** التأمل في سعي الميرزا القادياني لإثبات استمرارية النبوة بالحِيل.
٨. **اللمحة الفكرية الثامنة:** عظمة الزعماء ومكانة السلف عند الخلف والأتباع.
٩. **اللمحة الفكرية التاسعة:** إحلال المقدسات القاديانية محل المقدسات الإسلامية.
١٠. **اللمحة الفكرية العاشرة.**
١١. **اللمحة الفكرية الحادية عشرة.**

الحمد لله هادي العالمين، والصلاة والسلام على نبينا رحمة للعالمين، القائل "الدين النصيحة"، وعلى آله، وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.....

نقول:

هذا هو المقال "**الحادي والعشرون**" من سلسلة "**الدين النصيحة**" بعنوان: "**اللمحات الفكرية الناصحة ولأبناء الملة القاديانية النافعة**".

فنقول: وبالله التوفيق!

من منطلق كون ديننا النصيحة وحرصاً على أن يقع ما نعرضه على أبناء الملة القاديانية موقع القبول، وأن يكون لهم من النصائح النافعة، ونحن من خلالها ندعو بالإخلاص والحرص الشديدين أفراد الأمة القاديانية إلى التأمل في اللمحات الفكرية الآتية:

اللمحة الفكرية الأولى:

سيرة النبي الحق والمتنبئ:

إن إدعاء النبوة إدعاء بأمر شرعي، فعلى أهل العقل أن يتأملوا في ضوء شرائط النبوة وصفات صاحبها، (وقد ذكرنا في مقالنا "**النبي والمتنبئ**" شرائط النبوة وأوصاف صاحبها)، ثم يدرسوا في ضوئها سيرة الميرزا غلام أحمد القادياني، ثم وإذا تأكد لديهم أن شخصيته عارية تمامًا من تلك الشروط والصفات، وأن ادّعاءاته تعارض نصوص الكتاب والسنة، فعليهم أن يتبعوا الحق، فالحق أحق أن يتبع، لأننا على يقين بأن كثيرا من أفراد هذه الملة ينتسبون إليها على وجه التقليد، لا على وجه التحقيق بسبب ظروفهم العائلية وأحوالهم وظروفهم الشخصية، وقد دخل البعض في هذه السلسلة إكتسابًا للمصالح المادية.

أما الوصول إلى الحق والصواب، والاهتداء إلى "سبيل الهدى"، فإنه يقتضي من طالب الحق.

أولاً: أن يحل عقدة التعصب، ويخرج من اتّباع الهوى.

ثانيًا: كما ندعو أبناء الملة القاديانية إلى مدارسة سيرة صالحي هذه الأمة، وسير الأنبياء، وخصوصاً سيرة خاتمهم وسيدهم محمد رسول الله ﷺ، وسيجدون أن حضرات السادة الأنبياء سيرهم طاهرة زكية معصومة،

وذواتهم مقدسة، وخير ما يبدأو به دراسة قصص الأنبياء في ضوء القرآن الكريم.

ثالثًا: ويتأمل أبناء القاديانية في أسلوب دعوة الأنبياء، وسيجدون أن كل نبي يظهر كناصح أمين، لا يطلب أي أجر على دعوته، وإنما أجره على رب العالمين.

رابعًا: يجدون أن كل نبي لا يخالف سيرتُه دعوتَه، ومن أجل ذلك يثق على سمو دعوته وعلو تعاليمه.

خامسًا: يجدون أن أي نبي لا يتملّق لأهل الشوكة والسيادة، ولا يتأثر من ثراء أهل الدنيا، ولا يهاب من بطشهم، ولا يستعين بأهل الشرك لتمكين حزبه وترسيخ دعائم دعوته.

سادسًا: كل نبي يستشهد بصفاء سيرته على صدق دعوته بصدق مقاله وزكاء سيرته على حقانية سيرِه.

وسيجد أبناء الملة القاديانية عند المقارنة بين النبي والمتنبئ أن مؤسس القاديانية يختلف تماماً في هذه الأمور من السادة الأنبياء.

ثم وإذا كانت النبوة مدار تشكيل الأمة وذات النبي هو المطاع لأفراد الأمة. فأي فضل لمتبع أعظم من أن ينسب إلى سيد السادات؟ فالتأمل في هذا الأمر يجعله أن يحرر نفسه مَن سواه. سواءٌ أهو غلام أحمد أم غيره.

اللمحة الفكرية الثانية:

التناقض القادياني بين المعتقد (ما في القلب)، وما المظهر (ما على اللسان):

تعتقد القاديانية أن مؤسسها هو نبي + رسول + مسيح + مهدي، أربعة في واحد، هذا في المعتقد، أما **المُظهر**: على لسان القاديانية في تعبيرها حول شخصية المؤسس، فلو تأمل أبناء الملة القاديانية في مراجع قاديانية، أو سمع المستمع، أو شاهد المشاهد وسائل إعلامها يظهر عليهم من التناقض الواضح على الوجه الذي نشير إليه بعد التمهيد.

التمهيد:

تفتخر الأمة المسلمة بنسبتها إلى نبيها محمدٍ ﷺ، وتؤمن أنه سيد الرسل وخاتم النبيين، وحينما يذكر المسلمون اسمه الميمون يقولون: "محمد رسول الله"، وحينما يذكرون قوله، يقولون: "قال رسول الله ﷺ"، بل وغالب على ألسنة المسلمين ذكر منصب النبوة والرسالة على ذكر اسمه.

بخلاف أمة الميرزا غلام أحمد القادياني التي تؤمن بأنه أربعة في واحد، أي **نبي** + **رسول** + **مسيح** + **مهدي**، ولكن كلما ذكرت الملة الميرزائية اسم الميرزا غلام أحمد القادياني، ورغم ادّعائه النبوة والرسالة والمسيحية والمهدوية وإيمان أمته بصدقه في هذه الادّعاءات، فالتناقض الواضح بين المتقد والمُظهر هو أنهم لا يقولون بألسنتهم، ولا يُظهرون على المستمع والمشاهد الميرزا غلام أحمد "**رسول + نبي + مسيح + مهدي**"، بل يقولون حضرة "المسيح الموعود" و"المهدي عليه السلام"، فاجتناب القاديانية من

إطلاق الرسول والنبي على لسان أبنائها خلاف ما يعتقدون بقلوبهم هو التناقض بين المعتقد والمظهر، لماذا هذا التناقض بين المعتقد والمظهر؟.

الخلط على الأمة:

تهدف القاديانية بإظهار خلاف ما تبتنها إلى خلط أمرها على العامة، لكي تُشعر عامة الناس أنها لا تدعو الناس إلى الإيمان بنبوة الميرزا، ولا تُكفر منكريها، بل إنها تريد حصر شخصية الميرزا في المسيحية والمهدوية، ولكن علماء المسلمين هم قد بالغوا في الأمر إساءة إلى القاديانية.

والحقيقة أن القاديانية تؤمن بما قد أشرنا إليه في شخصية الميرزا، كما أنها تعتقد أن النجاة في اتباع الميرزا، وفي الإيمان به بنبوته، وأنها تحكم بالكفر على لا يقبل الميرزا كمأمور من الله، وكمبعوث عالمي واجب طاعته واتباعه، وقد ذكرت القاديانية بذلك في مؤلفاتها.

❋ **حينما صرحت بتكفيرها العدواني بهذا النص:**

"كل من لم يدخل في بيعة حضرة المسيح الموعود، فليس هو الكافر فحسب، بل هو الكافر حقاً خارج عن دائرة الإسلام".

النص الأردي:

"جو بھی مسیح موعود کی بیعت میں داخل نہ ہو، وہ نہ صرف کافر ہے، بلکہ پکاکافر، دائرہ اسلام سے خارج ہے".

فنحن ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في هذا التناقض، فهي اللمحة الفكرية التي تعينهم للوصول إلى سبيل الهدى.

اللمحة الفكرية الثالثة:

التباين بين المدعى وبين الواقع العالمي:

يدعي الميرزا أنه هو المهدي والمسيح الموعود، وتصارح القاديانية بهذين اللقبين في مؤلفتها وعبر وسائل إعلامها وعبر تلفازها، ونحن ندعو أبناء الملة القاديانية للتأمل في أمرين.

وهما: أولاً: ماذا أخبر الصادق المصدوق النبي الخاتم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أحوال العالم، ونشرِ الأمن والأمان، وكسرِ شوكة الكفر والعدوان، وملأِ الأرض عدلاً وقسطًا.

ثانياً: فنحن ننصح أبناء الملة القاديانية بأن يتأملوا في ادّعاء الميرزا أنه "هو المهدي، والمسيح"، وأن يتأملوا في أحوال العالم، ولا شك أن كل ما بشّر به النبي الخاتم الصادق المصدوق من أحوال العالم عمومًا، وأحوال المسلمين خصوصًا، لا بد من تحققها بعد ظهور المهدي الحق، وبعد المسيح الموعود الحق، فأحوال العالم ومصائب الأمة، وآلامُها في حد ذاتها خير شاهد على كذب هذا المدعي بأنه المبعوث السماوي، فإن هذه اللمحة الفكرية تثبت خير وسيلة للوصول إلى سبيل الهدى لأنباء الملة القاديانية.

اللمحة الفكرية الرابعة:

صنيع الميرزا خلاف سنة أنبياء الله:

إن النبوة الربانية لها خصائصها وشرائطها، ولصاحبها أوصافها، ومنها: أن يكون النبي صادقاً في مقاله، ومعصومًا في سيرته، وصريحًا في إدعائه، غير مناقض في تعلمياته، وأن يكون وحيه صريح الدلالة واضحَ المفاهيم، لا يكون مغلقًا إلى حد، حتى ولا يفهمه المدعي بالنبوة.

فليتأمل أبناء الملة القاديانية كيف كان ادّعاء الميرزا بالنبوة صحيحًا مع فقدان خصائصها وأوصافها وشروطها؟ ثم إدعاؤه في فترة قد انقطعت فيه سلسلة النبوة الربانية، ثم إدعاؤه بالمهدوية مع عدم توفر علامات المهدي التي ذكره النبي ﷺ، ومنها اسمه ونسبه وأعماله الجليلة، وأهدافه النبيلة، ثم ادّعاؤه أنه المسيح الموعود، والمسيح الموعود الذي ينزل، ولا يولد، ومكان نزوله محدد، وكيفية نزوله مُبين، وبركات عيسى ابن مريم عليه السلام، كما ذكرها النصوص الشرعية معروفةٌ، فليتأمل أهل العقل من أبناء الملة القاديانية فيشهدون أنه مؤسس هذه الملة لا ينطبق مواصفاة المهدي، ولا أوصاف المسيح الموعود، وادّعاؤه النبوة بعد انقطاعها كلها أمور التأمل فيها يقود المتأمل إلى الحق والصواب –إن شاء الله–، ثم يصل المتأمل إلى صنيع الميرزا، وهو في حد ذاته موضع التأمل للوصول إلى سبيل الهدى ما قام به الميرزا من خلال مساعيه المتنوعة، **وملخصه ما يلي:**

١– التحريف في المسلمات الإسلامية باسم التجديد.

٢– سعيُه لإثبات الدعاوي الشرعية بالطرق اللاشرعية.

٣- إنكاره قواعد اللغة المعروفة.

٤- إنكاره أصول التشريع المسلمة لدى أهل الاختصاص في هذا المجال.

٥- وضعُه القواعد المصطنعة في اللغة والأصول من عنده.

٦- نقلُه أقوال السلف ناقصةً، ثم الاستدلال منها على أهدافه.

٧- خلطُه المفاهيم الشرعية الثابتة بالنقل الصحيح المتواتر بين الأمة منذ عهدها الأول، مثل مفهوم "خاتم النبيين" و"رفع عيسى" ونزوله و"المهدي"، وحملها على مفاهيم غير الإسلامية.

٨- إيراده الاشكالات الواهية على المسلمات الإسلامية.

فمن تأمل في صنيع الميرزا المذكور، عرف أن هذا ليس أسلوب المجددين، أو الملهمين أو المحدثين، بل إنه صنيع مَن يريد تفريق شمل الأمة، والتشكيك في المسلمات الدينية.

نصيحتنا حول صنيع الميرزا:

نحن ننصح أبناء الملة القاديانية عمومًا، وعقلاءهم على وحه الخصوص أن حماية نبوة الميرزا العارية من خصائص النبوة، وحماية مسيحيته التي لم تنفع العالم شيئًا، والأمة الإسلامية سوى الفرقة فيها، وحماية مهدوية الميرزا التي لم يساعده اسمه ونسبه وسيرته وأحوال العالم تناقض ادّعاءه بها، فالتأمل في هذه الأمور خير ما ننصح به أبناء الملة القاديانية، وهو أفضل طريق للوصول إلى سبيل الهدى.

اللمحة الفكرية الخامسة:

التدريج في باب النبوة والأطوار اللاشرعية:

ندعو أبناء الملة القاديانية إلى أن يتأملوا في التدريج التي مرّ بها مؤسس القاديانية في باب النبوة، ثم المراحل والأطوار التي لم ينزل الله بها من سلطان.

المرحلة الأولي (استحالة وجود النبوة بعد النبي الخاتم):

كان الميرزا في مرحلة كان يرد بالشدة على إمكان نزول الوحي، وكان يدعي باستحالة نزول جبريل بالوحي ولو بجملة واحدة، بل وكان يلعن كل مدعي النبوة، ويستدل بآية خاتم النبيين، وحديث "لا نبي بعدي" على عقيدة ختم النبوة، ويرى أن نزول الوحي يكسر مهر الخاتمية، بل وكان يصرّح بأن بعثة نبي بعد خاتم النبيين لا يليق بعظمة ذات الباري جلّ وعلا.

❋ **حيث يقول في "تبليغ الرسالة" صفحة: ٦/٣٠٢:**

"لا يليق بعظمة الله أن يبعث نبياً بعد خاتم النبيين، ولا يليق بشأنه أن يُجري سلسلة النبوة ثانيةً بعد أن قطعه، وأن ينسخ بعض أحكام القرآن الكريم وأن يزيد فيها".

النص الأردي:

"اللہ تعالی کو شایان نہیں کہ خاتم النبیین کے بعد نبی بھیجے اور نہیں شایان کہ سلسلہ نبوت کو دوبارہ از سر نو شروع کردے بعد اس کے کہ

اسے قطع کر چکا ہو اور بعض احکام قرآن کریم کے منسوخ کر دے اور ان پر بڑھادے".

نقول: إن الميرزا في تصريح المذكور لم يفرق في إقراره قطع سلسلة النبوة بين النبوة التشريعية وغير التشريعية.

المرحلة الثانية (اختيار الميرزا لقب نبيٍ من الأمة):

ثم انتقل الميرزا من المرحلة الأولى إلى مرحلة الثانية، وحرّف في عقيدته.

❋ **حيث يقول في "حقيقة الوحي" صـ: ١٥٠:**

"كانت عقيدتي في أول الأمر أنّى يكون لي أي نسبة بالمسيح ابن مريم؟ هو نبي، ومن المقربين المكرمين عند الله، فلو ظهر لي شيء بفضلي، أحسبه فضيلة جزئية، لكن بعد ذلك حينما نزل عليّ وحي الله تعالى كالمطر، لن يسمح لي أن أبقى على تلك العقيدة، وأوتيت لقب "النبي" على وجه الصراحة، لكني نبي من جهة، وأمتي (أي فرد من الأمة) من جهة أخرى".

النص الأردي:

"اوائل میں میرا یہی عقیدہ تھا کہ مجھ کو مسیح ابن مریم سے کیا نسبت ہے؟ وہ نبی ہے اور خدا کے بزرگ و قریبین میں سے ہے، اور اگر کوئی امر میری فضیلت کی نسبت ظاہر ہوتا تو میں اس کو ایک جزوی فضیلت قرار دیتا، مگر بعد میں جو خدا تعالی کی وحی بارش کی طرح میرے پر نازل ہوئی اس نے مجھے اس عقیدے پر قائم نہ رہنے دیا اور صراحت سے "نبی" کا خطاب

مجھے دیا گیا، مگر اس طرح سے کہ ایک پہلو سے نبی اور ایک پہلو سے امتی".

ففي هذا البيان القادياني تبديل للعقيدة على وجه الصراحة من عدم مجيء النبي بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم إلى عكسه، وكان ابن الميرزا والخليفة الثاني له الميرزا بشير الدين محمود مقرًا بهذا التبديل في العقيدة.

❋ **حيث يقول في "حقيقة الوحي" صـ: ١٥٠:**

"الحاصل إن إحالة "حقيقة الوحي" أوضحت أن عقيدته في بابي النبوة، وحياة المسيح كانت كعامة المسلمين، ثم غيّـر فيهما".

النص الأردي:

"الغرض "حقیقۃ الوحی" کے حوالے نے واضح کر دیا کہ نبوت اور حیات مسیح کے متعلق آپ کا عقیدہ پہلے عام مسلمانوں کی طرح تھا مگر پھر دونوں میں تبدیلی فرمائی".

وهنا يطرح هذا السؤال بنفسه: هل هذا التبديل كان في ضوء القرآن أو الحديث؟ يجيب عليه الخليفة الثاني للقاديانية، وهو الميرزا بشير الدين محمود.

❋ **حيث يقول في خطبة الجمعة الواردة في "جريدة الفضل" بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٤١م في زاوية خطاب الجمعة.**

"صار التغيير في إدعاء المسيحية قسرًا بطريق الوحي، وأكره

الوحي أيضًا على التغيير في العقيدة السابقة التي تتعلق بالنبوة بالوحي جبراً".

النص الأردي:

"دعوئ مسیحیت کی بابت بھی تبدیلی جبراًبذریعہ وحی ہوئی اور نبوت کے متعلق بھی سابقہ عقیدہ میں وحی نے جبراًتبدیلی کرائی".

هنا يطرح هذا السؤال بنفسه، هل يمكن التبديل في باب العقائد؟ كلاّ! كما نسأل القاديانية ما هو مرجع الوحي الذي يُكره أحدًا على التبديل في عقائد الإسلام؟ ثم ارتقى الميرزا في باب النبوة إلى طورٍ آخر.

المرحلة الثالثة (نبي غير تشريعي):

قسّم الميرزا النبوة إلى قسمين:- **رسول ونبي بشريعة، وآخر بدون أي شريعة.**

❋ حيث يقول في "تبليغ الرسالة" صـ ١٠/١٨:

"أنا رسول ونبي لكن بدون أي شريعة".

النص الأردي:

"رسول اور نبی ہوں مگر بغیر کسی شریعت کے".

نريد أن نوضح هذا الأمر بأن هناك قسمان للنبوة، وهما نبي تشريعي، ونبي غير تشريعي، ولا يوجد قسم خاص من نبوةٍ بدون أي شريعةٍ، هذا من صناعة القاديانية، كما ندعو أبناء القاديانية إلى التأمل فيما ذكرنا من

تصريح الميرزا القادياني، وإلى تصريح ابنه من تبديل الميرزا في العقيدة بالوحي، ثم يتأملوا في حكم التبديل في العقيدة؟

نقول: إن التبديل في العقيدة أمر محظور شرعًا وعقلاً، ثم التبديل في العقيدة المبنى على غير وحي القرآن أمر مردود شرعًا، ثم الوحي الذي يعارض وحي القرآن والسنة وحي من الشيطان، لا من الرحمان، إنه واجب الردّ لصاحبه ولأتباعه، وكان الواجب على الميرزا مثل المسلمين عدم تبليغ مثل هذا الوحي ورفضِه تمامًا، لكنه لم يفعل ذلك، بل إنه شرع لنفسه قسمًا مخصوصًا من أقسام النبوة، وهي نبوة بدون أي شريعةٍ.

ويجدر بنا أن نذكر أقسام النبوة القاديانية هنا، ولعل كثيراً من الناس لا يطّلعون على هذا الأمر بأن النبوة عند القاديانية على ثلاثة أقسام، **وهي:**

١) النبوة التشريعية أو المستقلة كنبوة محمد ﷺ وموسى عليه السلام وحول هذه النبوة تعلن القاديانية عبر وسائلها الإعلام اليوم عند بيان عقيدة ختم النبوة بأنها منحة ربانية، وقد انقطعت سلسلتها.

٢) **القسم الثاني:** النبوة غير التشريعية أو غير المستقلة كنبوة هارون عليه السلام، وهي أيضًا حسب تصريح القاديانية منحة محضة.

٣) **القسم الثالث:** النبوة التابعة، وهذه النبوة من الممكن الحصول عليها عند القاديانية إذا حصل للمؤمن اتباع تام لخاتم النبيين ﷺ، وهذا النوع من النبوة مخصوصة بالأمة المحمدية لدى القاديانية، فهي منحة ومكتسبة، لكن لا علاقة لمثل هذه النبوة بالإسلام، لأن النبوة منحة ربانية ليست بمكتسبة.

دعوتنا في هذا الموقف:

ندعو عقلاء القاديانية إلى التدبر والتأمل في هذا النوع المخصوص من النبوة، والتي لا نظير لها في تاريخ النبوة الربانية، ولا ذكر لها في مراجع شرعية من الكتاب والسنة، ولا علم لها لسلف هذه الأمة وخلفها، نسأل القاديانية ما مستدل هذه النبوة؟

نقول: إذا كان هذا النوع من النبوة ربانية، ألم يكن هذا واجبًا على الله ورسوله التصريح بذلك؟ نعم!.

إننا نجد أن القرآن الكريم حينما ذكر الإيمان بالرسل، فقد صرّح بطلب الإيمان بالوحي المحمدي الوحي السابق عليه، وطلب من المؤمنين الإيمان بالوحيين فحسب، ولم يذكر، ولم يطلب الإيمان بأي وحيٍ نازل بعد محمد ﷺ، على أبناء القاديانية أن يتأملوا في هذا الأمر، ولعلّ الله يهديهم إلى سبيل الهدى.

نقول:

❋ إن مستدل القاديانية في هذا كما يكتب الميرزا بنفسه في اعلانه بتاريخ ٢٠/ شعبان/ ١٣١٤هـ، والمندرج في "تبليغ الرسالة" ٦/٣٠٢ كالآتي:

> **"ليتضح عليهم بأننا نلعن مدعي النبوة، ونقول "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، ونؤمن بختم النبوة، ولا نقول بوحي النبوة، بل نقول بوحي الولاية تحت ظل النبوة المحمدية، والتي تمنح لأولياء الله بأتباع النبي ﷺ".**

النص الأردي:

"تاکہ یہ ظاہر ہو جائے کہ ہم مدعیٔ نبوت پر لعنت بھیجتے ہیں، اور "لا الہ إلا اللہ محمد رسول اللہ" کہتے ہیں، اور "ختمِ نبوت" پر ایمان رکھتے ہیں، اور ہم وحیٔ نبوت کے ذریعہ نہیں کہہ رہے ہیں، بلکہ ہم اس "ولایتِ وحی" کے ذریعہ کہہ رہے ہیں جو نبوتِ محمدیہ کے ظل کے تحت ہے اور جو نبی صلی اللہ علیہ وسلم کی اتباع کے ذریعہ اولیاء کو حاصل ہوتی ہے".

على عقلاء الملة القاديانية أن يتأملوا في أسألتنا الآيتية:

أولاً: ما المرجعية الشريعية لهذا النوع الثالث من النبوة التي تمنح لأولياء الله حسب تصريح الميرزا لأتباع النبي ﷺ؟

ثانيًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من الصحابة وكانوا أكمل الناس في الأمة في أتباع نبيهم؟

ثالثًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من التابعين؟

رابعًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من أتباع التابعين، وهؤلاء كلهم كانوا أخيار هذه الأمة بشهادة النبي ﷺ بسبب اتباعهم الكامل له؟

خامسًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من الأئمة المجتهدين؟

سادسًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من الأئمة المحدثين؟

سابعًا: لماذا لم تمنح هذه النبوة لأحد من المفسرين؟

ثامنًا: لما لم تمنح لأحد هذه النبوة من المجددين الذين وجدوا في زمن

فساد الأمة؟ إن كان سبب منح هذه النبوة فساد أحوال الناس (حسب زعم القاديانية).

ألم يوجد في الأمة المتبع الكامل في الصحابة أو التابعين أو أتباع التابعين مرورًا أو الأئمة المجتهدين أو المفسرين أو المحدثين؟ ووُجد الميرزا غلام أحمد لهذا النوع المخصوص، الغريب، الوحيد، عديم النظير؟

هذا النوع من النبوة، وتخصيصها بالميرزا تكذيب صريح للقرآن الكريم الذي أثنى على أصحاب رسول الله ﷺ في كمال طاعتهم قائلا: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ {الفتح: ٢٩}، وقال أيضا في شأنهم، وفي أتباعهم لرسول الله ﷺ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ {الحجرات: ٧}.

بل إنه تنقيص لشرف خير أمة حيث لم يوجد فيها "المتبع الكامل" إلاّ شخص واحد، وقد قال الله جلّ وعلا في وصف المتبعين الكاملين للنبي الخاتم ﷺ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٤٠﴾ {الواقعة: ٣٩}.

فليتأمل أفراد هذه النحلة بأن هذا النوع المخصوص من النبوة لشخص واحد من بين ملايين المسلمين لا يجلب أي خير لخير أمة، أو لنبيها رحمةً للعالمين وخاتم النبيين ﷺ، بل إن الفضل كله في قطع سلسلة النبوة على ذاته ﷺ.

❋ وكان الميرزا نفسه قد صرح بما قلناه في "تشحيذ الأذهان" بعنوان حقيقة ختم النبوة المحمدية.

"لو يُنظر بالتأمل أن العظمة التي تثبت لنبينا ﷺ بعدم صحة إطلاق "نبي" على أحد بعده، لا يمكن ثبوت مثل ذلك الفضل في القول باستمرارية النبوة بعده عليه السلام، فكان موسى نبي الله، وجاء بعده غيره الآلاف من الأنبياء، فلا يثبت أي خصوصية أو عظمة لنبوته، وبعكس ذلك لقد رُوعيت مكانة نبوته ﷺ، وعُظّم شأنه بحيث لم يُشرك أحد غيره بعده في هذا الاسم بأي وجه".

النص الأردي:

"اگر غور سے دیکھا جائے تو ہمارے نبی کریم کو جو آپ کے بعد کسی دوسرے کے نبی نہ کہلانے سے شوکت ہے اور حضرت موسی کے بعد اور لوگوں کے بھی نبی کہلانے سے ان کی کسر شان کیونکہ حضرت موسی بھی ایک نبی تھے اور ان کے بعد ہزاروں اور بھی نبی آئے تو ان کی نبوت کی خصوصیت اور عظمت کوئی نہیں ثابت ہوتی بر عکس اس آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کی ایک عظمت اور آپ کی نبوت کا پاس اور ادب کیا گیا ہے کہ آپ کے بعد کسی دوسرے کو اس نام سے کسی طرح بھی شریک نہ کیا گیا".

مواقع التأمل:

فليتأمل أبناء الملة القاديانية في تصريح مؤسسها بأن ثبوت عظمة النبي الخاتم ﷺ في عدم استمرارية سلسلة النبوة بعده، وفي عدم مشاركة أحد بعده في هذا الاسم، ولا شك أن الذي يتأمل في نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب يصل إلى الحق والصواب، **ويعلم على وجه اليقين ما يلي:**

أولاً:

إن القرآن والحديث يمنعان من وجود سلسلة النبوة الربانية على الاطلاق بعد خاتم النبيين ﷺ.

ثانيًا:

لا فرق في انقطاع سلسلة النبوة بين نبوة تشريعية، أو غير تشريعية.

ثالثًا:

لا يوجد أي مستند شرعي لوجود "**نبوة تابعة**" للنبي الخاتم ﷺ.

رابعًا:

لم يوجد أي "**نبي تابع**" لا عند المسلمين، ولا عند القاديانية في طبقات الأمة المفضلة من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وطبقة المحدثين والمفسرين، وطبقة المجددين، وكذلك في من جاء من أهل العلم بعد هؤلاء المفضلين؟

خامسًا:

وجود المجدد أو المحدث أمر ثابت شرعاً في دائرتهما.

سادساً:

لا يوجد أي مستند شرعي لما قاله الميرزا في باب المحدثية بأن المحدثة نبي بالقوة لا بالفعل، ولا المرجعية الشرعية للقاديانية لوجود "نبي تابع" في الأمة.

موقع التأمل في هذا النوع من النبوة:

هناك تناقض واضح في الحكم مَن ينكر هذا النوع المخصوص للنبوة، وهو لمحة فكريةٌ ساطعةٌ لأبناء القاديانية، فإن مؤسس القاديانية يُكفر منكريه، وأتباعُه على هذه العقيدة، ولعلّ تناقض الميرزا في حكم المنكر لهذا النوع من النبوة لا يطّلع عليه، أو لم يتأمل فيه كثير من أبناء القاديانية، ونحن نناقشه في ضوء ما يلي.

❋ يقول في "تبليغ الرسالة"

"هذه النكتة تليق بالحفظ بأن تكفير أحد منكري ادّعاءه هو شأن الأنبياء الذين يأتون بالشريعة والأحكام الجديدة من عند الله، أما ما عدا أصحاب الشريعة من الملهمين أو المحدثين، وإن كانوا ذا منزلة عليا عند الله، ومشرّفين بالمكالمة الإلهية، لا يكفر أحد بإنكارهم".

النص الأردي:

"یہ نکتہ یادرکھنے کے قابل ہے کہ اپنے دعوے کے انکار کرنے والے کو کافر کہنا یہ صرف ان نبیوں کی شان ہے جو خدا تعالی کی طرف سے شریعت اور احکام جدیدہ لاتے ہیں، لیکن صاحب شریعت ہونے کے ماسوا جس قدر ملھم اور محدث ہیں، گو وہ کیسی ہی جناب الہی میں اعلی شان رکھتے ہوں، اور خلعتِ مکالمہ الہیہ سے سرفراز ہوں ان کے انکار سے کوئی کافر نہیں بن جاتا".

نقول:

إذا كانت نبوة الميرزا حسب زعمه غير تشريعية، وكان من الملهمين أو المحدثين فقط، أو من المشرّفين بالمكالمة الالهية، فقد صرح بنفسه عدم تكفير مَن أنكر مثل هذه النبوة، فلماذا كفّر الميرزا منكريه؟ وناقض نفسه.

❋ **حيث يقول في "ترياق القلوب":**

"كل من بلغته دعوتي، ولم يقبلني ليس بمسلم".

النص الأردي:

"ہر اس شخص کو میری دعوت پہنچی اور اس نے مجھے قبول نہیں کیا وہ مسلمان نہیں ہے".

❋ **وقال أيضاً في مكتوبه باسم الدكتور عبد الحكيم المندرج في "حقيقة الوحي" صـ: ١٦٣ ما يلي:**

"ذُكر عني مراراً في هذه الالهامات "هذا رسول الله" ومأمور من الله، وأمين الله قد جاء من عند الله، وآمنوا بماذا يقوله وعدوه جهنمي".

النص الأردي:

"ان الہامات میں میری نسبت بار بار بیان کیا گیا ہے کہ یہ خدا کا فرستادہ خدا کا مامور خدا کا امین اور خدا کی طرف سے آیا ہے—جو کچھ کہتا ہے اس پر ایمان لاؤ اور اسکا دشمن جہنمی ہے".

❋ وقال في "حقيقة الوحي":

"الكفر على قسمين، أحدهما أن يُنكر الإسلام أصلاً، ولا يؤمن أن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، ثانيهما مثل أن ينكر أحد المسيح الموعود، ويراه كاذباً رغم إتمام الحجة".

النص الأردي:

"کفر دو قسم پر ہے، ایک یہ کفر کہ ایک شخص اسلام سے ہی انکار کرتا ہے، اور آنحضرت کو خدا کا رسول نہیں مانتا، اور دوسرے یہ کفر کہ مثلاً وہ مسیح موعود کو نہیں مانتا، اور اس کو باوجود اتمام حجت کے جھوٹا جانتا ہے".

❋ ويقول في آخر كلامه:

"لو ينظر فيه بالتأمل، فهذا الكفران داخلان في قسم واحد".

النص الأردي:

"اگر غور سے دیکھا جائے تو یہ دونوں کفر ایک ہی قسم میں داخل ہیں".

❋ ويقول ابنه بشير الدين محمود كما نُشر في "جريدة الفضل" بتاريخ ٤/ إبريل ١٩٣٠م ردًا على سائلٍ:

"سؤالك الثاني يتعلق بالكفرو وهو أن حضرة المسيح الموعود قد كفّر في بعض المواضع غير الأحمديين بسبب إفتاء العلماء بكفره، وفي موضع آخر كفّرهم بسبب كفرهم به، فلا تناقض فيه إذ يمكن الاجتماع الأمرين في وقت واحد، يكفر الانسان بتكفير المؤمن أيضًا، وبإنكار المأمورية أيضًا، فكان حضرة المسيح الموعود نبياً من الأمة، فكفر غير الأحمديين بتكفيرهم النبي الأمتي، كما صاروا كفاراً بسبب إنكارهم به".

"الثالث: هو أن جميع المسلمين من لم يدخلوا في بيعة المسيح الموعود، سواءٌ أسمعوا اسمه، أم لم يسمعوا خارجون عن دائرة الإسلام، أنا أُسلِّم بأن هذه عقائدي".

النص الاردي:

"دوسرا سوال آپ کا کفر کے متعلق ہے کہ بعض جگہ حضرت مسیح موعود علیہ السلام نے علماء کے کفر کا فتوی لگانے کی وجہ سے غیر احمدیوں کو کافر قرار دیا ہے اور دوسری جگہ اپنے نہ ماننے کی وجہ سے انہیں کافر ٹھہرایا ہے اس میں کوئی تناقض نہیں، یہ دونوں باتیں ایک ہی وقت میں جمع

ہوسکتی ہیں، مؤمن کو کافر کہنے سے بھی انسان کافر ہوجاتاہے اور ماموریت کے نہ ماننے کی وجہ سے بھی، حضرت مسیح موعود علیہ السلام امتی نبی تھے،امتی نبی کو کافر کہہ کر بھی غیر احمدی کافر ہوگئے اور آپ کو نبی نہ مان کر بھی کافر، سوم: یہ کہ کل مسلمان جو حضرت مسیح موعود کی بیعت میں شامل نہیں ہوئے خواہ انھوں نے حضرت مسیح موعود کا نام بھی نہیں سنا وہ کافر اور دائرہ اسلام سے خارج ہیں، میں تسلیم کرتاہوں کہ یہ میرے عقائد ہیں".

اتضح من هذه التصريحات أن الميرزا كان يدعي بنبوة مخصوصة، وهي النبوة التابعة، أو أنه "نبي أمتي"، أي ليس نبي تشريعي، ولقد صرّح قبل بأن النبي الذي يكفّر منكره هو النبي التشريعي فحسب، فهنا نسأل القاديانية، لماذا قال الميرزا للدكتور عبد الحكيم أنه مرتد؟

ولماذا قال لوالد العلامة محمد إقبال أنه خارج عن الإسلام؟

كما ورد في "سيرة المهدي" صـ: ٣/٢٤٩:

وكان الميرزا في هذه المرحلة مدعيًا بالنبوة التابعة، أي غير التشريعية التي لا يكفر منكرها.

إلى هنا وقد ارتقى الميرزا إلى النبوة التابعة التي منكرها لا يكون كافرًا حسب تصريحه.

فليتأمل عقلاء القاديانية فيما يلي:

أولاً: في التدريج في باب النبوة، وليس هذا شأن أنبياء الله.

ثانيًا: في التناقض في فتوى التكفير وعدمه لمنكري النبوة غير التشريعية، لم يتوقف الميرزا إلى هذه المرحلة، بل استمرّ إلى ما بعده في باب النبوة إلى الادّعاء بالنبوة التشريعية.

المرحلة الرابعة:

الادّعاء بالنبوة التشريعية.

❋ **لقد صرح الميرزا بذلك أيضًا، وسعى لإثبات نبوته التشريعية كما ورد في الأربعين صـ: ٦ وبرقم/ ٤:**

"لو قلتم أن صاحب الشريعة يُهلك بالافتراء لا كل مفتر، فأولاً هذا الإدعاء بلا دليل، لم يقيّد الله الافتراء بالشريعة، وعلاوة على ذلك عليكم أن تفهموا أيضًا ما هي الشريعة؟ فكل مَن ذكر أي قدر من الأوامر والنواهي في وحيه، ووضع قانونًا لأمته، صار صاحب الشريعة، ففي هذا التعريف أيضًا صار معارضونا مجرمين لأن في وحيي أمرٌ أيضاً، ونهيٌ أيضاً".

النص الأردي:

"اگر کہو کہ صاحب شریعت افتراء کرکے ہلاک ہوتا ہے نہ کہ ہر ایک مفتری تو اول تو دعوی بلا دلیل ہے، خدا نے افتراء کے ساتھ شریعت کی کوئی قید نہیں لگائی، ماسوا اس کے یہ بھی تو سمجھو کہ شریعت کیا چیز ہے؟ جس نے اپنی وحی کے ذریعہ جتنے امر و نہی بیان کئے اور اپنی امت کیلئے

قانون مقرر کیا وہی صاحب شریعت ہو گیا، پس اس تعریف کی وجہ سے بھی ہمارے مخالف ملزم ہیں، کیونکہ میری وحی میں امر بھی ہے اور نہی بھی".

وهكذا قد وصل الميرزا إلى المرحلة الرابعة في باب النبوة، وهي حسب زعمه النبوة التشريعية، واستدل على ذلك بوجود الأوامر والنواهي في وحيه، ولكن الأمثلة التي ذكرها للأمر والنهي، أخذها من وحي النبي الخاتم ﷺ، فلا شك إنه دجل، ولقد صدق رسول الله ﷺ حينما أخبر على وجه الإعجاز بأن مدعي النبوة بعده كذاب ودجال.

المرحلة الخامسة: وهي ادّعاء وحدة الوجود بينه وبين النبي الخاتم ﷺ:

بعد ادّعاء الميرزا بالنبوة التشريعية ارتقى إلى درجة الوحدة والتسوية، وعدم الثنائية بينه وبين سيد السادات النبي الخاتم عليه أفضل التحيات، حيث صرّح الميرزا أنه عين محمد وأحمد، وصار وجوده وجود محمد ﷺ.

ثم وبفكرة البروز الباطلة صرّح أنه لا يلزم من ادعائه النبوة التشريعية كسر مهر خاتم النبيين ﷺ، وذلك بسبب العينية بينه وبين المصطفى ﷺ، وعدم الثنائية بينه وبين النبي الخاتم ﷺ.

فليتأمل أهل الحل والعقد أن الميرزا لم يستدل بالقرآن الكريم، ولا بالحديث النبوي الشريف على دعاويه، بل باستخدام فكرة البروز الباطلة المصنوعة من عند نفسه.

❋ حيث يقول في "إزالة الخطأ" صـ: ٦:

"يقتضي مفهوم خاتم النبيين أن أحداً لو تسمّى بالنبي، وبقى سترٌ من المغايرة يكون مُكسّرًا للمهر الثابت على خاتم النبيين، لكن إذا فَنِيَ أحد في خاتم النبيين على وجه بأنه قد تحصل على اسم النبي بكمال الاتّحاد، ونفي المغايرة، وانعكس فيه الوجه المحمدي كالمرآة الصافية، فهو يسمى نبياً بدون كسر المهر لأنه محمدٌ، وإن كان على وجه الظل".

النص الأردي:

خاتم النبیین کا مفہوم تقاضا کرتا ہے کہ جب تک کوئی پردہ مغائرت کا باقی ہے اس وقت تک اگر کوئی نبی کہلائے گا تو گویا اس مہر کا توڑنے والا ہوگا جو خاتم النبیین پر ہے لیکن اگر کوئی شخص اسی خاتم النبیین میں ایسا گم ہو کہ بباعث نہایت اتحاد اور نفی غیرت کے اسی کا نام پالیا اور صاف آئینہ کی طرح محمدی چہرہ کا اس میں انعکاس ہوگیا تو وہ بغیر مہر توڑنے کے نبی کہلائے گا کیونکہ وہ محمد ہے گو ظلی طور پر".

يتأمل العقلاء من أبناء الملة القاديانية في تقسيم الميرزا مدعي النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ إلى قسمين:

١) مكسر مهر خاتم النبيين.

٢) غير مكسر مهر خاتم النبيين.

نقول: لا مستند الشرعي للميرزا من الكتاب والسنة على وحدة الوجود

وكمال الاتحاد، ونفيِ الثنائية بينه وبين محمدٍ ﷺ، ولا أثر لفكرة البروز في أي شريعة سماوية، ولا وجود لفكرة البروز في أي مجتمع بشري مثقف، أو غير مثقف.

المرحلة السادسة (التفوق على محمد ﷺ في الروحانية):

من خلال فكرة البروز لقد تدرج الميرزا إلى أن وصل درجة العينية، وأدعى أنه عين محمد ﷺ، ووجوده وجوده، وصرح بأن محمد رسول الله ظهر في شخصيته، وكان هو بروزه الثاني، ولم يكتفي بهذا فحسب، بل ارتقى إلى درجة التفوق قائلاً إن روحانية نبينا ﷺ في مرحلة البروز أشد وأكمل من روحانيته عند بعثته الأولى، بل وقد قدّر له من الفتح أعظم مما قُدّر للنبي ﷺ الأصل، وشبه نفسه بالبدر التام، والنبي الخاتم ﷺ بالهلال.

❋ وهذا نص كلامه باللغة العربية في "الخطبة الإلهامية" صـ: ١٨٢ المدرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٦/٢٧١، ١٦/٢٧٥، ١٦/٢٨٨ كالآتي:

"وأعلم أن نبينا ﷺ، كما بعث في الألف الخامس، كذلك بعث في الألف السادس بإتخاذه بروز المسيح الموعود....، وأن روحانيته ﷺ في هذه الأيام أشد وأقوى وأكمل من تلك الأعوام، بل كالبدر التام..... وقد مضى وقت فتح مبين في زمن نبينا المصطفى، وبقي فتح آخر، وهو أعظم وأكبر وأظهر .... وقدر أن وقته وقت مسيح الموعود؟

وهذه هي المرحلة الأخيرة والنهائية، وصل إليه الميرزا، ونحن ندعو عقلاء أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في ما يلي:

١) أي جرأة أشنع من هذا الادّعاء بأن الميرزا ظلّ محمد رسول الله ﷺ).

٢) أن النبي الخاتم ﷺ اتخذ صورة الميرزا غلام أحمد القادياني.

٣) إن النبي ﷺ حينما اتّخذ صورة الميرزا كان أشد وأتم وأكمل روحانية.

٤) فتح النبي الخاتم ﷺ هو فتح مبين، وفتح الميرزا هو أعظم وأكبر وأظهر.

فنحن ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في تصريحات الميرزا المثبة في مؤلفاته، وإننا على يقين بأن المطلع على ما عرضنا في هذه اللمحة الفكرية أن يصل إلى الحق والصواب، -إن شاء الله تعالى-، كما يدرك تمامًا بأن تدريج الميرزا القادياني من الملهم والمحدّث إلى النبوة بالقوة، وإلى النبوة غير التشريعية، وإلى التشريعية، ثم تدريجه إلى الظلية، ثم تدريجه إلى العينية، ووحدة الوجود بينه وبين النبي الخاتم ﷺ، ثم التفوق عليه في الروحانية ادّعاءاتٌ كاذبة، ودجل من صاحبها، وكلها يجب رفضها والتبرء من صاحبها.

فالله هو الموفق، ويهدي إلى سواء السبيل، وهو الملهم كل مريد الخير والرشد والصواب.

اللمحة الفكرية السادسة:

التناقض في بابي النبوة والمسيحية:

أولاً: التناقض في باب النبوة:

من الأمور البديهية والمعلومة لدى جميع أهل العقل والإيمان أن الله عزّ وجلّ لا يوجد في كلامه تناقض، كما لا يوجد التناقض في كلام كل من شرفه الله بمكالمته، ولا تناقض في كلام من يتكلم باسمه ووحيه، فإذا ثبت أن المدعي بالمكالمة الربانية كلامه متناقض وتصريحاته متضاربة، فهذا دليل صريح على أن ادعائه بالمحدثية والملهمية والمخاطبات الإلهية أمر باطل على الإطلاق، فليس هو من عند الله سبحانه وتعالى، وليس كلامه من عند الباري جلّ وعلا، وليس ما يخبره باسم الوحي وحيٌ رباني، لأن الله يقول في القران الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ **[النساء: ٨٢]**، فهذا نص القرآن صريح في هذا الأمر بأن التصريحات المتناقضة أوضح دليل على كذب صاحبها.

فها نحن ندعو عقلاء أبناء الملة القاديانية إلى أن يتأملوا في تناقضات الميرزا غلام أحمد في بابي النبوة والمسيحية، فإن هذا التأمل خير معين لكل طالب للحق للوصول إليه، وإن من حكمة الله عزّ وجلّ أن ظاهرة التناقض بارزة في شخصية الميرزا غلام أحمد.

❋ يقول الميرزا في "مرآة كمالات الإسلام" صـ: ٣٨٣:

"لست نبيا، بل من الله محدث وكليم لأجدّد دين المصطفى".

النص الأردي:

"میں نبی نہیں ہوں بلکہ اللہ کی طرف سے محدث اور کلیم ہوں تاکہ دین مصطفی کی تجدید کروں".

❋ ويقول في "حمامة البشرى" صـ: ٩٦:

"لم أدع النبوة أبدًا، ولم أقل أني نبي، وقد أسرع هؤلاء الناس، وأخطأوا في فهم قولي، ولم أقل للناس سوى ما كتبته في مؤلفاتي بأني محدَّث، ويكلمني الله تعالى، كما يُكلّم المحدثين".

النص الأردي:

"میں نے ہر گز نبوت کا دعوی نہیں کیا، اور نہ میں نے انہیں کہا ہے کہ میں نبی ہوں لیکن ان لوگوں نے جلدی کی اور میرے قول کے سمجھنے میں غلطی کی میں نے لوگوں سے سوائے اس کے جو میں نے اپنی کتابوں میں لکھا ہے اور کچھ نہیں کہا کہ میں محدث ہوں اور اللہ تعالی مجھ سے اس طرح کلام کرتا ہے جس طرح محدثین سے".

❋ وكان الميرزا يرى استحالة مجيء أي نبي بعد خاتم الأنبياء ﷺ، حيث يقول في "شهادة القرآن" صـ: ٨:

"إن نبينا ﷺ سيد الرسل هو خاتم الأنبياء، ولا يمكن أن يأتي نبي بعده، وقد وضع المحدثون في هذه الشريعة مقام الأنبياء".

النص الأردي:

"ہمارے سید الرسل صلی اللہ علیہ وسلم خاتم الأنبیاء ہیں، اور بعد آنحضرت صلعم کوئی نبی نہیں آسکتا اس شریعت میں نبی کے قائم مقام محدث رکھے گئے ہیں".

إلى هنا ويستحيل الميرزا وجود النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ، وكون المحدث مقام النبي.

ثم اصطنع الميرزا إصطلاحا جديدًا في باب النبوة لم يوجد في السابقين والاحقين، وهو "نبي بالقوة".

❋ **حيث يقول في حمامة البشرى صـ: ٩٩:**

"لم يفهم الناس قولي، وقالوا هذا الشخص مدعي النبوة، والله يعلم أن قولهم كذب على الإطلاق لا شائبة الصدق فيه، ولا أصل له، نعم! قلت ألبتة إن المحدث يوجد فيه أجزاء النبوة، لكن لا بالفعل، فالمحدث نبي بالقوة، لو لم ينسد باب النبوة، لكان المحدث نبيا".

النص الأردي:

"لوگوں نے میرے قول کو نہیں سمجھا ہے، اور کہہ دیا کہ یہ شخص نبوت کا مدعی ہے، اور اللہ جانتا ہے کہ ان کا قول قطعاً جھوٹ ہے جس میں سچ کا شائبہ نہیں، اور نہ اس کی کوئی اصل ہے، ہاں! میں نے یہ ضرور کہا ہے

کہ محدث میں اجزائے نبوت پائے جاتے ہیں لیکن بالقوۃ بالفعل نہیں تو محدث بالقوۃ نبی ہے، اور اگر نبوت کا دروازہ بند نہ ہو جاتا تو وہ بھی نبی ہوتا".

لقد أنكر الميرزا كونه نبيا، لكنه جاء مصطلح مصطنع من عنده، وهو "النبوة بالقوة" لا بالفعل، وقوله هذا في حدّ ذاته متناقض للشريعة المحمدية، وجميع الشرائع السماوية التي لم يوجد فيها هذا النوع من النبوة، كما أنه قوله المذكور يعارض مسلمات الأمة المسلمة، ومنها عدم إطلاق النبوة على أحد إلاّ بعد وجود كامل أجزاء النبوة، والتي قد انقطعت على النبي الخاتم ﷺ، وقد صرح بذلك ابن العربي، واسمه مدرج في قائمة المجددين لدى القاديانية في "عسل مصفى".

❋ **حيث يقول في الفتوحات صـ: ٢/٥٦٨:**

"فما تطلق النبوة إلاّ لمن اتصف بالمجموع، فذلك النبي وتلك النبوة التي حجزت علينا، وانقطعت".

❋ **وصرح أيضا في نفس المرجع:**

"بأن صاحب المبشرة لا يكون نبيا".

فليتأمل عقلاء القاديانية فيما يلي:

★ ما هو مأخذ الميرزا في وضع هذا المصطلح في باب النبوة؟

★ بم استدل الميرزا على كون المحدّث نبيا بالقوة؟ وقد أقرّ الميرزا نفي النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ بسبب انسداد بابها.

لا شك أن هذا مصطلح جديد في باب النبوة لم يستدل فيه الميرزا بأي مرجع سماوي لا من القران، ولا من الحديث.

❋ **حيت يقول في "عين المعرفة" صـ: ٣٢٤:**

"قد كتبنا مرارا هذا الأمر أن سيدنا ومولانا محمد ﷺ خاتم الأنبياء على الحقيقة والواقع، ولا نبوة بعده على وجه مستقل، ولا شريعة، فإن ادعى أحد بذلك فهو خارج عن الدين ومردود،إلا أن الله عزّ وجلّ قد أراد في الإبتداء أن يشرف شخصًا منصب كثرة المكالمات والمخاطبات الإلهية بسبب اتّباعه الرسول ﷺ وطاعته، وذلك لإظهار وإثبات الكمالات المحمدية إلى قدر معتد، والتي تُوجد صبغة النبوة في وجوده على وجه العكس، فهكذا سماني الله "نبيًا"، أي انعكستْ النبوة المحمدية في مرآة نفسي، وسميت بهذا الإسم على وجه الظل، لا على وجه الأصل، لأكون نموذجًا كاملاً لفيوض النبي ﷺ".

النص الأردي:

"ہم بار بار لکھ چکے ہیں کہ حقیقی اور واقعی طور پر تو یہ امر ہے کہ ہمارے سید و مولانا آنحضرت صلعم خاتم الانبیاء ہیں، اور آنجناب کے بعد مستقل طور پر کوئی نبوت نہیں، اور نہ کوئی شریعت ہے، اور اگر کوئی ایسا دعوی کرے تو بلاشبہ وہ بے دین اور مردود ہے، لیکن خدا تعالی نے ابتدا سے ارادہ کیا تھا کہ آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے کمالات معتدبہ کے اظہار

واثبات کیلئے کسی شخص کو آنجناب کی پیروی اور متابعت کی وجہ سے وہ مرتبہ کثرت مکالمات اور مخاطبات الہیہ بخشے کہ جو اس کے وجود میں عکسی طور پر نبوت کا رنگ پیدا کردے سو اس طرح سے خدا نے میرا نام نبی رکھا، یعنی نبوت محمدیہ میرے آئینہ نفس میں منعکس ہوگئی اور ظلی طور پر نہ اصلی طور پر، مجھے یہ نام دیا گیا تھا کہ میں آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے فیوض کا کامل نمونہ ٹھہروں".

نقول:

فتح الميرزا مدخلاً غريباً في باب النبوة، وهو خلق صبغة النبوة على وجه العكس، كما عيّن له منزلة بلا مستندٍ شرعي، وهو أنه نبي على وجه الظل، لا على وجه الأصل.

موقف التأمل في هذا المقام هو النظر في الأمور الأتية:

١) ما هو المرجع الشرعي لإرادة الله ما قاله الميرزا؟
٢) ما هو مستدل الميرزا في خلق صبغة النبوة على وجه الانعكاس؟
٣) ما هو دليل الميرزا على أنه نبي على وجه الظل، لا على وجه الأصل؟

لأنه لم يستند الميرزا في هذه التصريحات إلى أي مرجع سماوي، ولا بأي آية من القرآن الكريم، ولا أي حديث من أحاديث سيد المرسلين ﷺ.

نسأل القاديانية:

بأي حجة تقول القاديانية أن الميرزا كان متبعًا كاملاً لحضرة المصطفى ﷺ؟ وقد كان الميرزا متناقضًا تمامًا طريقَ الرسل والأنبياء، بل وسبيل المؤمنين.

إلى هنا وينفي الميرزا كونه نبيًا على وجه الأصل والحقيقة.

موقف التأمل لأبناء الملة القاديانية:

إن الميرزا كان يرى استحالة نزول جبريل بوحي جديد، ثم يأتي بتناقض لا يمكن رفعه، وهو نزول الوحي عليه.

❋ يقول الميرزا في "التذكرة مجموع الإلهامات" صـ: ٢٦٢:

"أنزل عليه" يرفع الله ذكرك".

❋ ويقول في "التذكرة" صـ: ٦٣٧:

"أنزل عليه" إنا أنزلناه قريبا من القاديان، وبالحق أنزلناه وبالحق نزل".

❋ ويقول أيضًا:

"يا أحمد فاضت الرحمة على شفتيك، {إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر}، يأتي قمر الأنبياء، وأمرك يتأتى يوم يجيء الحق، ويكشف الصدق، ويخسر الخاسرون، وأقم الصلاة لذكري، أنت معي، وأنا معك، سرك سري، وضعنا عنك، وزرك الذي أنقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك، يخوفونك من دونه أئمة الكفر، لا تخف إنك أنت الأعلى الله الذي جعلك المسيح ابن مريم، يا عيسى إني متوفيك، ورافعك إلى إلي، واتلو عليهم ما أوحي إليك من ربك

أصحاب الصفة، وما أدراك ما أصحاب الصفة، ترى أعينهم تفيض من الدمع".

فأي تناقض أعظم من هذا بأن الشخص الذي يستحيل بنزول جبريل بالوحي، ولو بكلمة واحدة، يدعي بنزول الوحي عليه بنفسه.

نسأل القاديانية:

من أين جاء هذا الوحي الموجود في "التذكرة" وغيرها؟ وحينما قامت القاديانية بنشرها كتبت على صفحة الغلاف "**الوحي المقدس**".

فموضع التأمل هنا ما يلي:

١) من أين جاء الوحي بعد استحالة نزول الوحي وملك الوحي؟ هذا تناقض لا يمكن للقاديانية رفعه، ودليل قوي على كذب القائل.

٢) كيف صار الوحي باسم "أحمد"؟ وكان اسم الميرزا غلام أحمد، هذا تناقض لا يمكن للقاديانية رفعه.

٣) جُمع في وحي الميرزا (حسب زعمه) بعض آيات القرآن الكريم، كيف يمكن ذلك؟ وصرّحت القاديانية بعدم نزول الوحي التشريعي، ونزول جبريل، ولو بجملة واحدة، هذا تناقض لا يمكن للقاديانية رفعه.

٤) ويتطلب الأمر إلى المزيد من التأمل بأن الوحي النازل على النبي الخاتم ﷺ المنقول عنه على سبيل المتواتر، أسنده الميرزا إلى نفسه، فصار مصداق قول الله عزّ وجل: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ** ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ومصداق قول النبي الخاتم ﷺ:

"من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

٥) كيف يدعي الميرزا بأنه صاحب شريعةٍ؟ وكان يرى باستحالة وجود النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ.

٦) كيف تصرّح القاديانية عبر تلفازها بعدم وجود النبوة التشريعية بعد النبي الخاتم ﷺ، ومؤسسها يصرّ بكونه صاحب شريعةٍ؟ ويحتج على ذلك بوجود أوامر ونواهي في وحيه؟

❋ حيث يقول في "التذكرة" من وحيه المقدس:

"قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، أي مرسل من الله".

❋ ويقول الميرزا في "الأربعين" رقم/ ٤ المدرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ٤٣٥-٤٣٦/١٧، ويسعى إثبات ادّعائه بالنبوة التشريعية قائلاً:

"هذا مدرج في البراهين الأحمدية، وفيه أمر، وفيه نهي، وقد مر عليه ثلاثة وعشرون عاما، وإلى الآن يوجد في وحيي أوامر ونواهي أيضًا، ولو قلتم المراد من الشريعة ما فيه الأحكام الجديدة، فهذا باطل لأن الله يقول: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ - ١٩]".

النص الأردي:

"یہ براہین احمدیہ میں درج ہے اور اس میں امر بھی ہے اور نہی بھی اور اس پر ۲۳ برس کی مدت بھی گذر گئی اور ایسا ہی اب تک میری وحی میں

امر بھی ہوتے ہیں اور نہی بھی اور اگر کہو کہ شریعت سے وہ شریعت مراد ہے جس میں نئے احکام ہوں تو یہ باطل ہے، اللہ تعالی فرماتا ہے: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]".

فليتأمل أبناء القاديانية في أساليب استدلال الميرزا وكونه صاحب الشريعة في ضوء ما نقلنا من مراجع قاديانية.

أولاً: استدل على إثبات نبوته التشريعية من عدم هلاكه بعد ادّعاء النبوة، وهذا هو الاستدلال الذي يذكره كثيرًا وسائل إعلام القاديانية بكل صراحة اليوم لإثبات نبوته، رغم إنكارهم وجود النبوة التشريعية بعد النبي الخاتم ﷺ (تناقض واضح).

ثانيًا: استدل على وجود أوامر ونواهي في وحيه، وذكر مثاله من وحي النبي الخاتم ﷺ {قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم ألخ}.

ثالثاً: استدل على نبوته التشريعية، ثم قام بالردّ على اعتراض قد صنعه من عنده قائلاً.

"أن عدم الاستيفاء لا يستلزم كون النبوة غير تشريعية حيث يقول في نفس المرجع"، لو قلتم بأن الشريعة ما وجد فيه، "الأمر والنهي على وجه الإستيفاء، فهذا باطل أيضا لأنه لو كان في التوراه، أو القران الكريم ذكر أحكام الشريعة على وجه الإستيفاء لما بقي مجال الإجتهاد".

رابعًا: استدل على "كونه نبيا تشريعيا"، بنصوص وحي النبي الخاتم بحجة أنه قد وجد في النبوة التشريعية المستقلة السابقة من الأحكام، كما وجد مثلها في النبوة اللاحقة، واستدل الميرزا لذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعلى: ١٨ – ١٩]".

ويقول أيضًا:

"لقد وجد تعليمات التوراة في التوراة وفي القرآن أيضًا، فهذا يدل على عدم بطلان النبوة المستقلة أو التشريعية بعد وجود وحي سابق فيها".

نقول:

فليتأمل عقلاء الأمة القاديانية في وجود أنواع من التناقض في باب النبوة، والتي أشرنا إليها.

والآن نحن نذكر تناقضات الميرزا في باب المسيحية.

التناقض في باب المسيحية:

ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل فيما يوجد في كلام الميرزا غلام أحمد من التناقضات الصريحة لا يمكن رفعها في باب المسيحية أيضًا، ونحن ننقلها من مراجع قاديانية أصلية، ونعرضها عليهم، لعلّ الله عز وجل يوفقكم للوصول إلى الحق والصواب، ويلهمهم سبيل الهدى.

كان الميرزا في مرحلة يرى نفسه بعيدًا عن منزلة عيسى عليه السلام الرفيعة، وليس هناك أي نسبة بينه وبين عيسى عليه السلام.

❋ **حيث يقول في "إعجاز الأحمدي" صـ: ٢٥، و"الخزائن الروحانية" صـ: ١٩/١٣٤:**

"كان من المقبولين المحبوبين عند الله، ومن يتهمه هم الخبثاء".

ثم يدعي الميرزا أن له مشابهة تامة بالسيد المسيح، وهو تناقضه بقوله الأول.

❋ **وورد في "البراهين الأحمدية" صـ: ١/٥٩٤ ما تعريبه:**

"لهذا العاجز مشابهة تامة بالسيد المسيح".

النص الأردي:

"اس عاجز کو حضرت مسیح سے مشابہتِ تامہ ہے".

❋ **ويقول في "سفينة نوح" المدرج في "الخزائن الروحاينة" صـ: ١٩/٥٣ ما تعريبه:**

"شُبه هذا المسيح بابن مريم في كل جانب".

النص الأردي:

"اس مسیح کو ابن مریم سے ہر ایک پہلو سے تشبیہ دی گئی".

هذا يناقض ما قاله أولاً.

❋ **يقول الميرزا في إحدى إعلاناته المندرجة في "تبليغ الرسالة" صـ: ٢/٢١ ما تعريبه:**

"لا أدعي بأنني المسيح ابن مريم، ولا أقول بالتناسخ، بل أدعي

فقط أنا مثيل المسيح، فكما تُشبِهُ المحدثية النبوة، كذلك حالتي الروحية تشبه حالةَ المسيح ابن مريم الروحية".

النص الأردي:

"مجھے مسیح ابن مریم ہونے کا دعوی نہیں اور نہ میں تناسخ کا قائل ہوں، بلکہ مجھے تو فقط مثیل مسیح ہونے کا دعوی ہے جس طرح محدثیت نبوت سے مشابہ ہے ایسا ہی میری روحانی حالت مسیح ابن مریم کی روحانی حالت سے مشابہت رکھتی ہے".

ادّعاؤه أنه مثيل المسيح مناقض لما قاله أولاً.

❋ **وقد أكد الميرزا إنكاره بكونه "المسيح الموعود"، حيث يقول في "إزالة الأوهام" صـ: ١٩٩ ما تعريبه:**

"قد ادعيتُ فقط بـ"مثيل المسيح"، كما لا أدعي بأن مثيلية المسيح قد خُتمت بِـي، بل أرى من الممكن أن يأتي عشرات الآلاف من "مثيل المسيح" مثلي، نعم! نعم! أنا "مثيل المسيح" لهذا الزمان، ومن العبث انتظار الآخر".

النص بالأردي:

"میں نے صرف مثیل مسیح ہونے کا دعوی کیا ہے اور میرا یہ بھی دعوی نہیں کہ صرف مثیل ہونا میرے پر ہی ختم ہو گیا ہے بلکہ میرے نزدیک ممکن ہے آئندہ زمانوں میں میرے جیسے دس ہزار مثیل مسیح آجائیں—

ہاں! ہاں! اس زمانے کیلئے میں مثیل مسیح ہوں اور دوسرے کا انتظار بے سود ہے".

❋ **كما يقر الميرزا بنفسه أن علامات المسيح لا تنطبق عليه، حيث يقول في "إزالة الأوهام" وبنفس المرجع الأول ما تعريبه:**

"ومن الممكن تماما أن يأتي في زمنٍ ما مسيحٌ يصدق عليه بعض ألفاظ الأحاديث الظاهرة، لأن هذا العاجز لم يأت بالحكومة الدنيوية والملكية، بل أتى بالدروشة ولباس الفقر، فلما كانت هذه هي الحالة، فما أشكل على العلماء إذًا؟ ومن الممكن أن يتم مرادهم هذا في زمنٍ ما أيضا".

النص بالأردي:

"اور بالکل ممکن ہے کہ کسی زمانہ میں کوئی ایسا مسیح آجائے جس پر حدیثوں کے بعض ظاہری الفاظ صادق آسکیں کیونکہ یہ عاجز اس دنیا کی حکومت اور بادشاہت کے ساتھ نہیں آیا درویشی اور غربت کے لباس میں آیا ہے اور جب کہ یہ حال ہے تو پھر علماء کیلئے اشکال ہی کیا ہے؟ ممکن ہے کہ کسی وقت ان کی یہ مراد بھی پوری ہو جائے".

لقد اعترف الميرزا بنفسه بعدم انطباق علامات المسيح على شخصه، ومنها أنه لا يملك حكومةً، أو ملكيةً، وليس عنده إلا الدروشة والإفلاس.

❋ **وقد ذكر الميرزا في مكتوبه بإسم الشيخ عبد الجبار المندرج في "تبليغ الرسالة" صـ: ٢/١٥٩ ما تعريبه:**

"لا يمكن لي أن أُنكر أبدًا هذا الأمر، ولن أنكره، لعله وأن يكون هناك "مسيح موعود" آخر أيضًا، ولعل هذه النبؤات التي هي في حقي على وجه الروحية تنطبق عليه على وجه الظاهر، ولعله أن ينزل في "دمشق" أي مثيل المسيح في الواقع".

النص الأردي:

"میں اس سے ہر گز انکار نہیں کر سکتا اور نہ کروں گا کہ شاید مسیح موعود کوئی اور بھی ہو اور شاید یہ پیش گوئیاں جو میرے حق میں روحانی طور پر ہیں ظاہری طور پر اس پر جمتی ہوں اور شاید سچ مچ دمشق میں کوئی مثیل مسیح نازل ہو".

فليتأمل أبناء الملة القاديانية في تعامل القاديانية اليوم، وبأي وجه تسعى القاديانية عبر وسائل إعلامها تطبيق علامات المسيح على مؤسسها؟ فهذا التناقض بين المؤسس وبين المتبعين يحتاج إلى التأمل.

وقد حكم الميرزا على أتباعه الذين زعموه "المسيح الموعود" أنهم قليلوا الفهم لأنه لم يدع إلاّ بمثيل المسيح.

❋ **حيث يقول في "إزالة الأوهام" صـ: ١٩٠ ما تعريبه:**

"وما قام به هذا العاجز من الادّعاء بـ"مثيل الموعود"، زعمه قليلوا الفهم "المسيح الموعود"، ليس هذا الادعاء بجديد سُمع مِني اليوم، بل إنه ذلك الإلهام القديم الذي كنتُ قد أدرجتُه على وجه الصراحة في مواضع كثيرة من "البراهين الأحمدية" بعد الاطّلاع عليه من الله، لعله قد مرّ عليه أكثر من سبع سنوات، ولم

أدع هذا ألبتة بأني "المسيح ابن مريم"، فمن يتهمني بذلك، فهو بكل صراحة مفتر وكذاب، بل يُعلن من قِبلي منذ ثماني سنوات على وجه الاستمرار بأني "مثيل المسيح"، أي إن الله قد وضع في جبلّتي أيضًا بعض خواص الطبع الروحية والعادات والأخلاق وغيرها لعيسى عليه السلام".

النص الأردي:

"اس عاجز نے جو مثیل موعود ہونے کا دعوی کیا ہے جس کو کم فہم لوگ مسیح موعود خیال کر بیٹھے ہیں، یہ کوئی نیا دعوی نہیں جو آج ہی میرے منہ سے سنا گیا ہو، بلکہ یہ وہی پرانا الہام ہے جو میں نے خدا تعالی سے پاکر "براہین احمدیہ" کے کئی مقامات پر بہ تصریح درج کر دیا تھا جس کے شائع کرنے پر سات سال سے بھی زیادہ عرصہ گزر گیا ہوگا، میں نے یہ دعوی ہر گز نہیں کیا کہ میں مسیح ابن مریم ہوں، جو شخص یہ الزام میرے پر لگاوے وہ سراسر مفتری اور کذاب ہے، بلکہ میری طرف سے عرصہ آٹھ سال سے برابر یہی شائع ہورہا ہے کہ میں مثیل مسیح ہوں، یعنی حضرت عیسی علیہ السلام کے بعض روحانی خواص طبع اور عادات اور اخلاق وغیرہ کے خدا تعالی میری فطرت میں بھی رکھے ہیں".

إلى هنا وكان الميرزا ينكر بالشدة "أنه المسيح الموعود"، بل ويصف أتباعه الذين زعمواه ذلك أنهم "قليلوا الفهم"، ثم تدرج، وارتقى إلى ما يناقضه في هذا الباب أيضًا، مثل تدرجه وإرتقائه إلى ما يناقض في باب

النبوة، حتى صرّح أنه هو "المسيح الموعود".

❋ **حيث يقول في "إزالة الأوهام" صـ: ٦٠٣ ما تعريبه:**

"من الممكن أن يفهم كل أحد بأن هذا الوقت زمن ظهور المسيح، ولم يدع أحد بأنني "المسيح الموعود" إلاّ هذا العاجز، بل ولم يصدر هذا الادّعاء على لسان أحد من المسلمين خلال ثلاثة عشر قرنا".

النص الأردي:

"ہر ایک شخص سمجھ سکتا ہے کہ اس وقت جو ظہور مسیح موعود کا وقت ہے کسی نے بجز اس عاجز کے دعوی نہیں کیا کہ میں مسیح موعود ہوں بلکہ اس مدت تیرہ سو برس میں بھی کبھی کسی مسلمان کی طرف سے ایسا دعوی نہیں ہوا کہ میں مسیح موعود ہوں".

❋ **كما يقول الميرزا:**

"تشهد مكاشفات كبار الأولياء بالإجماع على هذا الأمر بأنه يتم ظهور المسيح الموعود قبل القرن الرابع عشر، أو على رأس القرن الرابع عشر، ولا يتجاوزه، فلذا قد قمنا بكتابة القدر المعتد في هذا الكتيب على سبيل النموذج، والظاهر أنه لم يمض إلى هذا الوقت مدعي هذا المنصب إلاّ هذا العاجز".

النص الأردي:

"مکاشفات اکابر اولیاء بالاتفاق اس پر شاہد ہیں کہ مسیح موعود کا ظہور

چودھویں صدی سے پہلے یا چودھویں صدی کے سر پر ہوگا، اور اس سے تجاوز نہیں کرے گا، چنانچہ ہم نمونہ کے طور پر کسی قدر اس رسالہ میں بھی لکھ آئے ہیں، اور ظاہر ہے کہ اس وقت بجز اس عاجز کے اور کوئی شخص دعوے دار اس منصب کا نہیں ہوا".

نقول:

أولاً: إن تصريح الميرزا بأن عيسى ابن مريم عليه السلام في منزلة عليا، وأنّى له ذلك يناقضه تصريحه أنه يُشبه المسيح في كل جانب.

ثانيًا: قوله أنه مثيل المسيح، وليس "المسيح ابن مريم" يناقضه حينما ما قال أنه "المسيح الموعود"، وأنه "المسيح ابن مريم".

ثالثًا: اللمحة الفكرية التي تليق بالتأمل فيها لأبناء القاديانية كيفية استدلال الميرزا في تقلباته المتناقضة، **ونلاحظ ذلك فيما يلي:**

❋ **يقول في "التذكرة" صـ: ١٨٥ المندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ٣/٤٤٢ ما تعريبه:**

"قد أدعيت بـ"مثيل المسيح" بوحي الله جل شأنه وإلهامه، وقد أُظهر علـيَّ هذا الأمر أنه قد أُخبر عني في القران الكريم، وفي الأحاديث النبوية، وقد أُخذ الميعاد بذلك".

النص الأردي:

"اللہ جل شانہ کی وحی اور الہام سے میں نے مثیل مسیح ہونے کا دعوی کیا ہے اور یہ بھی میرے پر ظاہر کیا گیا ہے کہ میرے بارے میں پہلے سے

قرآن شریف اور احادیث نبویہ میں خبر دی گئی ہے اور وعدہ دیا گیا ہے".

موضع التأمل في أسلوب استدلال الميرزا في تقلباته:

أولاً: حينما ادعى الميرزا أنه "مثيل المسيح"، ذكر أن ادّعاءه بوحي من الله وإلهامه، كما في المرجع المذكور.

ثانيًا: حينما ادّعى الميرزا أنه هو "المسيح الموعود"، استشهد على ذلك على خلو العالم من أي مدّعي آخر للمسيحية، كما نقلنا منه كلامه، ولم يستدل الميرزا في أي ادّعائه من القرآن الكريم والسنة.

فليتأمل عقلاء القاديانية في هذا الأمر بأن الله عز وجل حينما أوحى الميرزا (حسب زعمه) أنه "مثيل المسيح"، ألم يكن الله يدري بأن الميرزا هو "المسيح الموعود"؟ ويقول الله عزّ واصفًا نفسه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق: ١٢]، ولا شك في صدق كلام الله وحقانيته، كما لا شك أن المتقلّب في أطوار المتناقضة كان شخصًا كان شخصًا كاذبًا، ولم يكن مثيلاً للمسيح، ولم يكن المسيح الموعود، بل كان الميرزا غلام أحمد القادياني ابن "غلام مرتضى" وابن "جراغ بيبي" من قرية "قاديان"، ولم يكن ابن مريم عليه السلام، وادّعى بذلك كذباً وزوراً، وكان يتقلب في ادّعاءاته المتناقضة، فالتناقضات الموجودة في كلامه لا يوجد في كلام أحد من أهل العقل، فضلاً عن أن يكون في كلام المأمورين والمحدّثين.

ندعو الله عز وجل أن يوفق أبناء الملة القاديانية للتأمل فيما عرضنا عليهم ناصحين لهم، فإن التأمل فيها يكون خير سبيل إلى الرشد والهدى -إن شاء الله-. (آمين).

اللمحة الفكرية السابعة:

التأمل في سعي الميرزا القادياني لإثبات استمرارية النبوة بالحِيل:

المعروف من سير الأنبياء عبر تاريخهم إفصاح ادّعاء النبوة، وإبانته بكل صراحة لكون ادعاء النبوة واجباً شرعياً للنبي الحق، والنبي مأمور من قِبل الشارع الحكيم على إظهار هذا الادّعاء بدون أي تردد، فلا يُخفِي نبي الله ادعاءه خوفا من معارضة الناس، أو هيبة من بطشهم، أو خشية رفض الناس إدعاءه، فإن أولى الواجبات الربانية على نبيه إعلانه نبوته، فإن قَبِله الناس ودعوته، فهم السعداء، وإن رفضوا، فهم الأشقياء، ولا ينقص شأن النبوة بذلك شيئًا، ويتكلم النبي الحق بإسم الله، ولا يخاف في الله لومة لائم، ثم لا يعرض على الناس أي اعتذار في أي وقت لادّعائه، ولا يلجأ إلى أي إحتيال لإثبات نبوته، هذه سيرة النبي الحق المبعوث من عند الله.

بخلاف ما نجد، وكما يجد كل مَن يدرس سيرةَ الميرزا غلام أحمد، فإنه يسعى للوصول إلى منصب النبوة بالتدريج، ولا تدريج في باب النبوة، ثم الميرزا يتعذر أحيانا لادّعائه إذا لم يعجب الناس، كما أنه يحتال لأجل إثبات جواز النبوة بعدا النبي الخاتم ﷺ.

فمن غرائب الحيل قول الميرزا مرة أن شرف خاتم النبيين في عدم وجود نبي بعده، وأن من عظمة الله وشأنه أن لا يرسل أي رسول بعد النبي الخاتم ﷺ، ثم يناقض تمامًا، ويثبت مجيء النبي بعد النبي الخاتم ﷺ بعكسه.

❋ يقول الميرزا الميرزا في "تبليغ الرسالة" ما تعريبه:

"لا ينبغي لجلال الله وعظمته أن يرسل رسولا بعد خاتم النبيين".

االنص الأردي:

"اللہ تعالی کو شایان شان نہیں کہ خاتم النبیین کے بعد نبی بھیجے".

❋ ويقول في "تبليغ الرسالة" صـ: ٢٣/٤ ما تعريبه:

"يُعلم ذلك (ﷺ) خاتم الأنبياء، لأنه قد خُتم عليه جميع النبوات، وجميع الطهارات، وجميع الكمالات"

النص الأردي:

"اس کو خاتم الأنبیاء جانتے ہیں کیوں کہ اس پر تمام نبوتیں اور تمام پاکیزگیاں اور تمام کمالات ختم ہو گئے".

❋ ويقول في "تشحيذ الأذهان" بعنوان "حقيقة ختم النبوة المحمدية" ما تعريبه:

"إن من عظمة النبي ﷺ أنه قد روعيت نبوته، وقدّست، ولم يُشْرَك بعده أحد غيره في هذا الاسم بأي وجه".

النص الأردي:

"آنحضرت صلعم کی ایک عظمت اور آپ کی نبوت کا پاس اور ادب کیا گیا ہے کہ آپ کے بعد کسی دوسرے کو اس نام سے کسی طرح بھی شریک نہ کیا گیا".

إلى هنا ويرى الميرزا أن بعثة نبي بعد النبي الخاتم ﷺ يخالف عظمته، ولا يليق ذلك بذات الباري جلّ وعلا، ثم يحتال الميرزا لتجويز النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ، ويجعل ذلك علامة عظمته مناقضًا لما قاله قبل.

❋ **حيث يقول عند بيان حكمة تعليم "الصلاة الإبراهيمة" ما تعريبه:**

"يكاد أن ينخدع المسلمون، ويحسبوا أن ذرية محمد ﷺ لم يحصل على ما أوتي أمة إبراهيم، فقد قال الله تعالى في حق إبراهيم: نضع في ذرتيك النبوة، لكن المسلمين انخدعوا بأن الأمة المحمدية قد حُرِمت من النبوة، وكان فيه ما يهان به الرسول الكريم ﷺ، فلذا عُلّموا هذا الدعاء، لتنال أمة رسول الله أعظم ما نالته أمة إبراهيم عليه السلام، فجاءت فيه النبوة أيضًا".

النص الأردي:

"مسلمانوں کو یہ دھوکہ لگنے والا تھا کہ حضرت ابراہیم علیہ السلام کی امت کو کچھ ملا وہ محمد صلعم کی ذریت کو نہیں مل سکا، حضرت ابراہیم کے متعلق تو حق تعالی نے فرمایا تھا کہ ہم تمہاری ذریت میں نبوت رکھتے ہیں، مگر مسلمانوں نے یہ دھوکہ کھایا تھا کہ امت محمدیہ نبوت سے محروم کردی گئی ہے، اور اس طرح رسول کریم کی ہتک ہوتی تھی اس لئے یہ دعا سکھائی گئی کہ جو کچھ حضرت ابراہیم کے امت کو ملے اس سے بڑھ کر رسول اللہ کی امت کو ملے اور اس میں نبوت بھی آگئی".

فليتأمل المتأملون من عقلاء القاديانية في تناقض الميرزا في منع النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ بحجة تعظيمه في ذلك، ثم في تجويزه النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ بالاحتيال بالصلاة الإبراهيمي.

نقول: أولاً: إن تناقض الميرزا في تجويز النبوة وعدم تجويزه بعد النبي الخاتم ﷺ واضح مما نقلنا منه كلامه، لأنه جعل عدم وجود النبوة دليل عظمة خاتم النبيين ﷺ أولاً، ثم جعل وجود النبوة في ذريته بعده دليل عظمته ثانياً.

ثانياً: لم يستدل أحد من المسلمين سلفًا وخلفًا من فقهائهم ومجتهديهم ومحدثيهم ومفسريهم من الصلاة الإبراهيمي على تجويز النبوّة بعد النبي الخاتم ﷺ.

ثالثًا: لم يقل أحد منهم بأن وجود النبوة في الذرّية هو سبب الأفضلية.

رابعًا: لم يقل أحد من المسلمين أن عدم استمرار النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ هو سبب حرمانه الأمة من النبوة.

خامسًا: حينما نص القرآن الكريم على أن أمة النبي الخاتم خير أمة، لأنها تقوم بوظيفة الأنبياء إلى يوم القيامة، وأن نبوة النبي الخاتم مستمرة إلى يوم القيامة، لأنه هو المبعوث رحمة للعالمين، وللناس أجمعين إلى يوم الدين، فكيف حُرمت الأمة المسلمة من النبوة؟

فأسلوب الميرزا المذكور لتجويز النبوة بعد قطع سلسلتها من عند الله احتيال قبيح، ودجل صريح.

كما نقول أن استمرارية فترة نبوة خاتم النبيين، ودوام بركات تعاليم النبوة المحمدية، وحفظها من قِبل الله تعالى هي أعظم نعمة الله، وأكبرها على خير أمة، فليس مفهموم ختم النبوة سلب نعمة النبوة، بل المراد به إكمال نعمة الله وإتمامها ودوامها ما دامت السموات والأرض.

سعى ابن الميرزا وخليفته تقوية فكرة أبيه.

❋ حيث يقول الميرزا محمود كما ورد في "جريدة الفضل" بتاريخ ٢٥/أكتوبر ١٩٣١م:

"الذي يتعجب منه أن معارضينا إلى حدّ القول يقولون، "إن رسولنا الكريم ﷺ أفضل الرسل، والأمة المحمدية هي خير الأمم، لكنهم مع ذلك يعتقدون بما لا يبقى به الأمة المحمدية خير الأمم فحسب، بل ما يجرح قدسية رسول الله ﷺ، فإذا أمكن مجيئ أنبياء الله في الأمة الموسوية رغم مفضوليتها، فلماذا لا يمكن مجيء أنبياء في الأمة المحمدية عند الحاجة؟ إنما الحق في هذا فحسب، بأن أفضلية الرسول الكريم ﷺ، وخيرية الأمة المحمدية في هذا بأن يُبعث الأنبياء في الأمة المحمدية عند الحاجة، والذين يكونون من خدام الرسول الكريم، وأن يكونوا أعظم شأنًا من أنبياء بني إسرائيل، ليعلم مَن كان خدامه بهذه المنزلة، فكيف يكون شأن سيدهم؟".

النص الأردي:

"تعجب ہے کہ ہمارے مخالف کہنے کو تو کہتے ہیں کہ رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم افضل الرسل ہیں، اور یہ کہ امت محمدیہ تمام امتوں پر فوقیت رکھتی ہے، مگر وہ عقیدہ رکھتے ہیں جس کے ماتحت نہ صرف امت محمدیہ

خیر الامم نہیں کہلاسکتی، بلکہ رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم کی قوت قدسیہ پر بھی حرف آتاہے،اگرامت موسویہ میں باوجود کمتر درجہ ہونے کے اللہ تعالی کے انبیاء آسکتے ہیں توکیوں امت محمدیہ میں ضرورت کے وقت نبی نہیں آسکتے؟ حق یہی ہے کہ رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم کی شان اورامت محمدیہ کی فوقیت اسی میں ہے کہ ضرورت کے وقت امت محمدیہ میں نبی پیداہوں جو رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم کے خادم ہوکر بنی اسرائیل کے نبیوں سے بڑھ کر ہوں تاکہ معلوم ہو کہ جس کے خادم ایسے ہیں ان کاآقا کس شان کامالک ہے".

أولاً: ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في أسلوب استدلال الخليفة القادياني في تجويز مجيئ النبوة، والذي يُتَلخّص بما يلي:

١- كون محمد رسول الله ﷺ سيد الرسل، وكون الأمة المحمدية خير الأمم، يقتضي وجود الأنبياء في ذريته.

٢- أما عدم مجيئ الأنبياء في ذريته، فيعتبر طعنًا في قدسية خاتم النبيين ﷺ، وفي خيرية الأمة.

٣- إذا تمكن مجيئ الرسل في ذرية موسى عليه السلام، وهو نبي مفضول، فكيف لا يمكن مجيء الأنبياء في أمة محمد ﷺ عند الحاجة وهو أفضل الأنبياء؟

٤- يجب أن يكون الجاؤون بعد النبي الخاتم ﷺ أفضل من أنبياء بني إسرائيل.

ثانيًا: موضع التأمل:

فليتأمل في استدلال الوالد على عدم مجيئ النبي بعد خاتم النبيين ﷺ بحجة أفضلية الرسول وخيرية الأمة، وما قاله الابن يناقض تماماً ما قاله والده في الاستدلال، حيث أنه يستدل على أفضلية الرسول وخيرة الأمة بمجيء الرسول بعده.

ثالثًا: فعلى عقلاء أبناء الملة القاديانية أن يتأملوا في التناقض بين الأب وابنه بعد أن تأملوا في الأقوال المتناقضة للأب.

رابعًا: ما هو الحق الواقع:

والحق الواقع حسب مدلولات النصوص الشرعية هو أن خاتم النبيين محمد رسول الله ﷺ، لما كان هو صاحب الميثاق الذي أخذه الله من النبيين كلهم وهو المصداق لقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ** ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهو الذي أتى بعدهم جميعًا، وله الخاتمية (أي الأفضلية) في باب الرسالة في الرتبة، وله الخاتمية في البعث، وقد اعترف بذلك جميع الرسل، فهذ الميثاق المذكور في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾** ﴾ [آل عمران: ٨١]، يقتضي عدم التفوق عليه مَن قبله من الرسل، كما يقتضي عدم مجيء أي نبي بعده.

ولا يكون أي طعن في قدسيته في عدم مجيء الرسل بعده، فليتأمل المتأملون فيما قلناه، فهو الحق الثابت المؤيد بكتاب الله، وببيان رسول الله ﷺ.

خامسًا: كما ندعو العقلاء من القاديانية في هذا الأمر بأن الوالد والابن كلاهما لم يستدلا بأي آية قرآنية، ولا بأي حديث نبوي مما صرّحاه، وللكتاب والسنة المرجعية في أحكام الشريعة.

سادسًا: كما ندعو أبناء هذه الملة أن يتأملوا فيما قاله ابن الميرزا في شأن كثرة عدد الأنبياء في الذرية، فإذا كان عدد الأنبياء المبعوثين في المفضولين، أي في ذرية موسى وإبراهيم وغيره قد بلغ إلى حدٍّ ما، فلا بد أن يزيد عدد الأنبياء في ذرية الفاضل أي محمد ﷺ إذا كان سبب الأفضلية وجود النبوة في الذرّية.

سابعًا: فليتأمل أبناء الملة القاديانية كم العدد المطلوب في ذرية الأفضل لإثبات أفضليته؟

ثامنًا: متى تحتاج الأمة إلى النبوة عند الحاجة؟

نقول: إن الحق والصواب أن الأمة ليست بحاجة إلى النبوة عند وجود نبوة خاتم النبيين ﷺ إلى يوم القيامة، وعند وجود مرجعية خاتم الشرائع القرآن والسنة، وعند وجود ورثة الأنبياء إلى يوم القيامة.

أما قول القاديانية بوجود النبوة عند الحاجة فهي مفروضة باطلة وفكرة مردودة، فإن البشرية قد أغناه الله من النبوة ببعثة خاتم النبيين ﷺ، كما أغناها عن الشريعة بإكمال الدين.

تاسعًا: وندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في ما قاله أحد أتباع الميرزا غلام أحمد في باب النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ وهو المولوي "محمد علي".

❋ **فإنه يقول في "بيغام الصلح" أي رسالة الصلح المجلد الثاني الرقم ١٩ في شهر إبريل ١٩١٥ م.**

"أرى أن إقرار السيد الميرزا نبياً ليس فيه قضاء على الإسلام فحسب، بل أنها نكبة كبرى في شخصية السيد الميرزا، لو لا تؤمنون بإنسداد باب النبوة بعد النبي ﷺ، ففي رأيي أنه طريق غاية الخطورة، وأنتم ترتكبون خطأً خطيراً".

النص الأردي:

"میں مرزا صاحب کو نبی قرار دینا نہ صرف اسلام کی بیخ کنی سمجھتا ہوں، بلکہ میرے نزدیک خود مرزا صاحب پر بھی اس سے بہت بڑی زد پڑتی ہے، اگر تم آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے بعد نبوت کا دروازہ بند نہیں مانتے، تو میرے نزدیک یہ بڑی خطرناک راہ ہے، اور تم خطرناک غلطی کے مرتکب ہوتے ہو".

فليتأمل العقلاء فيما قاله هذا المتبع للميرزا غلام أحمد، وهو المولوي "محمد علي" (مؤسس الفرقة اللاهورية)، حينما جعل إقرار نبوة الميرزا:

أولاً: القضاء على الإسلام.

ثانياً: النكبة الكبرى في شخصية الميرزا

ثالثاً: أخطر السبل.

رابعاً: الخطأ الفادح.

ومن المعلوم لدى المسلمين أن ثبوت الأحكام الشرعية إنما يكون من المراجع الشرعية أي من الكتاب والسنة، ومن الغريب أن الميرزا غلام أحمد أثبت عقيدة تجويز النبوة بعد خاتم النبيين ﷺ بأدلة فرضية من عنده، بعيداً عن نصوص الكتاب والسنة، رغم ادعاءه بأنه هو الخادم والمطيع الكامل لصاحب الكتاب وناطق السنة.

❋ يقول الميرزا كما ورد في "جريدة الفضل" المجلد ٢١ برقم ١٣٣:

"فلما كانت النبوة رحمة إلهية، وقد ثبت هذا أيضًا أن الله لا يغير سنته، فلا يجوز لأحد عقلاً ونقلاً أن يقول لا يمكن أن يأتي نبي عند الحاجة بعد رسول الله ﷺ ".

النص الأردي:

"پس نبوت جب کہ رحمت الٰہی ہے، اور یہ بھی ثابت ہو گیا کہ اللہ تعالی اپنی سنت میں تبدیلی نہیں کیا کرتا تو عقلا اور نقلا کسی شخص کے لئے یہ کہنا جائز نہیں کہ ضرورت کے وقت رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم کے بعد کوئی نبی نہیں آسکتا".

فليتأمل أهل العقل ومتبعوا النقل، ما قيمة استدلال الميرزا، والذي يعارضه النقل والعقل تمامًا؟ فإن النصوص الشرعية الثابتة بالنقل المتواتر لا تجوّز النبوة بعد النبي الخاتم ﷺ، بل إن من المعقول عدم إمكان مجيء نبي، والقرآن موجود بكمال حفظه ومدلولاته، وأحاديث خاتم النبيين موجودة

مفاهيمها، وورثة الأنبياء موجودون في الأمة، بل إن مجيء نبي في فترة صاحب القرآن وناطق السنة، وحامل شرع الله، والذين يحمونه من تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، فالقول بمجيء النبي عند الحاجة يخالف العقل مع أنها جرأة على الله، وعلى خاتم الشرائع، فلا نقل يؤيد الميرزا، ولا عقل يؤيده في ما يراه.

كما ندعو عقلاء القاديانية إلى التأمل في أسلوب الميرزا في مخاطبته خير أمة بألقاب كريهة، حينما لم تجوز مجيء النبي بعد خاتم النبيين ﷺ.

❋ **حيث يقول في "ضميمة البراهين الأحمدية" ٥/١٨٣:**

"وما أطلق على النبي ﷺ "خاتم النبيين" لا يعني أنه قد انسدّ باب المخاطبات والمكالمات الالهية بعد النبي ﷺ، فإن كان هذا مدلوله لكانت هذه الأمة ملعونةً، بعيدةً من الله مهجورة للأبد مثل الشيطان، بل إن مدلوله انسداد اكتساب فيض الوحي من الله مباشرةً، فما أفسد، وما أبطل هذه العقيدة بأن يخيّل أن باب الوحي الإلهي مسدود بعد النبي ﷺ على وجه الدوام"

النص الأردي:

"اور آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کو جو خاتم الأنبیاء فرمایا گیا ہے اس کے یہ معنی نہیں ہیں کہ آپ کے بعد دروازہ مکالمات و مخاطبات الہیہ کا بند ہے، اگر یہ معنی ہوتے تو یہ امت ایک لعنتی امت ہوتی جو شیطان کی طرح ہمیشہ سے خدا سے دور مہجور ہوتی، بلکہ یہ معنی ہیں کہ براہِ راست خدا تعالی

سے فیض وحی پانا بند ہے، یہ کس قدر لغو اور باطل عقیدہ ہے کہ ایسا خیال کیا جائے کہ آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے بعد وحی الٰہی کا دروازہ ہمیشہ کیلئے بند ہو گیا".

فليتأمل العقلاء من أبناء القاديانية أن إطلاق هذه الألقاب السيئة على خير الأمم، وتشبيهها بالشيطان المطرود من رحمة الله، والمهجور للأبد، والحكم على عقيدتها أنها لغو وباطل، وكل ذلك بسبب أن الأمة المسلمة تعتقد أن رسولها ﷺ خاتم النبيين بمعنى آخرهم، وأنه "لا نبي بعده" كما فسّره نبيهم.

فليتأمل العقلاء من القاديانية، هل المطرود من رحمة الله، والمهجور للأبد مثل الشيطان هم المؤمنون بعقيدة ختم النبوة أو منكروها؟

الإرهاب والتخفيف من أسلوب الميرزا:

لقد اختار الميرزا أسلوب الترهيب والتخويف والإرهاب لخير أمة إن لم تترك عقيدتها الثابتة من الأدلة الشرعية بدون أي مرجع شرعي، فالحق أن أسلوب الميرزا المذكور ليس أسلوب أهل العلم، وليس سبيل الدعاة، وليس طريق أولياء الله، وليس منهج المجددين، وليس شأن المؤمنين.

اللمحة الفكرية الثامنة:

عظمة الزعماء ومكانة السلف عند الخلف والأتباع:

من المعروف لدى أصحاب الديانات السماوية أجمعها، ولدى المجتمعات البشرية كلها اعتراف بعظمة الزعماء ومكانة السلف، فإن خلف كل أمة هم يدعون الناس إلى إتباعهم، ويفتخرون بنسبتهم إليهم، يعتقدون أنهم أفاضل الأمة، وإن الخلف لن يصلوا إلى مكانتهم، فضلاً عن يتفوقوا عليهم، ولا يتصور من الخلف إهانتهم، أو المساس بكرامة سلفهم.

هذا هو ما اجتمع عليه المجتمعات البشرية كلها، أما الأمة المسلمة فالاعتراف بعظمة سلفهم بدءاً من خاتم النبين ﷺ وأصحابه الكرام وأتباعهم، والأئمة المجتهدين، والسادة المحدثين والمفسرين وعلماء الدين، يُعتبر هذا الأمر أهم موضوعات كتب التوحيد لديهم، بل إنه ميزة خلف الأمة المسلمة، والمدوَّن في كتب عقيدتها أن سلفها خير وأفضل في المنزلة، وأنهم أعلم بالشرع من الخلف، ولديهم مكانة المرجعية للسلف في أمور الدين.

وإن من المسلمات الإيمانية لدى المسلمين أن الأنبياء أفضل من غير الأنبياء وخاتم النبيين ﷺ هو أفضل الرسل، وأصحاب رسول الله ﷺ خيار الأمة، وتعظيمهم ومحبتهم من الايمان، كما صرّح بذلك في كتب العقائد عند المسلمين، فلن يبلغ أبدًا غير النبي مرتبة النبوة، ولا غير الصحابي منزلة الصحابة، هذه مسلمات الأمة المسلمة.

وبعكس ذلك تمامًا نجد ظواهر غريبة متعارضة من الأمة المسلمة، ومن الأمم البشرية الأخرى عمومًا لدى القاديانية.

فلذا نحن في هذا المقام ندعو عقلاء أبناء الملة القاديانية فيما جمعنا في مقالاتنا الآتية من أقوال الميرزا في سلف الأمة المسلمة:

١- تجديدات الميرزا في حضرات السادة الأنبياء عليهم السلام.

٢- تجديدات الميرزا في باب سيدنا المسيح ابن مري.

٣- تجديدات الميرزا في باب خاتم النبيين.

٤- تجديدات الميرزا في باب عظماء هذه الأمة المسلمة.

يجد القاري ما يلي:

يصرّح الميرزا في البداية أنه على عقيدة أهل السنة، وأن تعظيم جميع الأنبياء واجب، ثم يدعي أنه هو مجموع بعض الأنبياء، ثم يتفوق عليهم على وجه يستلزم إهانتهم.

يصرّح أنه مكتسب فيض رسول الله ﷺ، ثم يشبّه سيد الرسل بالهلال، ونفسه بالبدر التام، كما يدعي لنفسه أنه أشد وأكمل وأقوى روحانية منه.

موضع التأمل:

يجد القاري بكل وضوح أن أسلوب الميرزا نادر الوجود بين البشرية في خلف أي قوم، أو في خلف المنتسب إلى أي ديانة سماوية، لأن عظماء الأمة أو زعماء القوم أو قادة الشعوب لهم حصانة شرعية إن كانوا أصحاب شرع، أو مكانة شعبية إن كانوا زعماء الشعوب، لأن علاقة الخلف بالسلف متأسسة على أصول المحبة والتعظيم والتوقير، حيث لا

يتصور من خلف أي قوم، أو من أتباع أي زعيم أو بين المطيعين أن يدعي أحد منهم أنه يساوي سلفه في المنزلة، أو يدعي بالتفوق عليهم، أو يدعي بالأفضلية عليهم، فضلاً عن أن يخيّل، أو يتصور منهم إهانة السلف المتبوعين والمطاعين، وخصوصاً إذا كانوا أنبياء معصومين بعصمة الله، ومطاعين بأمر الله، يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ** ﴾ [النساء: ٦٤].

ونحن نذكر بعض نماذج تعامل الميرزا في هذا الباب ليعرف القاري كيف يبدأ الميرزا بإظهار تعظيمهم؟ ثم يدعي بمثليتهم؟ ثم يتفوق عليهم؟ ثم ينتهي بإهانتهم؟

❋ **يقول أيضاً بالنص العربي:**

"وأنزل الله عليَّ فيض هذا الرسول، فأتمه وأكمله".

❋ **ويقول في عيسى ابن مريم عليها السلام في "الإعجاز الأحمدي" صـ: ٢٥ المدرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١٩/١٣٤:**

"كان من المقبولين والمحبوبين عند الله، والذين يتهمونه هم الخبثاء".

النص الأردي:

"آپ خدا کے مقبول اور پیارے تھے، خبیث ہیں وہ لوگ جو ان پر یہ تہمتیں لگاتے ہیں".

❋ **ويقول أيضاً:**

"لأ أدعي بأني المسيح الموعود، ولكني أدعي بأنني مثيل المسيح".

❋ يقول الميرزا غلام أحمد في "تتمة الوحي" صـ: ٥٢١ المدرج في "الخزائن الروحانية" ٥٢١/ ٢٢:

" أنا آدم، أنا نوح، أنا داؤد، أنا عيسى بن مريم، أنا محمد ﷺ".

النص الأردي:

"میں آدم ہوں، میں نوح ہوں، میں داؤد ہوں، میں عیسی ابن مریم ہوں، میں محمد صلعم ہوں".

❋ ويقول أيضا:

"جعلني الله مظهراً لجميع الأنبياء".

❋ ثم ذكر أسماء الأنبياء، ويصرح في "تتمة حقيقة الوحي":

"يُظهر الله عز وجل على وجه الكثرة من العلامات لو ظهرت في زمن نوح لما غرق أولئك الناس".

النص الأردي:

"خداتعالی میرے لئے اس کثرت سے نشان دکھلا رہا ہے کہ اگر نوح کے زمانہ میں وہ نشان دکھلائے جاتے تو وہ لوگ غرق نہ ہوتے".

❋ ويقول أيضاً في "البراهين الأحمدية" ٥/٩٩:

"فيوسف هذه الأمة أي هذ العاجز أفضل من يوسف إسرائيلي، لأن هذا العاجز قد وقي من السجن رغم دعائه لذلك، أما يوسف ابن يعقوب فقد أُدخل في السجن".

النص الأردي

"پس اس امت کا یوسف یعنی یہ عاجز اسرائیلی یوسف سے بڑھ کر ہے کیونکہ یہ عاجز قید کی دعا کر کے بھی قید سے بچایا گیا، مگر یوسف بن یعقوب قید میں ڈالا گیا".

❋ ويقول ابنه الخليفة القادياني الميرزا محمود في "جريدة الفضل" ٢٩ "إبريل" ١٩٢٧ م:

"حضرة المسيح الموعود أفضل من أنبياء كثيرين من حيث المدارج، وارتقى بسبب كونه فقط نائب محمد ﷺ فحسب إلى منزله يُحسد لها الأنبياء، ومن الممكن أن يكون أفضلهم جميعاً".

النص الأردي:

"مسیح موعود (مرزا صاحب) کو بلحاظ مدارج کئی نبیوں سے بھی افضل ہیں اور صرف اور صرف محمد صلی اللہ علیہ وسلم کے نائب ہو کر ایسے مقام پر پہنچے کہ نبیوں کو اس مقام پر رشک رہے".

❋ وفي "الملفوظات الأحمدية" صـ: ٤/١٤٢:

"الكمالات المتفرقة والتي كانت توجد في جميع الأنبياء الآخرين كانت موجودة في رسولنا الكريم بأفضل الوجوه منهم، والآن تلك الكمالات كلها قد أوتيناها على وجه الظل".

النص الأردي:

"کمالات متفرقہ جو تمام دیگر انبیاء میں پائے جاتے تھے وہ سب کے سب

حضرت رسول کریم میں ان سے بڑھ کر موجود تھے اور اب وہ سارے کمالات حضرت رسول کریم سے ظلی طور پر ہم کو عطاء کئے گئے".

❋ ويقول الميرزا محمود الخليفة الثاني لوالده:

"هذا صحيح على وجه التمام من الممكن أن يرتقي كل شخص، ويحصل على أعلى الدرجات، ومن الممكن أن يتفوق على محمد رسول الله ﷺ".

النص الأردي:

"یہ بالکل صحیح بات ہے کہ ہر شخص ترقی کر سکتا ہے اور بڑے سے بڑا درجہ پاسکتا ہے کہ محمد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم سے بھی بڑھ سکتا ہے".

❋ يقول الميرزا حول تبليغ رسالة الله لسيد السادات خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم:

"أنه لم يكتمل وظيفته في نشر الهداية".

❋ ويدّعي الميرزا في "التحفة الجولروية" صـ: ١٧٧ و"الخزائن الروحانية" صـ: ١٧/٢٦٠:

"أنه بروزه وأنزل الله عليه فيضه".

❋ ثم يقول حول شخصيته الكريمة:

"كان الإسلام بدأ كالهلال وكان قُدر أن سيكون بدراً في آخر الزمان".

❋ كما يصرّح بما يلي:

"مضى وقت فتح مبين في زمن نبينا المصطفى، وبقي فتح آخر وهو أعظم وأكبر وأظهر وأكمل من غلبته أولى، وقدر أن وقته وقت المسيح الموعود".

❋ ويقول عن المسيح عليه السلام، كما هو وارد في "عين المسيح" صـ: ٢٠ المدرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ١١/٥٦:

"لم يلتزم عيسى في حد ذاته بالأخلاق الفاضلة".

النص الأردي:

"حضرت عیسی علیہ السلام نے خود اخلاقی تعلیم پر عمل نہیں کیا".

❋ وقال أيضًا في "نصرة الحق" المدرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ٢١/٥٦:

"ما يصيب أحدًا من الفشل والخيبة في نشر الدين كان (المسيح) على الرتبة الأولى في ذلك".

النص الأردي

"وہ ناکامیابی نامرادی جو مذہب کے پھیلانے میں کسی کی ہوسکتی ہے وہ سب سے اول نمبر پر ہیں".

تأملوا أبناء الملة القاديانية هذا قول الميرزا في المسيح عليه السلام، وهو من أولى العزم من الرسل، ثم تأملوا في تصريحاته حول النبي الخاتم ﷺ، وهو سيد الرسل.

❋ كما صرح في "الخطبة الإلهية" صـ: ١٨٧ و"الخزائن الروحانية" صـ: ١٦/١٥٨ بأنه هي اللبنة الأخيرة لبناء النبوة

بالنص العربي:

"فأراد الله أن يتم البناء، ويكمل البناء باللبنة الأخيرة، فأنا تلك اللبنة، أيها الناظرون وكان عيسى علما لبني إسرائيل، وأنا علم لكم أيها المفرطون، كما قال: واني جُعلت فرداً أكمل من الذين انعم الزمان، ولا فخر، ولا رياء".

وأدعى بأنه هو المهدي بأفضل من أبي بكر الصديق فحسب بل هو أفضل من الأنبياء.

❋ وقال ابنه ما ورد في "مجلة المهدي" صـ: ٥٧ شهر يناير/ ١٩١٥م:

"ما هي منزلة أبي بكر وعمر؟ فكانا لا يلقيان حتى لفك رباط نعليه"

❋ كما قال ابن الميرزا عن مكة المكرمة والمدينة المنورة:

"بأنه قد نُشف لبن ثدييهما".

هذا هو الأقل القليل من الكثير الذي ورد في الأدب القادياني في باب سوء التأدب للسلف، وهي ظاهرة نادرة في تاريخ الشعوب والأمم.

دعوتنا لأبناء الملة القاديانية للتأمل:

نقلنا بعض التصريحات الميرزا القادياني الذي يدّعي الميرزا أنه مطيع خالص، ومتبع كامل، وخادم خاص للنبي الخاتم ﷺ، فليتأمل أنباء الملة القاديانية في أسلوب تعامل الميرزا مع أنبياء الله ورسله، ومع السلف الصالح للأمة المسلمة، فإن التأمل بدون نظر التعصب يوصلهم إلى معرفة حقيقة الميرزا غلام أحمد القادياني، ثم يهديهم إلى سبيل الهدى -إن شاء الله-.

اللمحة الفكرية التاسعة:

إحلال المقدسات القاديانية محل المقدسات الإسلامية:

على أبناء الملة القاديانية أن يتأملوا في أسلوب الميرزا القادياني تجاه الشخصيات المعظمة والأماكن المقدسة، فإنه يناقض تمامًا سلوك الصالحين، فضلاً عن أن يكون أسلوب الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله عزّ وجلّ معظمين ومصدقين لمن قبلهم من الرسل، فإن سيد الرسل وخاتمهم كان مصدقاً للجميع، ومعظمًا لهم، رغم كونه أفضل الأنبياء على الإطلاق، وقد نهى أمته صلى الله عليه وسلم بذكر أي نبي على وجه ما يستلزم إهانته.

ونحن نجد الميرزا في هذه السمة يناقض تمامًا أنبياء الله ورسله، حيث إنه لم يترك شخصًا معظمًا، أو مكانًا مقدسًا إلاّ وقد تعرّض لمنزله، وأنتهك حرمته، فطعن في أنبياء الله ورسله، كما جرح صالحي هذه الأمة، ولم يراعي قدسية الأماكن المطهّرة، لا شك إن هذا الأسلوب في حدّ ذاته منافٍ للإيمان، وموجبٌ للخروج عن دائرة الملة وإجماع الأمة، ولقد قص الله علينا قصص رسله وأنبيائه لتثبيت عظمتهم، وترسيخ مكانتهم في قلوب المؤمنين، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

كما ذكر القرآن الكريم "الرسل" قائلاً:

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وصرّح القرآن الكريم بمكانتهم بعد ذكرهم قائلاً:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ذكر الله عزّ وجلّ هذه الشخصيات المقدسة بكل عظمة ومكانة ومنزلة، وعلّم عباده بأن ذكرهم بالتعظيم والتوقير إيمانٌ، والعدول عنه كفرٌ وخروج عن دائرة الإيمان. ومثل هذا الإقرار موجود في الأدب القادياني في هذا الباب، كالاعتراف من مؤسس القاديانية بعظمة العظماء لجلبِ العوام إليه في بداية الأمر.

❋ فقد ورد في "مجموع الاشتهارات" صـ: ٢٣٠ –١/٢٣١:

"أنا لا أدعي بالنبوة، ولا أُنكر المعجزات ولا الملائكة، وليلة القدر وغيرها، بل إنني مقرٌ بجميع الأمور التي تداخل في العقائد الإسلامية، وكما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأؤمن بجميع الأمور التي هي من الأمور المسلمة الثابتة في ضوء القرآن والحديث، وأعتقد أن كل من يدعي النبوة والرسالة بعد سيدنا ومولانا محمد ﷺ أنه كاذب وكافر، وإيمانِيْ أن وحي الرسالة بدأ من آدم صفي الله وانتهى بمحمد المصطفى".

النص الأردي:

"میں نہ نبوت کا مدعی اور نہ معجزات اور ملائکہ اور لیلۃ القدر وغیرہ سے منکر، بلکہ میں ان تمام امور کا قائل ہوں جو اسلامی عقائد میں داخل ہیں اور جیسا کہ اہل سنت والجماعت کا عقیدہ ہے -ان سب باتوں کو مانتا ہوں جو قرآن اور حدیث کی رو سے مسلم الثبوت ہیں اور سیدنا و مولانا حضرت

محمد مصطفی صلی اللہ علیہ وسلم خاتم المرسلین کے بعد کسی دوسرے مدعی نبوت اور رسالت کو کاذب اور کافر جانتاہوں، میرا یقین ہے کہ وحی رسالت حضرت آدم صفی اللہ سے شروع ہوئی اور جناب رسول اللہ محمد مصطفی صلی اللہ علیہ وسلم پر ختم ہوگئی".

فالحاصل: أن الإيمان بالرسل وتعظيمهم من واجبات المؤمنين، أما التدريج القادياني في هذا الباب، فكما أشرنا قبل، **كما يلي**:

الاعتراف بمكانتهم، ثم التسوية بينهم وبين شخصية الميرزا، ثم إهانة الأنبياء لإثبات عظمة الميرزا عليهم، هذا هو الغالب في الأدب القادياني.

وها نحن ندعو إلى التأمل في ما ورد في الأدب القادياني حتى يظهر على المتأمل هذا النوع من التناقض.

❋ **يدعي الميرزا في "حقيقة الوحي" صـ: ٥٧، وهو يفتخر بنسبته إلى الأنبياء حيث يقول:**

"لستُ في سجل الرب عيسى بن مريم فقط، بل لِـيْ أسماء أخرى أيضًا أملانيها الرب بيدي قبل ستة وعشرين عامًا في "البراهين الأحمدية"، ولم يمض نبيّ في الدنيا إلاّ وسميتُ باسمه، فكما قد قال الله تعالى في "البراهين الأحمدية" أنا آدم، أنا نوح، أنا إبراهيم، أنا إسحاق، أنا يعقوب، أنا إسماعيل، أنا موسى، أنا داؤد، أنا عيسى ابن مريم، أنا محمد ﷺ، أي: على وجه البروز، فكما وهبني الله في ذلك الكتاب هذه الأسماء كلها، وقال عني "جرى الله في حلل الأنبياء".

النص الأردي

"میں خدا کے دفتر میں صرف عیسی بن مریم نہیں بلکہ اور بھی میرے نام ہیں جو آجسے ۲۶/ برس پہلے خدا تعالی نے "براہین احمدیہ" میں میرے ہاتھ سے لکھادئے اور دنیا میں کوئی نبی نہیں گذرا جس کا نام مجھے نہیں دیا گیا، سو جیسا کہ "براہین احمدیہ" میں خدا نے فرمایا ہے میں آدم ہوں، میں نوح ہوں، میں ابراہیم ہوں، میں اسحاق ہوں، میں یعقوب ہوں، میں اسماعیل ہوں، میں موسی ہوں، میں داؤد ہوں، میں عیسی بن مریم ہوں، میں محمد صلی اللہ علیہ وسلم ہوں، یعنی بروزی طور پر—جیسا کہ خدا نے اسی کتاب میں یہ سب نام مجھے دئے اور میری نسبت "جری الله فی حلل الأنبیاء" فرمایا".

❋ ثم يفضل الميرزا على نوح عليه السلام حيث يقول في "تتمة حقيقة الوحي" صـ: ١٢:

"يُري الله تعالى لأجلي من المعجزات بكثرة، لو ظهرت تلك العلامات في زمن نوح، لما غرق الناس".

النص الأردي:

"خدا تعالی میرے لئے اس کثرت سے نشان دکھلا رہا ہے کہ اگر نوح کے زمانہ میں وہ نشان دکھلائے جاتے تو وہ لوگ غرق نہ ہوتے".

❋ كما يدعي الميرزا بسبقه على إبراهيم عليه السلام، ويدعي في "الأربعين" صـ: ٣٨ رقم ٣ حيث يقول:

"وماذا ورد في آية القرآن الكريم: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]، يراد به في هذا المقام ابراهيم هذا الذي بُعث، فعليكم أن تقيموا عباداتكم وعقائدكم على سنتهن، وأصلحوا أنفسكم في كل أمر على أسوته".

النص الأردي:

اور یہ جو فرمایا کہ ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ یہ قرآن شریف کی آیت ہے، اور اس مقام میں اس کے یہ معنی ہیں کہ یہ ابراہیم جو بھیجا گیا تم اپنی عبادتوں اور عقیدوں کو اس کی طرز پر بجالاؤ اور ہر ایک امر میں اس کے نمونے پر اپنے تئیں بناؤ".

❋ ويقول الميرزا بشير أحمد في "كلمة الفصل" المدرج في مجلة "ريويو آف ريليجنز" صـ: ٣/١١٧ مستدلاً على تفوق والده على جميع الأنبياء السابقين:

"لا ريب إن نساء بني إسرائيل ولدْن أبناء كثيرين سموا بأنبياء، لكن والله الذّي وُلد من بطن آمنة (أي والدة النبي الكريم ﷺ)، فإن منزلته لو وُضع جميع أبناء الأسرة الاسرائيلية في كفة، لرجحت الكفة الإسماعيلية ومثل ذلك، وعلى الوجه الصحيح، ومثل ذلك لقد وُجد الكثيرون لخدمة التوراة لكن النبي الذي خُلق في الأمة المحمدية لخدمة القرآن الكريم (أي الميرزا غلام أحمد القادياني)، فله صبغة خاصة في شأنه".

النص الأردي:

"لاریب اسرائیلی عورتوں نے کئی ایسے بیٹے جنے جو نبی کہلائے مگر خدا کی قسم آمنہ کے بطن سے جو بیٹا پیدا ہوا اس کے مقابل اگر اسرائیلی خاندان کے سارے بیٹے بھی ترازو میں رکھے جائیں تو تب بھی اسماعیلی پلڑا ضرور جھکے گا—اس طرح اور ٹھیک اس طرح بے شک تورات کو بہت سے خدمت کیلئے عطا ہوئے لیکن قرآن کی خدمت کیلئے جو نبی امت محمدیہ میں پیدا کیا گیا (یعنی مرزا غلام احمد قادیانی) وہ اپنی شان میں کچھ اور ہی رنگ رکھتا ہے".

❋ **ويكتب خليفة القاديان الميرزا محمود في جواب سائل ما ورد في جريدة "الفضل" بتاريخ ٢٩ ابريل/ ١٩٢٧ م :**

"سؤالك الثاني هو هذا هل كان حضرة الميرزا نبياً؟ وهل درجته تساوي النبي ﷺ والأنبياء الآخرين؟ وهل لبيان نبوة الميرزا أي ذكر في القرآن الكريم؟

جواب هذا السؤال في الواقع مشتمل على ثلاثة أسئلة - كما يلي:

أ: كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام نبياً.

ب: وكان درجته باعتبار المقام كتلميذ الرسول الكريم وظلّه، وكان أفضل من كثير من الأنبياء الآخرين.

ج: قد ورد ذكر نبوته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم كما كان ذكر الأنبياء السابقين في الكتب السابقة".

النص الأردي:

"آپ کا دوسرا سوال یہ ہے کہ کیا حضرت مرزا صاحب نبی تھے اور ان کا درجہ بھی رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم یا دیگر انبیاء علیہم السلام کے برابر ہے، حضرت مرزا صاحب کی نبوت کیلئے قرآن شریف میں بھی کہیں ذکر ہے؟".

اس سوال کا جواب در حقیقت تین سوالوں پر مشتمل ہے، یہ جواب ہے:

(ا) حضرت مسیح موعود علیہ السلام نبی تھے

(ب) آپ کا درجہ مقام کے لحاظ سے رسول کریم کے شاگرد آپ کے ظل ہونے کا تھا، دیگر انبیاء علیہم السلام میں سے بہتوں سے آپ بڑے تھے، ممکن ہے سب سے بڑے ہوں.

(ج) آپ کی نبوت کا ذکر قرآن میں متعدد جگہ پر آیا ہے لیکن اسی صورت جس طرح کہ پہلے انبیاء کا ذکر پہلی کتب میں ہوا کرتا تھا".

فليتأمل أهل الفهم والعقل من أبناء الملة القاديانية فيما ورد على لسان الميرزا غلام أحمد، وعلى خليفته وابنه من تفضيل ((النبي الأمتي المزعوم)) على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين هم أصحاب شرائع، ولهم أمم، وكان الميرزا يعترف بفضلهم ويفتخر بنسبته إليهم، وبأي حجة يدعي لنفسه التفوق عليهم ويروج هذه الأفكار ابناءه وخلفاءه، فلعل معظم أبناء الملة القاديانية لا تظهر عليهم هذه الإحالات، ومن المراجع الأصلية.

❋ يصرّح الميرزا بنفسه بالتفوق على الأنبياء في الكمالات المتفرقة، حيث يقول ما ورد في "الملفوظات الأحمدية" صـ: ٤/١٤٢:

"الكمالات المتفرقة الموجودة في الأنبياء السالفين، كانت موجودة على وجه أكمل في الرسول الكريم، والآن وتلك الكمالات كلها أوتيناها مِنْ رسول الله على وجه "الظل"؛ فلذا سُمِّينا بآدم، وإبراهيم، وموسى، ونوح، وداود، ويوسف، وسليمان، ويحيى، وعيسى، وغيرهم.

النص الأردي:

"کمالات متفرقہ جو تمام دیگر انبیاء میں پائے جاتے تھے وہ سب حضرت رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم میں ان سے بڑھ کر موجود تھے، اور اب وہ سارے کمالات حضرت رسول کریم صلی اللہ علیہ وسلم سے ظلی طور پر ہم کو عطا کئے گئے، اور اسی لئے ہمارا نام آدم، ابراہیم، موسی، نوح، داؤد، یوسف، سلیمان، یحی، عیسی وغیرہ ہے".

❋ ويكتب خليفة القادياني الميرزا محمود عن عظمة والده في "حقيقة النبوة" صـ: ٢٥٧:

"وقد نال أحد من تلاميذه (أي النبي الكريم ﷺ) من بين المحدثين الكثيرين درجة النبوة أيضًا، ولم يصر نبيا فحسب بل بسبب حصوله على جميع كمالات مطاعه على وجه الظل قد سبق بعض أولى العزم من الأنبياء".

النص الأردي:

"اس کے یعنی آنحضرت کے شاگردوں میں علاوہ بہت سے محدثوں کے ایک نے نبوت کا بھی درجہ پایا اور نہ صرف یہ کہ نبی بنا بلکہ اپنے مطاع کے کمالات کو ظلی طور پر حاصل کر کے بعض اولی العزم نبیوں سے بھی آگے نکل گیا".

تعتقد الأمة المسلمة على وجه الاجماع بأن الأمتي (أي فرد من الأمة) لا ينال منزلة نبي ويدعي خليفة القاديان الميرزا محمود بأن الأنبياء كانوا يغبطون على مقام الميرزا العالي.

❋ **حيث يقول في "خطبة العيد":**

"إن المسيح الموعود أفضل بكثير من الأنبياء في المدارج وقد وصل بسبب كونه نائب محمد ﷺ إلى مكانة كان موضع غبطة للأنبياء".

النص الأردي:

"مسیح موعود (مرزا صاحب) بلحاظ مدارج کئی نبیوں سے بھی افضل ہیں اور صرف اور صرف محمد صلعم کے نائب ہو کر ایسے مقام پر پہنچے کہ نبیوں کو اس مقام پر رشک رہے".

ندعو أبناء الملة القاديانية للتأمل فيما ذكرنا ثم للتدبر في ما تعود عليه الميرزا غلام أحمد في التدريج في باب الرسل بدأ من الاعتراف بالتعظيم، ثم تفضيل نفسه عليهم، ثم التدرج إلى إهاناتهم، ثم إلى عظماء الأمة المسلمة

والمقدسات الإسلامية.

❋ **وقبل التأمل على وجه التفضيل في ما ذكرناه، عليكم النظر في هذا النص الوارد في "عين المعرفة" صـ: ٣٩٠ في الموضوع المذكور، حيث يصرح الميرزا بنفسه رأي الاسلام فيمن يُهين الأنبياء:**

"إهانة أي نبي كفر في الإسلام، والإيمان بجميعهم فرض، وإهانة أي نبي حتى بالإشارة معصية شديدة، وموجب لنزول الغضب الإلهي".

النص الأردي:

"اسلام میں کسی نبی کی تحقیر کفر ہے اور سب پر ایمان لانا فرض ہے، کسی نبی کی اشارہ سے بھی تحقیر سخت معصیت ہے اور موجب نزول غضب الہی".

ويقول من صرّح بأن إهانة النبي كفر في الاسلام أن الأنبياء كلهم كانوا مخطئين في اجتهاداتهم.

❋ **حيث ورد في "تتمة حقيقة الوحي":**

"أنا بنفسي قائل بأنه لم يأت في هذا العالم نبي الذي لم يُخطئ في اجتهاده قط".

النص الأردي:

"میں اس بات کا خود قائل ہوں کہ دنیا میں کوئی ایسا نبی نہیں آیا جس نے

کبھی اجتہاد میں غلطی نہیں کی".

وقد جمعنا بعض نماذج إهانات الميرزا في مقالنا بعنوان "**تجديدات الميرزا في حضرات السادة الأنبياء**"، كما خصصنا مقالاً آخر في "**إهانات الميرزا لحضرة المسيح ابن مريم وأمه الصديقة عليها السلام**".

فليتأمل أيضًا أهل العقل من أبناء الملة القاديانية إلى تبريره في "**إهانات عيسى عليه السلام**"،

❋ **حيث يقول الميرزا في حاشية "العين المسيحي" المدرج في "الخزائن الروحانية": ص: ٣٣٦/٢٠:**

"ماذا خرج من قلمنا في شأن حضرة عيسى عليه السلام خلاف منزلته هو في صبغة الجواب الإلزامي، وفي الحقيقة قد نقلنا ألفاظ اليهود".

النص الأردي:

"ہمارے قلم سے حضرت عیسی علیہ السلام کی نسبت جو کچھ خلاف شان ان کے نکلا ہے وہ الزامی جواب کے رنگ میں ہے، اور دراصل یہودیوں کے الفاظ ہم نے نقل کئے ہیں".

موقف التأمل:

١- تبرير الميرزا.

٢- تبرير ابنه.

❋ وينقل ابن الميرزا كلام والده في تبريره إهانات الأنبياء، حيث يقول في جريدة "الفضل" مايو ١٩٣٢ م:

"تقولون أهنت موسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام تذكروا! أن غرضي إقامة شرف المصطفى ﷺ".

❋ ويقول أيضاً:

"لو استلزم من قولنا إهانة أحد، فلا أبالي به لأن ما قلناه ليس لإظهار عظمتنا وشأننا، بل لإظهار رفعة مكانة النبي الكريم ﷺ لأنه هو المحبوب عندي بعد الله، فلو قلتم أنه كفر، فلن تجدوا كافراً في الدنيا مثلي".

ندعو العقلاء من أبناء الملة القاديانية هذا التبرير ليس بمقبول شرعاً لأن نبينا ﷺ قد نهى بذكره ما يوجب إهانة أحد من اخوانه الأنبياء، هذا هو الموقف في باب رسل الله وأنبيائه.

موقف التأمل في باب الصحابة:

ومن المعلوم لدى الجميع أن أصحاب رسول الله ﷺ هم أفضل البشر بعد الأنبياء، وقد أثنى الله عز وجل في كتابه المجيد عليهم، وجعل لهم مكانة خاصة في التشريع، فهم معيار في الإيمان، والاقتداء بنبيهم الكريم، وهم الذين جعل النبي ﷺ سنتهم سنته، فإن المساس بكرامتهم يعتبر تكذيباً لله ورسوله، لأن الله عز وجل قد اعطاهم شهادة "**رضي الله عنهم ورضوا**

عنه"، وأقر النبي ﷺ الحق في: (**ما أنا عليه وأصحابي**)، فهم نجوم الهدى، فالطعن فيهم هو الطعن في الشارع في الحقيقة، والاستخفاف بهم استخفاف بالشرع، وذلك لمكانتهم التشريعية في الإسلام.

وما هو تعامل الميرزا مع هذه الجماعة المباركة وللاطّلاع على ذلك؟ يتأمل المتأملون من عقلاء أبناء الملة فيما يلي:

❋ **يقول الميرزا في "ضميمة البراهين الأحمدية" عن صحابي الجليل، ومن المكثرين لنقل أقوال رسول الله ﷺ سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه:**

"بعض قليلي الفهم من الصحابة لم ينل حظاً من الدراية".

النص الأردي:

"بعض نادان صحابی جس کو درایت سے کچھ حصہ نہ تھا".

❋ **ويقول في "الإعجاز الأحمدي" صـ: ١٨:**

"مثل أبي هريرة الذي كان غبياً وليس لديه دراية جيدة".

النص الأردي:

"جیسا کہ ابوہریرہ غبی تھا اور درایت اچھی نہیں رکھتا تھا".

❋ **ويقول الميرزا في أول خليفة رسول الله ﷺ في "مجموع الإشتهارات" صـ: ٣/٢٧٨:**

"أنا ذلك المهدي الذي سُئل عنه ابن سيرين هل هو بمنزلة أبي

بكر؟ فأجاب على ذلك قائلاً من هو أبو بكر؟ إنه أفضل من بعض الأنبياء".

النص الأردي:

"میں وہی مہدی ہوں جس کی نسبت ابن سیرین سے سوال کیا گیا کہ کیا وہ حضرت ابو بکر کے درجہ پر ہے تو انہوں نے جواب دیا کہ ابو بکر کیا وہ تو بعض انبیاء سے بہتر ہے".

ومثل ذلك كان تعامل الميرزا مع الأماكن المقدسة الحرمين الشريفين والمسجد الأقصى.

وللإشارة إلى ذلك نكتفي بمرجع واحد لكل منهما.

❋ يقول الميرزا بشير الدين في حقيقة الرؤيا صـ: ٤٦:

"لقد ألَحَّ حضرة المسيح الموعود على هذا، وقد قال في الذين لا يتردُونَ بكثرةٍ ههنا: أخشى على إيمانهم، فمَنْ لا يُوصِلُ علاقته بقاديان يُقْطَعُ، احذروا مِنْ أنْ لا يُقْطَعَ أحدٌ منكم، ثم إلى متى هذا اللبن الطازج؟ ويجف أخيرًالبن الأمهات أيضًا، ألم يجف اللبن مِنْ ثَدْيَيْ مكةَ والمدينة؟

النص الأردي:

"حضرت مسیح موعود نے اس کے متعلق بڑا زور دیا ہے اور فرمایا ہے کہ جو بار بار یہاں نہیں آتے مجھے ان کے ایمان کا خطرہ ہے پس جو قادیان سے

تعلق نہیں رکھے گا وہ کاٹا جائے گا، تم ڈرو کہ تم میں سے نہ کوئی کاٹا جائے، پھر یہ تازہ دودھ کب تک رہے گا آخر ماؤں کا دودھ بھی سوکھ جایا کرتا ہے —کیا مکہ اور مدینہ کی چھاتیوں سے یہ دودھ سوکھ گیا کہ نہیں؟

❋ ادعى الميرزا بأنَّ القاديان حَرَمٌ، حيث يقول في كلامه المنظوم باللغة الأردية في "الدر الثمين " صـ: ٥٢:

"أرض القاديان محترمة الآن، = فهي أرض الحرم لزحمة الناس".

النص الأردي:

"زمین قادیان اب محترم ہے ہجوم خلق سے ارض حرم ہے".

وتدعي القاديانية بأنَّ المراد بالمسجد الأقصى هو مسجده الموجود بقاديان.

❋ حيث يقول في "الخطبة الإلهامية" صـ: ٢١، والمندرج في "الخزائن الروحانية" صـ: ٢١/٦:

"المراد مِنْ المسجد الأقصى مسجد المسيح الموعود الكائن بقاديان الذي ورد في شأنه كلام الله هذا في "البراهين الأحمدية": "مبارك ومبارك وكل أمر مبارك يُجعل فيه"، ولفظ "مُبارَك" بصيغة اسم المفعول، وقع فاعلاً مطابقًا يوافق آية القرآن {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ}، كما يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١].

النص الأردي:

مسجد اقصی سے مراد مسیح موعود کی مسجد ہے جو قادیان میں واقع ہے جس کی نسبت براہین احمدیہ میں خدا کا کلام یہ ہے (**مبارك ومبارك وكل أمر مبارك يجعل فيه**) اور یہ مبارک کا لفظ جو بصیغہ مفعول اور فاعل واقع ہوا، قرآن شریف کی آیت "**باركنا حوله**" کے مطابق ہے جیسا کہ اللہ تعالی فرماتا ہے: ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾".

فليتأمل أبناء الملة القاديانية ما الغرض من هذا الأسلوب والتعامل مع العظماء والمقدسات؟

ليس هدف القاديانية إلاّ إبعاد الناس عن الشخصيات الإسلامية، والأماكن المقدسة الإسلامية إلى شخصية الميرزا والأماكن التي تُنسب إليه، فماذا بقي للقاديانية من العلاقة بعظماء الأمة الإسلامية وأماكنها المقدسة بعد هذا كله.

اللمحة الفكرية العاشرة:

من يدعي باسم الله وبأمره يؤيده الله بنصره العزيز وبالحجج القطعية والبراهين الساطعة، ثم لا يوجد أي انتشار فكري، أو أي تناقض في دعاويه، وبعكس ذلك تمامًا نجد من التشتت الفكري في آراء الميرزا القادياني والتناقض الصريح في دعاويه.

فعلى عقلاء أبناء الملة القاديانية أن يتأملوا من هذه الناحية في الأدب القادياني على سبيل المثال، عليهم أن يتأملوا في إدعاء الميرزا بالنبوة، فتصريحاته تدل على وجود سلسلة من الإنتشارات الفكرية.

أولاً: يدعي أنه محدَّث، وليس بنبيٍّ، وإن لم يكن عقيدة ختم النبوة، لكان المحدث نبياً، ويصرح أنه نبي بالمعنى اللغوي مع اعتذاره من النبوة الحقيقية، ويصرح بعدم مجيء نبي بعد النبي الخاتم ﷺ، ثم يدعي بالنبوة، ويصرح باستحالة نزول جبريل عليه السلام بوحي الرسالة، ولو بكلمة، ثم يصر على كثرة نزول جبريل عليه السلام حتى سماه "آئيل"، أي كثير المجيء يعلن بعدم وجود نبوة تشريعية بعد النبي الخاتم ﷺ، ثم يصرف كمال جهده لإثبات نبوته التشريعية، فهذا الأسلوب المتضمن على الانتشار الفكري والتناقض في الإدعاءات والتصريحات جعل أتباع الميرزا فريقين، فريق كان يتَّبع الخليفة القادياني وابن المتنبئ الميرزا محمود أحمد، ويعتقد هذا الفريق بأن الميرزا نبي، والفريق الثاني أتباع المولوي "محمد علي"، وكان ينكر نبوة الميرزا بالشدة.

نحن ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في تصريحات الفريقين، **وهي كما يلي:**

تصريحات الفريقين:

تصريح الفريق الذي يُنكر نبوة الميرزا:

❋ يقول المولوي محمد علي ما ورد في جريدة "بيغام صلح" صـ: ٢/١١٩:

"أرى أن الاعتقاد بأن السيد الميرزا نبي، ليس فيه قضاء على الاسلام فحسب، بل إنه يسبب الطعن الشديد في حضرة الميرزا نفسه، فإن لم تؤمنوا بإنسداد باب النبوة بعد النبي الكريم ﷺ، ففي رأيي هذا سبيل عظيم الخطورة، وترتكبون خطأ فادحًا".

النص الأردي:

"میں مرزا صاحب کو نبی قرار دینا نہ صرف اسلام کی بیخ کنی سمجھتا ہوں، بلکہ میرے نزدیک خود مرزا صاحب پر بھی اس سے بہت بڑی زد پڑتی ہے، اگر تم آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے بعد نبوت کا دروازہ بند نہیں مانتے تو میرے نزدیک یہ بڑی خطرناک راہ ہے اور تم خطرناک غلطی کے مرتکب ہوتے ہو".

تصريح الفريق الثاني المعتقد في نبوة الميرزا:

❋ يقول خليفة الميرزا القادياني الثاني، وهو ابنه الميرزا محمود في "جريدة الفضل" ٢٧/ديسمبر/١٩١٤م:

"لم نؤمن بالميرزا من حيث شخصيته كالميرزا، بل آمنا به لأن الله

قد قال فيه أنه بأنه محمد رسول الله".

النص الأردي:

"ہم نے مرزا کو بحیثیت مرزا نہیں مانا بلکہ اس لئے کہ خدا نے اسے محمد رسول اللہ فرمایا ہے".

❋ ويقول أيضاً ما ورد في جريدة "الفضل" برقم ٣٨ المجلد ٣:

"لقد عرض حضرة المسيح الموعود نفسه بكل وضوح كنبي الله ورسوله، وعدّ نفسه من زمرة الأنبياء والمرسلين"

النص الأردي:

"حضرت مسیح موعود نے اپنے آپ کو کھلے طور پر نبی اللہ اور رسول اللہ پیش کیا ہے اور اپنے آپ کو زمرہ انبیاء و مرسلین میں شامل فرمایا ہے".

❋ ويقول ايضاً في أنوار الخلافة صـ: ٦٢:

"لو وُضع السيف في جانبي عنقي وقيل لي قل "لا يأتي نبي بعد محمد ﷺ، فأقولنّ له أنت كاذب يمكن أن يأتي الأنبياء بعده، ويمكن مجيئهم ألبتة".

النص الأردي:

"اگر میری گردن کے دونوں طرف تلوار بھی رکھ دي جائے اور مجھے کہا جائے کہ تم یہ کہو کہ آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے بعد کوئی نبی

نہیں آئے گا تو میں اسے ضرور کہوں گا کہ تو جھوٹا ہے کذاب ہے آپ کے بعد نبی آ سکتے ہیں اور ضرور آ سکتے ہیں".

ندعو أبناء الملة القاديانية إلى التأمل في هذا الانتشار الفكري، فعليهم أن يجتنبوا أنفسهم ومستقبل أولادهم من هذا التشتت والانتشار، فإن نبوة سيد الرسل وخاتم النبيين باقية إلى يوم القيامة، وتعاليمه محفوظة ومأمونة، وفيها ما يكفي لكم ولأجيالكم القادمة.

اللمحة الفكرية الحادية عشرة:

تعتقد الأمة المسلمة بأن مهبط الوحي وهو رسول الله ﷺ النبي الخاتم، وهو أعلم الناس بما أنزله الله عليه، ثم مراد الوحي ما صدر من النبي الخاتم ﷺ من لسانه كبيان ذلك الوحي، وما نقله منه صحابته ﷺ، وانتقل في الأمة المسلمة بالسند المتصل من مراد الشارع، وتبيين صاحب الوحي ﷺ، لأن الله عز وجل قد أخبر في كتابه مخاطباً إياه قائلاً: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال النبي ﷺ: "لقد أوتيت القرآن ومثله معه".

وهذا الأمر يخالف سنة الله بأنه يخفي على نبيه ورسوله مراد وحيه، ولا يطلعه على حقيقته ثم يكشفه على غيره من جاء بعده.

التأمل في معلومة غريبة حول الوحي ومراد الله منه:

ما ذكرناه هي حقيقة ثابتة من مراجع شريعتنا، ومن المسلمات لدى الأمة منذ خير القرون، ولكن من أغرب الغرائب ولعل عامة القاديانيين لا يطلعون على هذا الأمر بأن الحقيقة الأصلية لمفهوم ختم النبوة ومدلول خاتم النبيين لم يطلع عليها أحد حسب التصريح القادياني.

❋ فورد في "تشحيذ الأذهان" ١-١٢/٢:

"لا يوجد في الدنيا من يدرك أصل حقيقة ختم النبوة المحمدية إلاّ الذين يكون خاتم الأولياء، مثل حضرة خاتم الأنبياء لأن إدراك أصل الشيء وحقيقته يكون موقوفاً على أهلها، وهذا أمر مسلم بأن أهل الختمية هو إما محمد رسول الله ﷺ، وإما حضرة المسيح الموعود".

النص الأردي:

"محمدی ختم نبوت کی اصل حقیقت کو دنیا میں کما حقہ کوئی نہیں جو سمجھ سکتا ہو سوائے اس کے جو حضرت خاتم الانبیاء کی طرح خاتم الاولیاء ہے کیونکہ کسی چیز کی اصل حقیقت کا سمجھنا اس کے اہل پر موقوف ہوتا ہے اور یہ ایک ثابت شدہ امر ہے کہ ختمیت کا اہل یا حضرت محمد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ہیں یا حضرت مسیح موعود".

نحن ندعو أهل الفهم والعقل من أبناء القاديانية الى التأمل في هذه الفكرة التي تتضمن عليه المرجع المذكور.

نسأل:

كيف ينحصر فهم مسألة هي من أصول الدين، وهي من الحقائق الشرعية العظيمة على فرد واحد بين الملابيين (الميرزا غلام أحمد)؟ ولم ينكشف أصل المسألة وحقيقتها على عظماء هذه الأمة أهل القرون المفضلة من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، ولا بين الأئمة المجتهدين ولا

بين المفسرين والمحدثين وعلماء المسلمين.

هل هذه هي حال أمة هي خير أمة أخرجت للناس؟ وهي أمة سماها "وسطًا"، وجعلها شهداء على الناس، وقد وجد فيها آلاف أهل العلم والاجتهاد وأهل العرفان وأهل الزهد والتقوى.

هل هذه خير أمة لا يوجد فيها حسب زعم الميرزا شخصية فريدة للميرزا غلام أحمد وانحصر إدراك كنه الحقائق القرآنية والمسلمات الإلسلامية والأمة بأثرها لحرومة منها.

كما ندعو الى التأمل في كنه الإدراك النادر الشاذ في الأدب القادياني حيث يقول الميرزا في العين المسيحي صـ: ٤١:

"ليُعلم أن أحداً من أفراد الأمة لو نال درجة الوحي والإلهام والنبوة بمحض تبعية النبي ﷺ، ويشرف باسم النبي، فلا ينكسر من ذلك مهر النبوة لأنه أمتيٌ (أي فرد من الأمة".

النص الاردي:

"یادرہے کہ اگرایک امتی کو جو محض پیروی آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم سے درجہ وحی اور الہام اور نبوت کا پاتا ہے نبی کے نام کا اعزاز دیا جائے تو اس سے مہر نبوت نہیں ٹوٹتی کیونکہ وہ امتی ہے".

فليتأمل المتأملون في مستوى هذا الادراك الشاذ بأن أصحاب رسول

الله ﷻ وهم المشهودون على لسان القرآن بكمال اتباع النبي الخاتم ﷺ، وعلى لسان النبي الخاتم ﷺ.

❋ كما أقر الميرزا بنفسه في تصريحه الوارد في "الملفوظات الأحمدية" صـ: ٨/٢٩٣:

"بأن من وجوه أفضلية النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوجه أيضاً بأنه اعدّ جماعة بدرجة عليا لم يحصل أحد على مثل هذه الجماعة من آدم إلى الأخير".

نقول: فإذا لم يبلغ أحد منهم إلى درجة الوحي والنبوة، وقد قال النبي ﷺ: **(لو كان بعدي نبي لكان عمر)**، فكيف ينال أحد غيرهم هذه المنزلة من أمثال الميرزا غلام أحمد؟

ومن الإدراكات النادرة للميرزا غلام أحمد بأنه يصرح مرة بأن النبي والأمتي حقيقتان متباينان، ثم كيف جمع لنفسه بينهما.

❋ ومن الإدراكات النادرة المتناقضة أنه يصرح في "البراهين الأحمدية" ١/٤٩٨ المدرج في "الخزائن الروحانية" ١/٥٩٣:

"إن نزول عيسي عليه السلام ثابت بالقرآن المجيد من قوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)، ويقول في تفسير هذه الآية نبؤة في حق المسيح على وجه الجسدي وعلى وجه سياسة البلدان وفيه وعد لغلبة

الاسلام الكامل وأن يتم ظهور هذه الغلبة بيد المسيح وأنه ينزل إلى الدنيا مرة أخرى وبيده ينتشر دين الاسلام في جميع الآفاق والأقطار".

❋ ثم يقول ما يناقض قوله الأول في "أيام الصلح" صـ: ١٤٦ و"الخزائن الروحانية" صـ: ١٤/٣٩٢:

"لا يوجد ذكر مجيء مسيح بن مريم ثانياً في القرآن الكريم".

هذا وصلى الله وسلم على النبي الخاتم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات:

العدد	الموضـــوع	صفحة
١	**المقال السادس عشر:- تفسيرات آية "خاتم النبيين" عند المفسرين المسلمين.**	٣
٢	ملخص المبحث.	٤
٣	معنى "الخاتم" وضعاً وشرعاً، مفهوم "خاتم النبيين".	٥
٤	تعيين معنى الخاتم.	٧
٥	مستند المفهوم الإسلامي لخاتم النبيين.	٩
٦	أدلة عقيدة الأمة المسلمة في ختم النبوة.	١٢
٧	تعيين النبي ﷺ مدلول "خاتم النبيين"، وأقوال الصحابة والتابعين رحمهم الله في ذلك.	١٥
٨	سبب نزول آية "خاتم النبيين".	٢٠
٩	بيان عقيدة "ختم النبوة" في الأحاديث والآثار.	٤١
١٠	الأحاديث النبوية في باب "ختم النبوّة".	٤٢
١١	إجماع طبقات الأمة في باب "ختم النبوة".	٥٤
١٢	إجماع الصحابة ﷺ.	٥٥
١٣	إجماع طبقات المحدثين.	٥٩
١٤	إجماع طبقات المفسرين.	٦٠
١٥	إجماع طبقات الفقهاء.	//

١٦	إجماع طبقات المتكلمين.	٦٣
١٧	إجماع طبقات أهل السلوك، والإحسان.	٦٤
١٨	دعوتنا للقاديانيين إلى التأمل والتدبر.	٧٠
١٩	جدول معاني "الخاتَم" و"الخاتِم".	٧١
٢٠	نتيجة المبحث.	٧٣
٢١	**المقال السابع عشر:- مكانة عقيدة "ختم النبوّة" عند الله تعالى، وأبلغ الأساليب القرآنية لتعيين مدلول "ختم النبوة" بما لا يدع أي مجالٍ لفكرة البروز والظل والمثيل القاديانية.**	٧٥
٢٢	ملخص المبحث.	٧٦
٢٣	مكانة عقيدة ختما النبوة.	٧٨
٢٤	عقيدة ختم النبوّة منّة الله على البشرية.	٨٣
٢٥	أهمية بيان هذه العقيدة.	٨٦
٢٦	أبلغ الأساليب القرآنية لبيان عقيدة ختم النبوة الربانية, والأساليب القرآينة الثلاثة.	٨٩
٢٧	أسلوب قوي لبيان استغناء أهل الإيمان عن نبوة وشريعة بعد نبوة محمد وشريعته.	٩١
٢٨	قواصم الظهر بإقرار الميرزا بالمفهوم الصحيح للخاتمية.	٩٣
٢٩	الهدف من اجتماع النقيضين وأسلوب الاستشهاد على ذلك.	٩٧
٣٠	موضع للتأمل.	٩٨
٣١	دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية.	١٠٠
٣٢	نتيجة المبحث.	١٠١

٣٣	**المقال الثامن عشر:- لماذا حملت القاديانية "الخاتم" الوارد في آية "خاتم النبيين" على "الأفضل"؟ ما هي أهدافها؟ معنى كلمة الخاتم اللغوي و مدلولها الشرعي.**	١٠٣
٣٤	ملخص المبحث.	١٠٤
٣٥	خصوصية سيدنا ونبينا محمد رسول الله ﷺ.	١٠٥
٣٦	الفصل بين الخاتمتين من عمل القاديانية.	١٠٧
٣٧	أسلوب القاديانية للفصل بين الشَّرَفين.	١٠٨
٣٨	البيان الواضح حول أسلوب القاديانية المذكور لإفصاح أغاليطها.	١٠٩
٣٩	لفظ "الخاتم" والمعاني التي هو مشترك فيها.	١١٠
٤٠	تمهيد هام حول استعمال "الخاتم".	١١٢
٤١	وجوه إبطال حمل القاديانية "الخاتم" في "خاتم النبيين" على "الأفضل" قياساً على كلام الناس.	١١٥
٤٢	الخلط المزدوج والأغاليط المركبة للقاديانية.	١١٨
٤٣	عقيدة الأمة في خاتمية خاتم النبيين ﷺ في الزمن وفي الرتبة.	١٢٠
٤٤	بيان أدلة "الخاتمية في الزمن" و"الخاتمية في الرتبة" معاً.	١٢٢
٤٥	آية إكمال الدين وإتمام النعمة.	١٢٤
٤٦	أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين في تفسير "خاتم النبيين".	١٢٧
٤٧	الآثار الواردة مع كلمة "الأخير".	١٣٢
٤٨	اعترافات الميرزا بذلك.	١٣٦
٤٩	استعمال الخاتم عند الميرزا في المراجع المذكورة.	١٣٨

٥٠	مسك الختام.	١٤١
٥١	دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية.	١٤٣
٥٢	نتيجة المبحث.	١٤٤
٥٣	**المقال التاسع عشر:- تفسيرات آية "خاتم النبيين" عند المفسرين المسلمين.**	١٤٥
٥٤	ملخص المبحث.	١٤٦
٥٥	تفسيرات "خاتم النبيين" عند المسلمين.	١٤٧
٥٦	سبب نزول آية "خاتم النبيين".	١٤٨
٥٧	تفسيرات المفسرين لآية "خاتم النبيين".	١٥٠
٥٨	القضاء على التبني, وإكمال الشريعة على النبي الخاتم.	١٥٤
٥٩	الحكمة في اختيار الله النبي الخاتم ﷺ للقضاء على التبني.	//
٦٠	تفسير آية "خاتم النبيين" على لسان النبي الخاتم ﷺ.	١٥٦
٦١	موقف التأمل.	١٦٢
٦٢	دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية.	//
٦٣	نتيجة المبحث.	١٦٤
٦٤	**المقال العشرون:- بيان القرآن في "تَوَفِّي عموم البشر" وتوفي الله عيسى ابن مريم عليه السلام.**	١٦٥
٦٥	وحدات المقال.	١٦٦
٦٦	**الوحدة الأولى**: التوفي" منزلته في عقيدة الأمة المسلمة وأهميته لدى القاديانية.	١٦٨

٦٧	تنقيح الموضوع.	١٧٠
٦٨	إفصاح مدلول "التوفي" يتطلب التأمل في أمور كثيرة.	١٧١
٦٩	صدق "التوفي" في القرآن الكريم.	١٧٣
٧٠	كيف يتعين نوع التوفي القرآني.	١٧٤
٧١	"التوفي" ولماذا خلط القاديانية فيه؟	١٧٥
٧٢	أهمية كلمة "التَوَفِّي" لدى القاديانية.	١٧٦
٧٣	ما هو واجبنا نظرًا إلى هذه الظاهرة القاديانية؟	//
٧٤	**الوحدة الثانية:** المفرد والمركب في اللغة ودلالات مفردات آية توفي الأنفس، آية توفي عيسى عليه السلام.	١٧٧
٧٥	التمهيد	١٧٨
٧٦	نوعان (الإماتة، الإنامة لتوفي عموم الإنسان ومنهم عيسى عليه السلام.	١٨١
٧٧	ما الذي لا يمكن جمعه، وما الذي يمكن جمعه من توفي "الزمر" مع توفي "آل عمران".	١٨٦
٧٨	إفصاح مخرج لمن حمل "متوفيك" على "مميتك" المتأخر أو على "منيمك" حالة الرفع.	١٨٧
٧٩	متى يقع موته؟	١٨٨
٨٠	**الوحدة الثالثة:** مشتقات الوفاء ودلالاتها، "التوفي" ومأصدقاته، أسلوبان للبيان.	١٩١
٨١	مشتقات "الوفاء" ودلالاتها.	١٩٢
٨٢	أسلوبان للبيان.	١٩٣

٨٣	بلاغة الكناية.	١٩٤
٨٤	**الوحدة الرابعة:** المقارنات المفيدة لإفصاح الحق والحقيقة في توفي عيسى عليه السلام.	١٩٥
٨٥	المقارنة الأولى: بين نوعي التوفي "الإماتة" و"الإنامة".	١٩٦
٨٦	المقارنة الثانية بين نوعي التوفي "الإماتة" و"الإنامة".	١٩٧
٨٧	حاصل الكلام.	١٩٨
٨٨	المقارنة الثالثة: بين أسلوبي البيان "توفي الأنفس" و"توفي عيسى عليه السلام".	١٩٩
٨٩	**الوحدة الخامسة:** إجماع المفسرين المسلمين على حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله مع تعدد وجوه التفسير لقول الله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وحكم بيان توفي عموم البشر بالكناية، وتوفي عيسى عليه السلام بالصراحة.	٢٠٣
٩٠	المقارنة بين وجوه التفسير للمفسرين المسلمين في توفي عيسى عليه السلام.	٢٠٤
٩١	جدول إجماع المفسرين على حياة عيسى عليه السلام روفعه، وإن تعددت وجوه التفسير لقوله تعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.	٢٠٨
٩٢	حكم اختيار الله عزّ وجلّ أسلوب "الكناية" في توفي عموم البشر، و"الصريح" في توفي عيسى عليه السلام (وفق أرجح الأقوال).	٢٠٩
٩٣	حكم بيان توفي عموم البشر على وجه الكناية.	//
٩٤	**الوحدة السادسة:** هكذا المقارنات تفصح لنا "أقسام "التوفي".	٢١١
٩٥	الجدول الشامل لـ"التوفي".	٢١٣
٩٦	إجتماع "التوفي" مع الموت والحياة والنوم والرفع، لماذا؟	٢١٥

٩٧	**الوحدة السابعة:** دراسة "التوفي" من حيث الإسناد والمقابلات، القول الفصل بين "توفي الأموات" والنائمين" وبين "توفي المرفوع والمطهر عيسى عليه السلام".	٢١٧
٩٨	البون الشاسع بين "التوفي" و"الإماتة".	٢١٨
٩٩	جدول مشتقات "وفى" الدالة على معناه الوضعي، وهو "القبض التام" فحسب.	٢٢٣
١٠٠	الجدول المشترك لتوفي غير ذي روح، ولذي روح مع الأمثلة.	٢٢٤
١٠١	مسك الختام في توفي القرآن.	٢٢٦
١٠٢	جدول مسك الختام في توفي القرآن.	٢٢٨
١٠٣	**الوحدة الثامنة:** بيان حدود الأشياء التي يجب على طالب العلم الاطلاع على كنهها لمعالجة إلحاد الملحدين في آيات الله، وتطبيق البعض منها على "التوفي".	٢٢٩
١٠٤	أهمية هذا العنوان.	٢٣٠
١٠٥	الفرق بين الوضع والصدق.	٢٣٤
١٠٦	المقارنة بين الصريح والظاهر.	٢٤٢
١٠٧	المقارنة بين الصريح والكناية.	٢٤٤
١٠٨	الأمثلة القرآنية في دلالة الألفاظ على المعاني الكنائية.	٢٤٨
١٠٩	مأصدقات الجنس وتحليلها.	٢٥١
١١٠	مفاهيم كلية وأقسامه.	٢٥٤
١١١	المقارنة بين التوفيات الثلاث.	٢٥٧
١١٢	**الوحدة التاسعة:** إفصاح كذب الميرزا القادياني ودجله في تحقيق لفظ "التوفي" مع إثبات ما هو الحق حسب اللغة والواقع القرآني في "التوفي"	٢٥٩

١١٣	عقيدة الأمة المسلمة في ضوء تحقيق لفظ "التوفي".	٢٦٠
١١٤	تفاخر القاديانية بتحقيق الميرزا.	٢٦٤
١١٥	عادة الميرزا الكذب في إسناد مقولاته.	٢٦٥
١١٦	إفصاح دجل الميرزا في هذا الباب.	٢٦٦
١١٧	التمهيد الضروري قبل الردّ على أسلوب استدلال الميرزا.	٢٧٣
١١٨	وجوه المغايرة بين "التوفي" و"الإماتة" أو "الموت".	٢٧٦
١١٩	محصل الكلام في تحقيق "التوفي".	٢٨١
١١٠	دعوتنا المخلصة لأبناء القاديانية.	٢٨٢
١١١	**الوحدة العاشرة:** قمع قاعدة الميرزا المصطنعة في باب "التوفي" ومآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين وإثبات حياة عيسى عليه السلام ورفعه ونزوله.	٢٨٣
١١٢	قاعدة قاديانية مصطنعة، مظهر الكذب والدجل.	٢٨٤
١١٣	مناقشة قاعدة الميرزا في باب "التوفي".	٢٨٦
١١٤	نصيحتنا لأبناء القاديانية، وبيان هدف الميرزا من وضعه هذه القاعدة.	٢٨٩
١١٥	الإيضاح الأكثر لعوامل نقض قاعدة الميرزا.	٢٩٤
١١٦	إيضاح مخالفة قاعدة الميرزا القرآن الكريم.	٢٩٦
١١٧	جدول موجز: آيات "التوفي" في القرآن الكريم.	٣٠٠
١١٨	مسك الختام لتبصير الأفهام.	٣٠٢
١١٩	جدول أنواع "التوفي" مع إفصاح حالة "المتوفَّى" خصوصية المتوفَّى الخاص، واشتراكه في توفي عموم البشر.	٣٠٥

١٢٠	مآل وجوه تفسيرات المفسرين المسلمين.	٣٠٦
١٢١	جدول تفسيرات المفسرين.	٣١١
١٢٢	ما هو المجمع عليه عند المفسرين المسلمين؟.	٣١٣
١٢٣	قاعدة الميرزا عقيمة التطبيق.	٣١٤
١٢٤	**الوحدة الحادية عشرة:** عرض آيات التوفي في القرآن الكريم مع ذكر القرائن وتحديد المدلولات.	٣١٧
١٢٥	جدول آيات "التوفي" في القرآن الكريم.	٣١٨
١٢٦	**الوحدة الثانية عشرة:** مفردات آيات التوفي وتطبيق الحدود الشائعة (أي المصطلحات العلمية على التوفي) بين أهل العلم.	٣٢١
١٢٧	مفردات آيات التوفي: "التوفي"، "الأنفس"، "عيسى عليه السلام"، "كاف الخطاب"، "كم"، "الذين"، "اللاتي".	٣٢٢
١٢٨	محصل هذا التحليل.	٣٢٧
١٢٩	جدول تطبيق الحدود الفنية في باب "التوفي".	٣٢٨
١٣٠	**الوحدة الثالثة عشرة:** تعامل الميرزا الباطل بتوفي عيسى عليه السلام وإبطاله.	٣٢٩
١٣١	تعامل الميرزا القادياني مع آية توفي عيسى عليه السلام.	٣٣٠
١٣٢	النقاش الإيماني حول الإلحاد القادياني.	//
١٣٣	**الوحدة الثالثة عشرة:** حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بـ"التوفي"، أي نوع من التوفي يصلح أن يكون خصوصية.	٣٣٣
١٣٤	حِكَم تخصيص عيسى عليه السلام بذلك.	٣٣٤
١٣٥	شواهد أخرى التي تُعين في فهم مدلول "توفي عيسى عليه السلام"، والوصول إلى الحق والصواب في هذا الباب.	٣٣٧

١٣٦	مجمل القول في "التوفي" الذي يجب حفظه للعاملين في هذا المجال.	٣٣٩
١٣٧	مسك الختام لجميع الأنام في توفي الله عيسى ابن مريم عليه السلام.	٣٤٣
١٣٨	هذه هي الأمور التي يجب مراعاتها في تَوَفِّي الله عيسى عليه السلام.	٣٤٦
١٣٩	أجمل البيان في ذكر أسلوب القرآن في عرض بعض الأمثلة للكلمات التي تصدق على أكثر من معنىً.	٣٤٩
١٤٠	جدول مدلول "التَّوَفِّي" المختصر.	٣٥٢
١٤١	التَوَفِّي القرآني، ومدلوله القادياني، والتناقض الغريب القادياني.	٣٥٣
١٤٢	الإلحاد والإرهاب الفكري معاً.	٣٥٤
١٤٣	دعوتنا المخلصة لأبناء الملة القاديانية للتأمل.	٣٥٥
١٤٤	نتيجة المبحث.	٣٥٧
١٤٥	**المقال الواحد والعشرون:- اللمحات الفكرية الناصحة ولأبناء الملة القاديانية النافعة.**	٣٥٩
١٤٦	ملخص المقال.	٣٦٠
١٤٧	**اللمحة الفكرية الأولى:** سيرة النبي الحق والمتنبئ.	٣٦٢
١٤٨	**اللمحة الفكرية الثانية:** التناقض القادياني بين المعتقد (ما في القلب), وما المظهر (ما على اللسان).	٣٦٤
١٤٩	**اللمحة الفكرية الثالثة:** التباين بين المدعى وبين الواقع العالمي.	٣٦٦
١٥٠	**اللمحة الفكرية الرابعة:** صنيع الميرزا خلاف سنة أنبياء الله.	٣٦٧
١٥١	**اللمحة الفكرية الخامسة:** التدريج في باب النبوة والأطوار اللاشرعية	٣٦٩
١٥٢	**اللمحة الفكرية السادسة:** التناقض في بابي النبوة والمسيحية.	٣٨٩

١٥٣	**اللمحة الفكرية السابعة:** التأمل في سعي الميرزا القادياني لإثبات استمرارية النبوة بالحِيل.	٤٠٨
١٥٤	**اللمحة الفكرية الثامنة:** عظمة الزعماء ومكانة السلف عند الخلف والأتباع.	٤٢٠
١٥٥	**اللمحة الفكرية التاسعة:** إحلال المقدسات القاديانية محل المقدسات الإسلامية.	٤٢٨
١٥٦	**اللمحة الفكرية العاشرة.**	٤٤٤
١٥٧	**اللمحة الفكرية الحادية عشرة.**	٤٤٨
١٥٨	التأمل في معلومة غريبة حول الوحي ومراد الله منه.	//
١٥٩	الفهرس.	٤٥٣